ما لم يخبرني به أبي عن الحياة!

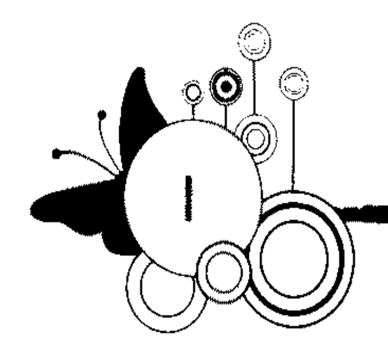
What Father Didn't Tell Me About Life!

عبد الرحمن

كريم الشاذلي

أجيال
AJIAL

مالم يخبرنى به أبــي عن الحياة

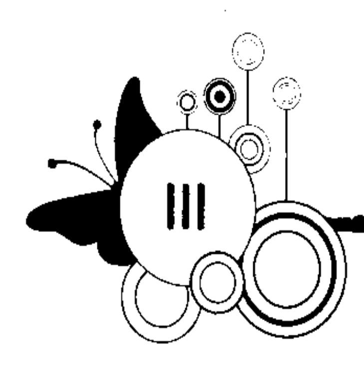




مالم يخبرني به أبي عن الحياة!

كريم الشاذلي

WWW.KARIMALSHAZLEY.COM



تتوجه دار أجيال بشكر عميق لكل ساهم بإبداعه في إخراج هذا العمل بتلك الصورة الطيبة :

م . عبدالرحمن مجدي في تصميم الغلاف .

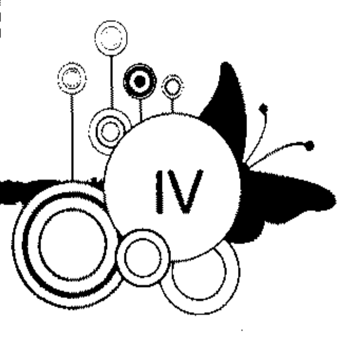
م . شيماء محمد في الصف والإخراج الداخلي للكتاب .

أ . حسام الدين مصطفى .. في المراجعة اللغوية .

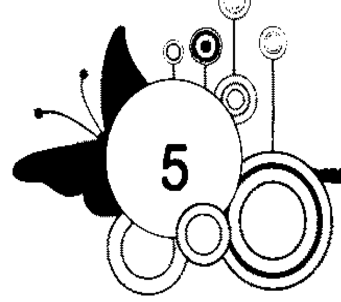
الطبعة الأولى ٢٠١٠
عدد النسخ ١٠٠٠٠ نسخة
رقم الإيداع: 9941 /2010
الترقيم الدولى: 2 - 18 - 6277 - 977 - 978

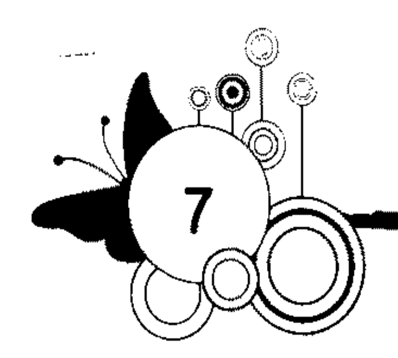
الموقع على شبكة الإنترنت:
www.dar-ajial.com





بوصلة الكتاب






إهداء
إلى أبي الغالي.. حفظه الله
.. ولا يزال طريق الحياة طويلا..

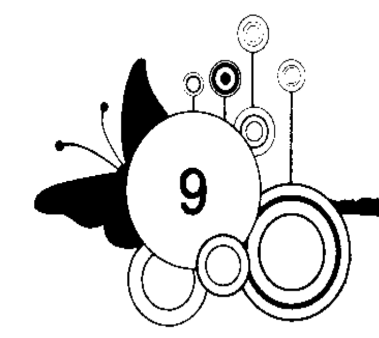
أما قبل..

.. فهذا كتابي الحادي عشر، قد يحق لي وأنا أنهي فصوله أن أنتشي قليلا مستشعرا شيئا من العُجب والسعادة لأن أبنائي قد ازدادوا واحدا لكنني -إن شئت الصدق- لا يحق لي أن أفخر بأعمالي وحدي وإنما يجب أن يفخر بها جميع من ساهموا في كتابتها وألهموني بأفعالهم وأقوالهم، المادة الأساسية لهذا العمل..

إنني أدين بأعمالي كلها -بعد كرم الله وفضله- إلى الملايين من الأفكار والأحداث والمواقف..

لذا تظل الحياة -بكل إرهاصاتها- هي معلمي الأكبر.. والأوحد .

وعلى جبينها أضع هذا الكتاب..علّها تذكرني به حين يطويني الزمان..



مقدمة المقدمة

واحد وثلاثون عاما ليست بالشيء القليل..!

أحد عشر ألف يوم في الحياة، لا يمكن أن يكونوا رقما صغيرا!

مذ أبصرت عيني الحياة وأنا لا أكف عن الإنصات، والتعلم والضحك والمشاكسة، والركض، والتأمل..

لم أعش يوما واحدا وذهني خال من الأحلام..

تعرضت لكبوات ليست بالقليلة، راهنت على رحمة الله كثيرا وعلى لطفه بعباده، ونصرته لعبد ألقت به الأيام في معارك متعددة، لم يخترها بمحض إرادته.

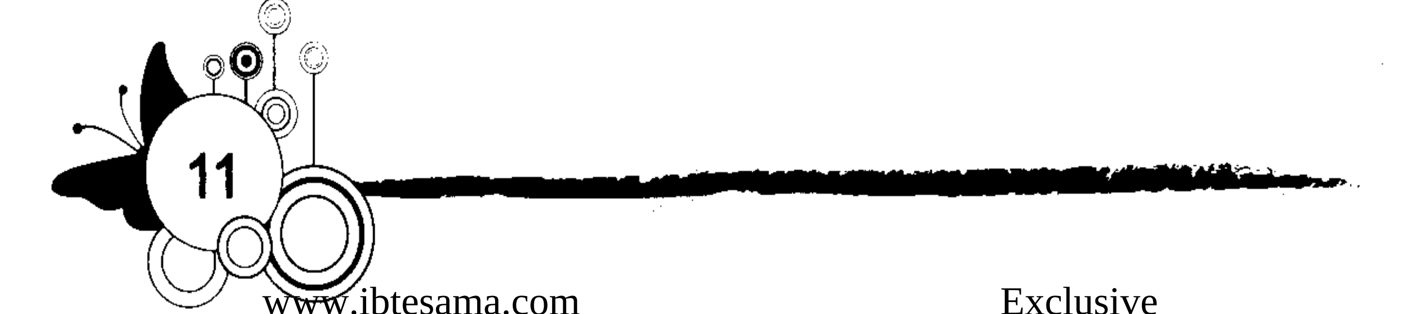
وكان دائما -جل اسمه- قريبا سمعيا مُنقذا.

كان عند ظن عبده الضعيف.. ولم يخذله قط.

لقد استضافتني مدرسة الحياة لما يقرب من أحد عشر ألف يوما علمتني خلالها الكثير والكثير..

لكن يظل أعمق ما لقنتني إياه، وأثّر فيا تأثيرا بالغا، هو إخبارها لي -وبإلحاح- أن الحياة بطولها وعرضها،ليست أكثر من مغامرة.

إن لم نكتشف كل يوم جانبا من جوانبها الغامضة، ونفك شيئا



من طلاسمها الغريبة، فلا يمكننا أبدا أن ندعي أننا عشناها كاملة صحيحة.

بدأت معاركي مع الحياة منذ أن بدأ الوعي بوجداني يكبر ويتكون أو لنقل -إن شئنا الدقة- منذ أن عرفت قدماي طريق المكتبة وأمسكت يدي بأول كتاب!

العلم طوى لي سنوات وسنوات، وألقى بين يدي بالأسرار والخبرات والتجارب.

حررتني القراءة من المضي في أي طريق، والرضا بأي حياة والقبول بأي خيار..

لا زال مرأى الطفل الصغير وهو يقف أمام بائع الحلوى ليحسب ما في جيبه ويهم باتخاذ القرار المؤلم، مفاضلا بين ساعة مرح مع الأصدقاء يتخللها الذهاب إلى محل الحلوى وإنفاق (المصروف) أوالصبر لأيام قليلة يتجمع فيها ما يكفي لشراء كتاب.

ويا للعجب.. فدائما ما كان الأمل ينتصر على الواقع، وينسحب الصغير بهدوء تاركا الجمع يلهو في فرح حقيقي، وفوق شفتيه ابتسامة صغيرة، بعثها طموحه الكبير بامتلاك كتاب أو قصة ما.

ويكبر الطفل وتكبر معه أحلامه، وآماله.. وآلامه.

ابن التسعة عشر ربيعا كان عندما قرر أن يسافر تاركا وطنا على اتساعه يضيق بأبسط أحلامه!



وطن منهك ذلك الذي ودّعه الشاب وهو يستقل طائرته مهاجرا..

ليبدأ معركة جديدة وقاسية، كانت هذه المرة مع الغربة..

ألوان من البشر.. مئات من الحكايات.. تجارب غريبة وقاسية وجدها في انتظاره هناك..

وبدأ في التعلم الحقيقي، وبدأت الحياة في نحت وقائعها ودروسها في وجدانه نحتا!

سقط الفتى ونهض مرات ومرات..

طوقه اليأس حتى بدا له أن لا أمل..

وجاءه الأمل معانقا حتى ظن أن لا خوف..

فاجأه الخوف فأرهب قلبه وأربكه..

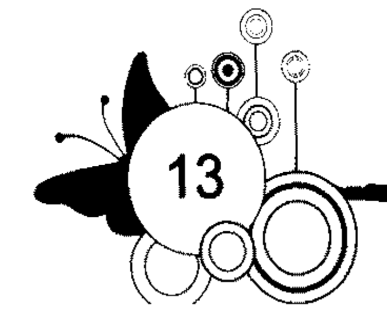
دروس في فن العيش، جعلت من الشاب الصغير محترف حياة..

علمته الحياة حينذاك أن لا شيء بالمجان، فدفع ثمن تلك الدروس عن طيب خاطر، ولا يزال...

لم يشتكِ من غلاء الثمن.. ولا صعوبة الاختبار..

وتمضي الحياة، ولا زالت مساحة الجهل لدى الفتى تزداد اتساعا يوما بعد يوم..!

فمهما تعلم، لا زال هناك الكثير، الحياة لا تبوح بأسرارها جملة واحدة، وإنما تقطر تقطيرا..!!



والآن.. ها هو الفتى يجالسكم، بعدما أكمل عقده الثالث..

كل أمله أن يتشارك الأصدقاء في البوح بما تعلموه، كي يقفوا سويا ليُسرّ كل منهم لصاحبه بما رأى أو شاهد وتعلم..

مؤمنا أن لا غضاضة أن يتشارك أصدقاء الورق في البوح بأخطائهم وكشف المستور بغية التعلم منه، والاحتراس من الوقوع فيه.

حمل قلمه وجاءكم يبث بعضا من رؤاه للحياة.

شيء تعلمه فوجده يانع الثمار، رائعا عند تجربته فكتبه..

خبر قرأه فعلق في ذهنه زمننا، فسكن فيه لبلاغته، فقرر أن يسجله لك.

خدعة انطلت عليه، فقصّها عليك كي لا يخدعك زيفها..

بعض من نظريات حياتية أو فلسفية آمن بها واعتنقها، فأحب أن يطرحها عليك، علها تجد صدى أو قبولا بوجدانك..

وعلى رصيف الحياة.. يلتقي أبناء الهم الواحد..!!



المقدمة

عن أبي.. و آبائنا!

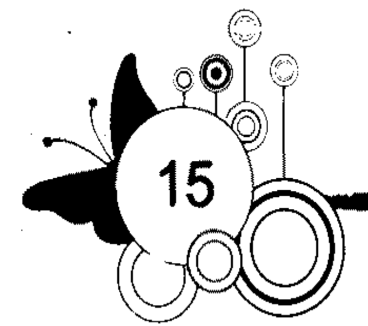
ذُكر عن خليفة المسلمين على بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال (ربوا أبناءكم لزمان غير زمانكم)، فأوجز -في عبارة مقتضبة- مبدأ تربويا في غاية الأهمية. وأهاب بالمربين أن يرتفعوا بآفاقهم وآفاق أبنائهم، فيؤهلوهم لتحمل مهام قد تكون غير منظورة الآن ويزرعوا بداخلهم الهمة والتأهب لمواجهة ما تأتي به الأيام، وتتمخض عنه الحياة..

أطلق أمير المؤمنين هذه النصيحة في زمن لم تكن عجلة التطور والتغيير وقتها قد أصابها الجنون الذي نراه اليوم، فأضحت هذه النصيحة واجبا تربويا على جميع المربين، وأمرا لا يقبل التهاون أو التنازل.

وصار لزاما على المُربي أن يعطي لمن يعوله الأدوات التي قد يحتاجها في سيره، ويؤهله لمصارعة ما قد يستجد من التحديات والعقبات.

آباؤنا.. وفخ النوايا الحسنة!

آباؤنا يحبوننا، ولا يشكك عاقل في هذا، والحب -لو تدري- أحد



أعظم ما نريده من آبائنا، خاصة الحب الخالص، الذي لا يوجد به شرط جزائي! ولا يُتبع بـ(لكن).

لذا وجب علينا أن نُقبّل جباه وأيدي آبائنا صباح مساء على دفقات الحب التي أمطرونا بها طوال فترة الطفولة، وساعدتنا كثيرا على مواجهة العالم من حولنا، ولم نكن نملك يوم ذاك سوى ذلك الحب.. فقط.

بيد أن الحب وحده -رغم أهميته- لا يكفي!

ونوايا آبائنا الحسنة -رغم تقديرنا لها- لا تستطيع أن تغطي فضائنا التربوي، أو تكفينا زادا في مواجهة الحياة.

لقد أصبح مقدرًا علينا -نحن أبناء السبعينيات وما فوقها- أن نسبر أغوار هذا القرن الجديد المختلف تماما عما عاشه آباؤنا ونقلوه لنا.

لقد وضعتنا الحياة وجها لوجه أمام تحدياتها القاهرة، وأصبحنا لا نملك أمام هذه التحديات سوى المواجهة، وامتلاك جميع الأساليب والمفاتيح التي تمكننا من الفوز في هذه التحديات.

ميراث آبائنا التربوي يجب أن يُغربَل تماما، فنأخذ منه المفيد -وما أكثره- ونتغاضى عما لا يناسب عالمنا اليوم، والأهم من هذا وذاك أن نستلهم من تراثنا الإسلامي، ومددنا السماوي ما نتقوى به أمام توحش الحياة من حولنا، ونواجه به -مطمئنين- هجمتها المادية



القاسية التي تقطع وبلا رحمة الخيوط الإنسانية التي تربط البشرية بعضها ببعض.

عن الحياة..

سَلْنِي عن الحياة، ودعني أخبرك أنها الفاتنة اللعوب التي لم يسلم من إغوائها إلا المعصومون من البشر.. وقد ذهبوا!

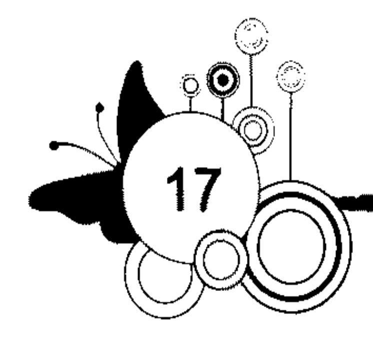
بريقها أخّاذ فلا تملك أمامه سوى أن تُفتن، أو تدركك رحمة من ربك فتعود إلى جادة الطريق المستقيم.

تنفس في أجوائها حمى التصارع والتنافس، فيركض المتسابقون ويتخبط الجمع، والجائزة متعة فانية، ليس لها في صندوق الحسنات مستقر.

فهل سلم كاتب هذه الكلمات من إغوائها!؟

مغرور أنا ومدعٍ إن تفاخرت عليك بأني لم أقع في الشرك، فما أنا إلا أنت، وعلينا تسري سنة الله في الكون، فنخطئ ونصيب، ونقوم ونكبو، ونربح ونخسر، والأعمال -رحمة من ربك- بخواتيمها فنجتهد في أن نُحسن القول والعمل، علّ كلمة الختام تفاجئنا ونحن عاكفون على عمل صالح، يصلح به أمر آخرتنا.

والحياة لمن فَقِهَ ليست شرًا خالصًا، فهي الباب إلى النجاح الدنيوي وفيها ننال شهادة الفلاح الأخروي، شريطة أن نعي جيدا ما الذي تمثله الحياة في الميزان.



وندرك أن الصفحة الأخيرة ليست تلك التي تنتهي بوفاتنا ومغادرتنا للحياة، وإنما هناك فصل آخر في الآخرة، نعمل له عمله ونضعه في حسباننا ونحن نُقيم، ونختار.

حينها نجد أنفسنا نحيا في هدوء وطمأنينة في الوقت الذي يتملك الجمع حالة من التخبط والارتباك والخوف، ونستعلي على زخرفها والكل من حولنا يتصارع في وحشية.

والأمر أبدا ليس هينا، وقلما نجد الشخص الذي جمع بين النجاح الدنيوي، والفلاح الأخروي.

ما لم يخبرني به أبي عن الحياة!

نظرة إلى دروس لقنتني إياها الحياة، ووقفة تأمل لما تخبرنا به الأيام مشاهدات لمواقف تاريخية، وتدبر لما مر بالسابقين..

حاولت أن أجمع بين دفتي هذا السِفر ما يساعدك في حياتك ويلهمك الصواب، ويعينك على شدائد الحياة وآلامها..

وما كان دوري فيها سوى التأمل والملاحظة، ثم التسجيل..

ليس لي ثمة فضل اللهم إلا أن قطفت الحكمة، واختزلتها لك ناثرا فوقها شيئا من تأملاتي وخواطري..

وسعادتي ستصبح بلا حدود حينما تأخذ مني هذه الهدية، وتُعمل فيها عقلك، وتخرج منها أفكارك وتأملاتك الخاصة..



1 البدايات الصعبة

أصعب اللحظات عند بدء مشروع جديد هي لحظات البداية.

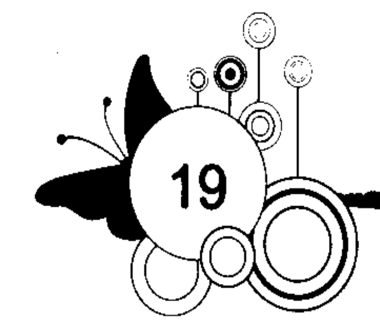
لذا أجدني دائما وعند البدء في تأليف كتاب جديد، متحفزا للتغلب على هذه المشكلة والقضاء عليها، بكتابة المزيد والمزيد حتى إذا ما نظرت وجدتني وقد أصبحت في منتصف الكتاب!

عندها أعود أدراجي لأنقح وأعدل، وأضيف وأحذف، وقد زال عني خوف (الخطوة الأولى).

ولقد بحثت عن سر هذا الأمر ووجدت أنه ليس عندي وحدي ولست منفردا أعاني ويلاته، وإنما هو أمر شائع وموجود، والسر في هذا يتمركز في أن الخطوات الأولى دائما تكون غير ظاهرة للعيان، ولا تستطيع أن تقيسها بمقياس النجاح.

ضربة الفأس الأولى في الأرض ليست إنجازا، السطر الأول في كتاب ليس نجاحا، الشهور الأولى في مشروعك الخاص ليست مقياسا لتقدمك.. وهكذا.

العين لا ترى إلا الشيء الكبير، والشيء الكبير لا يتأتى إلا بصبر كبير.. والصبر الكبير تنتجه همة عالية.



لذا أصبح هذا الأمر أحد أكبر التحديات التي تواجه الواحد منا في هذه الحياة، تحدي (تحمل صعوبات البداية).

لعلك لا تعلم أن الصاروخ يحرق في مرحلة الإقلاع المخزون الأكبر من وقوده!

نعم.. قبل أن يغادر سماءنا يكون قد أحرق جُلّ طاقته..

حتى سيارتك إذا ما أحببت قيادتها صباحا، فإنها تحتاج أن تنتظر عليها قليلا قبل أن يتهيأ موتورها، وتصبح جاهزة للانطلاق..

إنها الخطوة الأولى في كل شيء.. بسيطة.. صغيرة.. غير منظورة لكنها .. في غاية الأهمية.

لذا فإننا يجب أن نثبت أعيننا على الغاية الكبرى التي نسير إليها كي نستمد منها الحماسة، ولا نستصغر الخطوات الأولى بل ننميها ونقويها بخطوات أخرى تعزز من رسوخها.

إن الطفل وهو يخطو الخطوة الأولى يَملّ ويجلس، لكننا -بما لدينا من مخزون فطري- ندرك أن هذه العثرات والانكفاءات الأولى، هي التي ستجعله يهرول بعد ذلك.

والقارئ في سيرة النبي ﷺ سيجد كيف أنه ﷺ كان يمتلك رؤية واضحة لمستقبل أتباعه، فعن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟



فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[1].

إنه استعجال النتائج.. آفة البشر منذ فجر التاريخ وحتى اليوم.

ولعل استنتاجا قد يُطرح، أن النبي ﷺ كان يُوحى إليه من ربّ العزة سبحانه، وربما بشّره ربه بانتشار رسالته، وفي الحقيقة أن هذا أمر وارد.

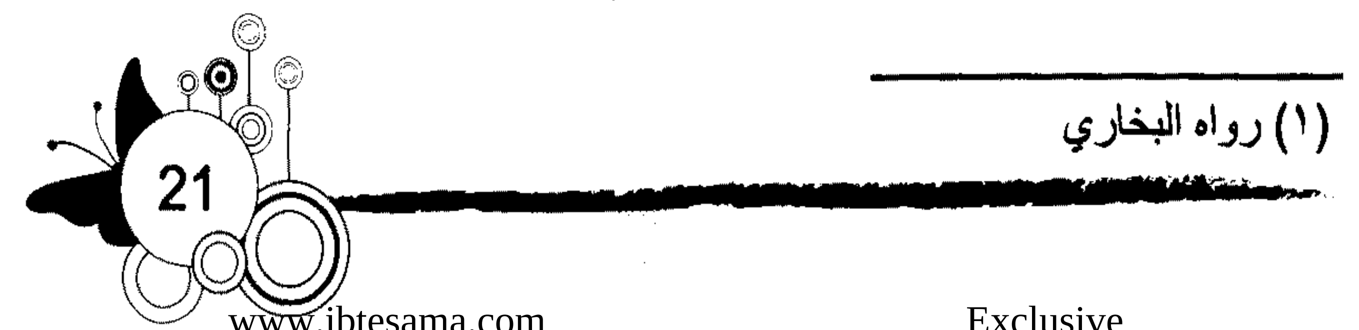
ووارد أيضا أن يكون يقينه نابعا من قوة وعظم رسالته، وإيمانه بها.

وارد جدا أن يكون إيمانه بعظم الرسالة التي يحملها يخبره وهو يجتمع بنفره القليل في دار بن الأرقم، أن النصر له، فلم ينظر إلى قلة أصحابه ويستصغر قوتهم.

ودعنا ننظر إلى مثال تاريخي، القائد المسلم (محمد الفاتح) كان وهو طفل صغير، يجري إلى مياه البحر ناظرا إلى أسوار القسطنطينية وهو يردد غدا سأحطم أسوارك المنيعة وفتحها رحمه الله وهو ابن العشرين، فهل كان يدرك هذا القائد وهو يقبض على سيفه لأول مرة ويتعلم فنون المبارزة، أن هذه خطوة في سبيل نصر كبير؟... وأجيبك بكل تأكيد: نعم.

---

(١) رواه البخاري

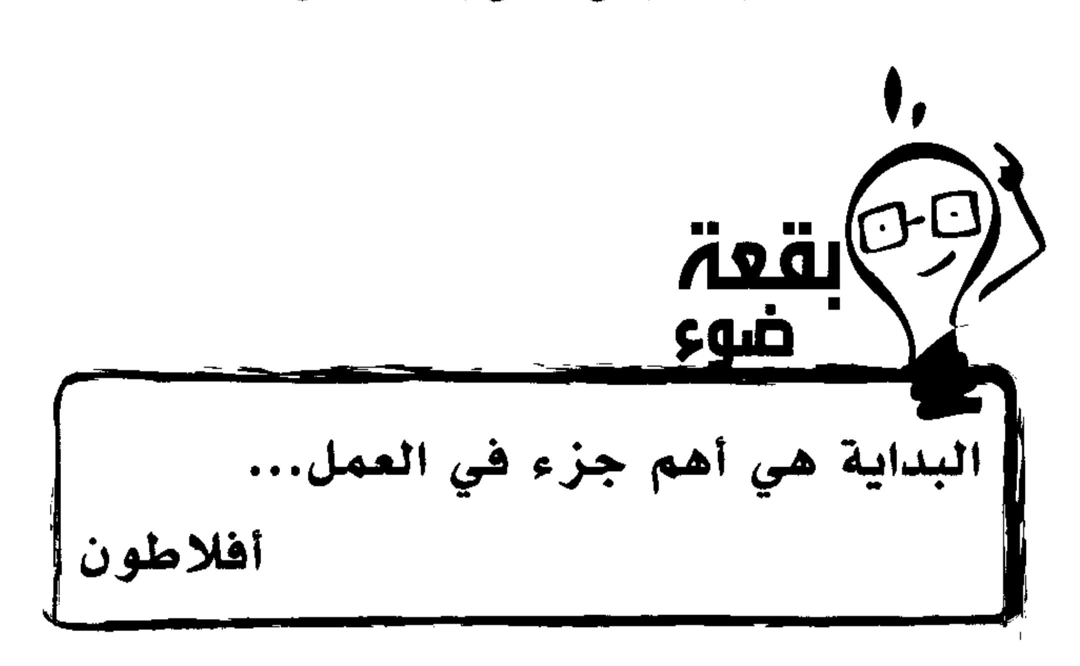


دعك من الأمثلة واذهب بنفسك إلى أقرب منطقة صناعية قريبة منك وانظر إلى عامل بناء وهو يضع الحجر الأول وسله ماذا تفعل وستجده يخبرك أنه يبني سورا!

لكنك لو سألت المهندس الذي رسم البناية، فسيخبرك في ثقة أنه يبني (ناطحة سحاب)!

إن من يضعون أمام أعينهم الغاية الكبيرة، يتحملون البدايات البسيطة مستمدين من عظم مطلبهم عونا لهم على ذلك.

فلا تستصغرن خطوتك الأولى، وتعامل معها بصبر وروية.. وتأكد أن الخطوة الأولى على بساطتها وصغرها لا بديل عنها.







2 لا نجاح بلا فلاح

يظل النجاح هو بغية كل البشر..

جميعنا نطلبه، نسعى إليه، ومنا من يبدأ فعلا في طرق بابه والوقوف على أعتابه.

ودائما ما ينظر الواحد منا إلى عديمي الطموح نظرة استخفاف واستنكار.

بيد أن هناك شركا خفيا يسكن بين ثنايا ذلك المطلب العظيم وهو أن يلهينا النجاح الدنيوي عن الفلاح الأخروي، أن تسحبنا تيارات النجاح والتفوق والتقدير إلى أن ننسى -أو نتناسى!- أن هناك غاية أسمى وهدفا أرقى من مجرد النجاح الدنيوي الفاني.

إن المنهج الإسلامي ما برح يؤكد على حقيقة هامة جدا، وهي أن الدنيا مطيّة المؤمن إلى الجنة، وشَرَك المفتون إلى النار.

فهي زاهية متألقة، بالغة الحسن والجمال، رائعة المذاق، خاصة لمن لم يشاهد سواها، ولم يعايش معاني الآخرة، ويرى الجنة والنار كما وصفهما الله ورسوله.

الدنيا قادرة على إغواء معظم البشر، واستعبادهم، وجعلهم أُجراء لديها، يعطونها خالص أيامهم، وطموحهم وهمتهم وتعطيهم بعضا من متعها الزائفة الزائلة.

لذا كان النبي ﷺ حريصا في التشديد على أتباعه ألا ينساقوا وراء متع الحياة وزخرفها، فنراه يقول ﷺ: (أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ..

هنا النبي ﷺ لم يكن يعني تطليق الدنيا كما قال غلاة المتصوفة ولم يطالب أصحابه بتركها لشياطين الإنس والجن ليعيثوا فيها فسادا، وإنما طالبهم بالعمل والاجتهاد والرقي الدنيوي، ولكن ليس للدرجة التي تجعلهم يهتمون بالمظهر دون الجوهر، والتعلق بالسبب ونسيان الغاية الكبيرة.

إن المسلم يجب أن يحب الحياة كي يستطيع العطاء، يجب أن يتعامل معها بجدية ويعمرها ويجتهد في جعلها أجمل وأروع مما كانت قبل مقدمه، ولكن ليس على حساب العطاء الأخروي، يجب أن يكون نجاحه في الدنيا سببا مباشرا في نجاحه الأخروي، عبر التزامه بالمنظومة القويمة للخلق، والتنمية المستمرة للضمير والتعامل بيقظة تامة مع النفس وشطحاتها.

لعلك ستدهش لو أخبرتك أنه لو كان هناك لائحة كلائحة مجلة (فوربس) المهتمة بمجال المال والأعمال في العصر النبوي، لكان على قمة أغنى أغنياء العالم، عدد غير قليل من المسلمين المجاهدين والصحابة العظماء.



وذلك لأن المسلم ليس مقطوعا عن الدنيا، أو كارها لها، بل المسلم الحق هو من يملك الدنيا بين يديه، ويأبى أن يضعها في قلبه أو يعطيها وزنا أعلى مما تستحقه.

الصحابي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ثامن رجل يحمل لقب مسلم وهو في الثانية والعشرين من عمره، هاجر للحبشة، ثم إلى المدينة ولم يكن يملك في هجرته للمدينة من الدنيا سوى ملابسه التي تستر سوءته، وكانت أول كلمة قالها بعد نزوله للمدينة (دلوني على السوق) .

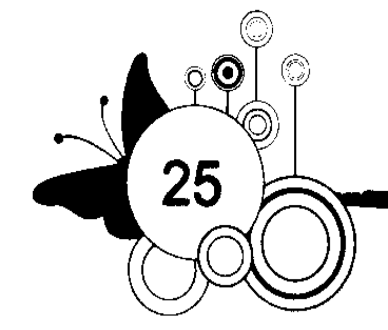
فأصبح -وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة- من أغنى أغنياء المسلمين، حتى إن طَلْحَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَوْفٍ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ عِيَالاً عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ: ثُلُثٌ يُقْرِضُهُمْ مَالَهُ وَثُلُثٌ يَقْضِي دَيْنَهُمْ، وَيَصِلُ ثُلُثاً.

ومع هذه السعة، وذلك الرزق الكبير، كان يشغل باله أمرُ الآخرة ولا ينسى أبدا عِظم الغاية التي يعمل من أجلها، فنراه ذات يوم يجري إلى أم سَلَمَة ويسألها جزعا: يَا أم المُؤْمِنِيْنَ!

إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَكُوْنَ قَدْ هَلَكْتُ، إِنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالاً، بِعْتُ أَرْضًا لِي بِأَرْبَعِيْنَ أَلْفِ دِيْنَار.

قَالَتْ: يَا بُنَيَّ! أَنْفِقْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: (إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَنْ يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ) .

ولو فتشت يا صديقي في كتب السير، وتأملت أخبار الصحابة



والعظماء لوجدت منهم كثرًا أصحاب مال وجاه، كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وغيرهم.

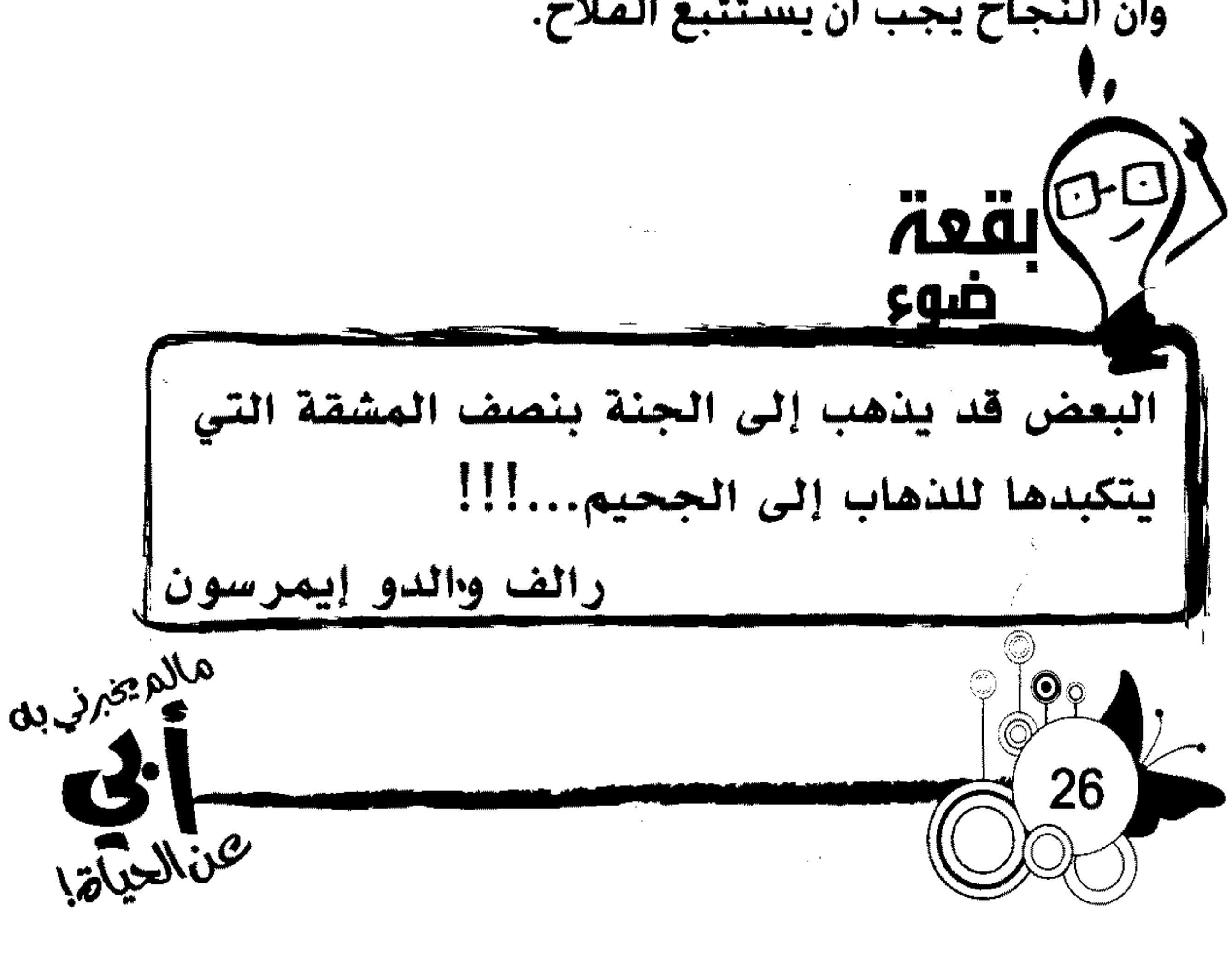
ومع ذلك سترى ثبات أقدامهم على طريق الحق، وروعة تسخيرهم للدنيا في سبيل الآخرة، وكيف أنهم سيطروا على أطماع النفس والهوى، فكانت الدنيا تحت أقدامهم جارية يأمرونها، فتطيع غير مُسوِّفة.

إن ما أطمع أن تنتبه إليه يا صاحبي وأنت تسير في الحياة أن تهتم بالنجاح، وتعمل من أجل الرقي، ولا تتنازل عن أن تكون رقما صعبا فيها..

و لكن.

إياك أن تنسى أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن أفضل الأساليب للتعامل معها، هو معرفتها على حقيقتها (محطة نستقل بعدها قطار اللا عودة)، حيثُ نسكن في دار الخلد.

وأن النجاح يجب أن يستتبع الفلاح.



3 أنت رُبّان حياتك

هل يحتاج الأمر إلى كثير إثبات، كي أؤكد لك أن جميع الناجحين في هذه الحياة قد تحملوا مسؤولية حياتهم كاملة ولم يقفوا لثانية واحدة كي يلوموا شخصا ما على الأشياء السيئة التي علّمهم إياها، أو الأبواب الرحبة التي أغلقها دونهم أو العقبات المميتة التي ألقاها في طريقهم؟

ما أسهل أن نقف لنشكو جرم الآخرين في حقنا، ما أبسط أن ندلل على عظيم ما جنت يد آبائنا، وكيف أنهم لم يعلمونا مبادئ النجاح والطموح، فضلا عن ممارساتهم التربوية الخاطئة في حقنا، وما أيسر أن نلقي بجميع مشاكلنا وهمومنا على هذا أو ذاك، متخففين من مسؤولية مواجهة الحياة وتحمل أعبائها.

لقد علمتني التجارب يا صديقي أن الحياة بحر مضطرب الأمواج وكل واحد منا رُبّان على سفينة حياته، يوجهها ذات اليمين وذات الشمال، وأمر وصوله إلى بر الأمان مرهون بمهاراته وقدراته بعد توفيق الله وفضله.

لكن معظمنا -للأسف- لديه شماعة من التبريرات الجاهزة، فما إن يصاب بكبوة أو مشكلة، إلا ويعلقها على هذه الشماعة ويتنصل من مسؤولية تحمل نتيجة أفعاله!

تربيتنا السيئة، مجتمعنا السلبي، التعليم الفاشل، الظروف الصعبة، تفشي الفساد.

هذه بعض الشماعات التي كثيرا ما نستخدمها وبشكل شبه دائم.

ودعني أصارحك بأنك إذا ما أحببت أن تقبل تحدي الحياة وتكون ندا لها، فلابد لك أن تتخلى وفورا عن كل التبريرات التي تُعلق عليها مشاكلك وإخفاقاتك، وتقرر أن تتحمل نتيجة حياتك بكل ثقة وشجاعة.

هل سمعت من قبل عن معادلة النتائج الحياتية؟

إنها تخبرك أن نتائج حياتك، هي حاصل جمع ما يحدث لك مضافا إليه استجابتك لما يحدث، أو هي بمعنى آخر:

(موقف + رد فعل = نتيجة)

نجاحات الناجحين قد جرت في حدود هذه المعادلة، وفشل الفاشلين جرى وفق هذه المعادلة كذلك..!

إنهم جميعا تعرضوا لمواقف أو أحداث ما، ثم تصرف كل منهم وفق ما يرى ويؤمن، فأفرز هذا السلوك أو (رد الفعل) النتيجة التي نشاهدها اليوم.

فالشخص الفاشل أو السلبي توقف عند (الموقف) ثم أخذ في الشكوى والتبرير، فالمدير لا يفهم، والوضع الاقتصادي متدهور كما



أن التعليم لم يؤهلنا بالشكل المناسب، وفوق هذا تربيتي متواضعة وبيئتي سيئة، والدولة يتحكم فيها اللصوص.. وهكذا.

هذا بالرغم من أن هناك ناجحين كثر انطلقوا من نفس هذه الظروف، ومن بين ثنايا هذه البيئة، وربما كان حالهم أشد وأقسى ممن يشتكي ويولول!

لكننا لو نظرنا للشخص الناجح الايجابي، لوجدناه يعطي تركيزا أكبر وأهم لمساحة الاستجابة لرد الفعل.

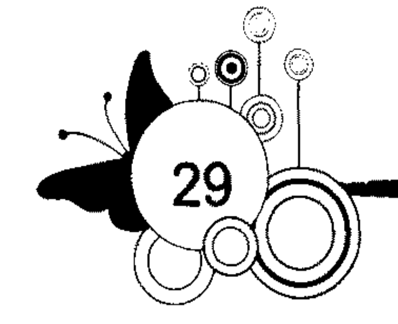
فهو يرى أن ما حدث قد حدث ولا يمكن تغييره، يقول لك حال المشكلات: **دعنا الآن ننظر فيما يجب علينا فعله، وكيف يمكننا استثمار هذا الحدث -مهما كان- في تحقيق أعلى نتيجة أو أقل خسائر ممكنة.**

قد يحتاج الأمر إلى أن يستشير شخصا ما، أو يُغيّر من تفكيره وقد يستلزم الموقف أن يراجع بعض سلوكياته، أو يعدل في رؤيته.

إنه يمتلك مرونة كبير، وعزيمة ماضية، وذهنا مبرمجا على إيجاد الحلول، بل وصناعتها.

سأكون صريحا معك يا صديقي وأقول إننا نستسهل الركون إلى الدائرة الأولى (الموقف) لأنها أسهل من الناحية النظرية، فليس هناك أيسر من الشكوى، ليس هناك أبسط من أن نُسلّط شعاع النقد على الخارج.

وندّعي أن الداخل كله خير، ومشاكلنا فقط تأتينا من الآخرين



السيئين القاسيين، وللأسف فإن معظم البشر مبدعون في اختراع المبررات التي تبرئ ساحتهم من التقصير أو الفشل!

يزداد جنوح معظمنا إلى التبرير في وطننا العربي بشكل أكبر من سواه، نظرا لكثرة الظروف المحبطة، وتعدد أشكال القهر والإحباط مما أدى لنشوء ما أسماه المفكر د.عبد الكريم بكار بـ أدبيات الطريق المسدود، (.. والتي تتمثل في الشكوى الدائبة من كل شيء من خذلان الأصدقاء، ومن تآمر الأعداء، من ميراث الآباء والأجداد، ومن تصرفات الأبناء والأحفاد!!).

مما جعل بعضنا ليس فقط مبدعا في التنصل من أفعاله، وإنما جعله كذلك متفوقا في إحباط وتثبيط من قرر التغيير والايجابية وذلك بالتطوع بإخباره أن المجتمع لن يدعه ينجح، ولن يؤمن أحد بما يقول، وأن زمان الطيبين قد ولى بلا رجعة!

رسولنا ﷺ يعلمنا أنه إذا حدث ما لا نريده، فيجب علينا أن ننطلق إلى الأمام بإيجابية ونتخلى عن عادة التحسر والتبرير فيقول ﷺ : (لا تقل: لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا، ولكن قُل: قدَّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان).

أختم معك يا صديقي هذه الفقرة بالتأكيد على أن النجاح ليس مرهونا بتحسن وضع ما، وأن الفشل لم تكتبه عليك إرادة عليا يقول الفيلسوف والشاعر الهندي (محمد إقبال):



(المؤمن الضعيف هو الذي يحتجُّ بقضاء الله وقدره، أما المؤمن القوي فهو يعتقد أنه قضاء الله الذي لا يُرد، وقدره الذي لا يُدفع).

المؤمن القوي هو الذي يمتلك تصميما راسخا على تحدي المصاعب والعوائق، هو الذي يقابل الحياة بهدوء نفس ورحابة صدر، وهدوء جنان بغض النظر عما تخبئه أو تظهره له.

بوصلة عقله تتجه إلى الحلول لا التبريرات، والرؤية الإيجابية لا الصورة السلبية الباهتة.

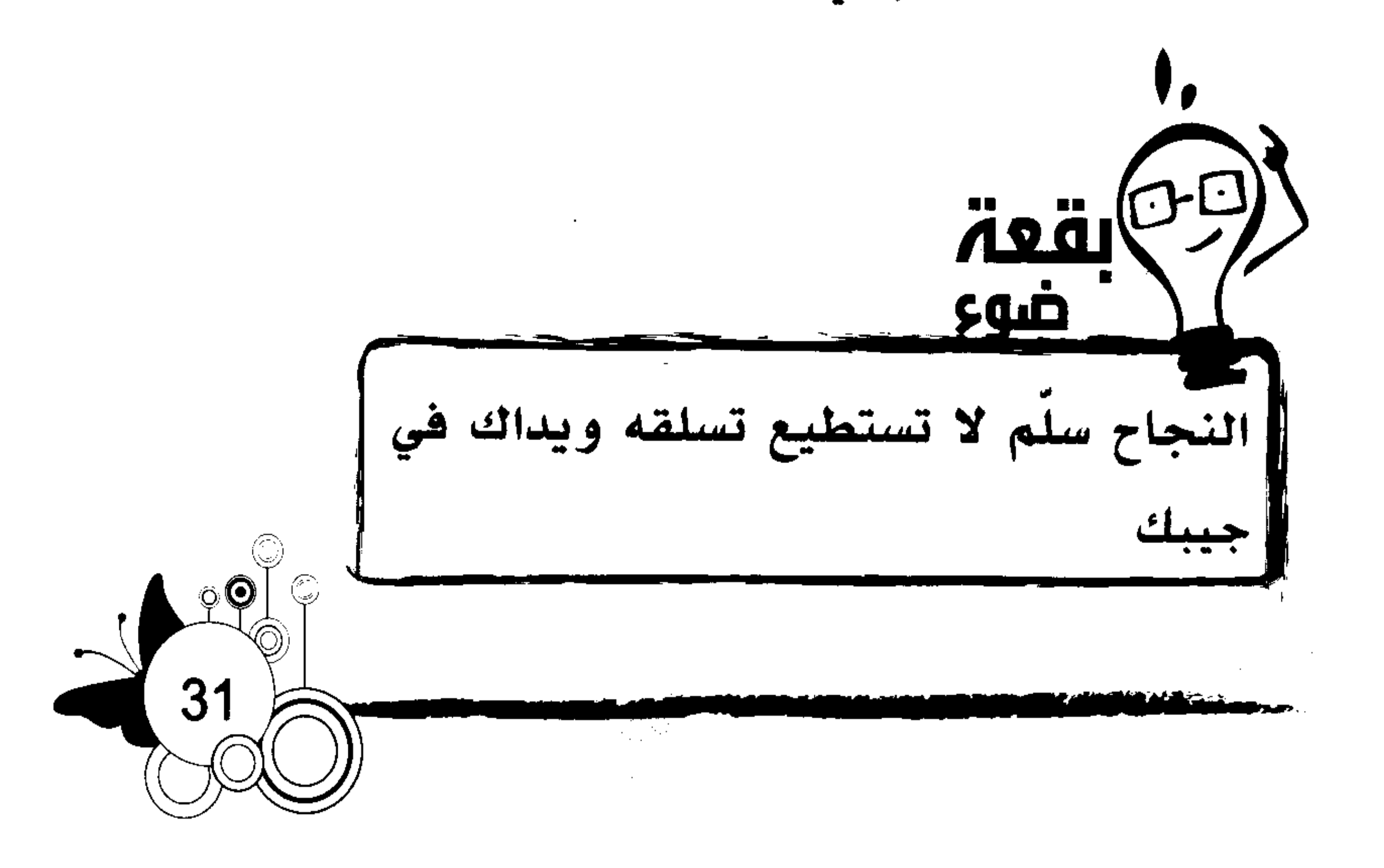
يحضرني هنا موقف أحد جنود المسلمين، إذ سأله واحد من قُوّاد الفُرس ذات يوم في سخرية: من أنتم؟

فقال له واثقا: نحن قدر الله، ابتلاكم الله بنا، فلو كنتم في سحابة لهبطتم إلينا أو لصعدنا إليكم.

أنظر لهذه الكلمة (نحن قدر الله).

فليكن هذا شعارك دائما إذا ما واجهتك المصاعب والبلايا..

قلها بثبات المؤمن: إنني قدر الله.. وقضاؤه.



4 الصمت قوة

خير لك أن تظل صامتًا ويظن الآخرون أنك أبله، من أن تتكلم فتؤكد تلك الظنون.
(إبراهام لينكولن)

قبل ما يقرب من ألف وخمسمائة عام، قال العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن الرجل يظل كبيرا في عيني، حتى إذا تكلم ..ظهرت حقيقته).

إن الصمت فضيلة وله في النفوس رهبة وإجلال.

والمرء الذي يؤدب لسانه كي لا ينطلق مثرثرا، ويلجمه بحنكة وذكاء لهو امرؤ قد فعل الكثير في سبيل امتلاك القوة.

فكم من كلمة ألقاها صاحبها في غفلة من عقله، فذهبت بماله أو سمعته.. وربما برأسه بعيدا!

يُحكى أن لويس الرابع عشر حينما كان شابا يافعا، كان يتباهى بقدرته على الحديث والكلام والجدال، لكنه حينما تولى مقاليد الحكم صار أقل كلاما، بل كان صمته أحد أهم أسلحته ومنبع من منابع قوته، فمما يروى أن وزراءه كانوا يمضون الساعات في مناقشة القضايا



الهامة ويجلسون لاختيار رجلين منهما لعرضها على الملك لويس الرابع عشر، وكانوا يمضون وقتا غير قليل في اختيار من سيرفع الأمر إلى الملك، وعن الوقت المناسب لهذا الأمر، وبعد أن ينتهوا من النقاش يذهب الشخصان اللذان تم اختيارهما إلى الملك ويعرضان الأمر عليه بالتفصيل والخيارات المطروحة، ولويس يتابعهما في صمت مهيب تغلب عليه روح الغموض.

وبعد أن يعرضا أمرهما ويطلبان رأي الملك، لا يزيد على أن ينظر إليهما ويقول بهدوء (سوف أرى) ثم يذهب عنهما، ولا يسمع أحد من الوزراء كلاما حول ما تم عرضه، بل فقط تأتيهم النتائج والقرارات التي أمضاها الملك.

ولقد كان لصمت لويس الرابع عشر أثر بالغ في إبقاء من حوله في حالة ترقب دائم لردود أفعاله، وهو ما ترجمه سان سيمون فيما بعد بقوله: (لم يكن أحد يعرف مثله كيف يبيع كلماته، وابتساماته وحتى نظراته، كان كل شيء فيه نفيسا، لأنه خلق فوارق، ولقد اتسعت جلالته من ندرة كلماته) .

في كتابه (كيف تمتلك مقاليد القوة) يؤكد روبرت جرين أن البشر آلات تفسير وتوضيح، ولديهم شعور قوي بحتمية معرفة ما تفكر به، وأنه كلما كانت كلماتك قليلة ومركزة، فإنك سوف تغلق أمامهم أبوابا كثيرة للتفسير والتحليل، وستجعلهم يتهيبونك بشكل كبير.

ولعلك قد تعارضني يا صديقي بحجة أن الكلام وسيلة تواصل وتعارف، وأننا يجب أن نكون أكثر تفاعلا مع المجتمع الذي نعيش فيه وأن الغموض قد يُنفر من حولنا الآخرين بحجة أننا متكبرون لا نود الحديث معهم.

وهذا صحيح في حالة الصمت المطبق المستفز، لكنني هاهنا أخبرك -ببساطة- بمعلومة في غاية الأهمية وهي:

الكلمات التي تخرج من الفم لا يتم إرجاعها، والقول الذي تطلق سراحه لن يمكنك العودة فيه مرة أخرى.

الرسول ﷺ يخبر معاذ بن جبل رضي الله عنه بأن أخطر الأشياء التي تلقي بالناس في سعير جهنم هو ما يخرجه المرء من بين شفتيه ويجري به لسانه.

وما أريد أن أخبرك به في هذه الفقرة هو أن تحاول بشتى الطرق أن تسيطر على كلماتك، وألا تثرثر بشيء ليس ذا قيمة أو لا تعرف أبعاده.

الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول (تكلموا تُعرفوا، فإن المرء مخبوءٌ تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر)، فكأنه يوضح لي ولك أن معالم شخصية المرء منا تتشكل في ذهن الآخر.

حسب ما يسمعه من كلامنا، وذلك لأن كلامك -بطبيعة الحال- هو تعبير عما يجول بنفسك.



فإذا ما استطعنا السيطرة على اللسان، والتحكم فيما يخرج منه، وإغلاقه تماما إذا ما تشككنا فيما قد يأتي به من نتائج، سنكون قد فعلنا الشيء الكثير.

تعلم الصمت عند:

وهناك أوقات يكون فيها الصمت هو الخيار المثالي، وإطباق الفم هو الحل الأمثل، منها:

الغضب: تزيد نسبة زلل المرء عند الكلام عندما يكون غاضبا أو حانقا، فالغضب حالة من الجنون، وأخطر ما فيه أن كلامنا وقتها يُحسب علينا، وقد يكون حجة تقام علينا وتديننا، وكظم الغيظ أمر بالغ الصعوبة، لكنه يتأتى بالتعود وتمرين النفس واحتساب الأجر رسول الله ﷺ ينصحك أن (لا تغضب ولك الجنة)، أضف إلى ذلك أن الشخص الذي يقيد غضبه ويروضه، شخص يحوز إعجاب الناس وتقديرهم فضلا عن الأجر المرجّى من رب الناس.

الاستهزاء والسخرية: تقول حكمة العرب (لا تجادل الأحمق فيخطئ الناس في التفريق بينكما) حينما يتجه النقاش إلى وضع ساخر متهكم.

فإن عدم التمادي والوقوف هو أفضل ما يمكنك فعله، لا ترد السخرية بسخرية مماثلة أو التهكم باستهزاء، ولكن استدع قوة حلمك وصمتك وفكر فيما يقال، وفيما ستجنيه من السكوت عن الرد والتمادي في هذا الحديث.

استكشاف المحيط: سواء كنت في عملك أو بيتك أو في رحلة ما، ستحتاج في أوقات كثيرة أن تصمت، وتخرج الكلمات ببخل شديد كي يتسنى لك معرفة ما الذي يدور، وتقرير ما يجب عليك فعله، صن توزو، الفيلسوف الصيني، يخبرنا في مرحلة التفاوض مع شخص ما أنه كلما طال صمتنا سارع الآخر بتحريك شفاهه وأسنانه، مما يكشف لك بشكل أوضح عن نواياه وماذا يريد.

- هنا أيضا قد تعارضني يا صديقي بقولك إن الصمت قد يعد دليل ضعف واستكانة، وقد يغر الطرف الآخر بالتمادي والتطاول والأمر يجب أن يخضع لتقديرك، إنني أطالبك بالصمت في مواقف لن يرفعك فيها الكلام قيد أنملة بل قد تدان به، أما إذا كان الموقف موقف أخذ ورد، ونقد وتوضيح، فيكون كلامك الهادئ هو المطلوب.

إن ما أود الذهاب إليه حقا هو إلجام اللسان عن فضول الكلام وجعل العقل رقيبا دائما عليه، فيفكر قبل أن يقول، ويزن الأمور قبل أن يدلي بدلوه.

الصمت القاتل

لا تنزعج عندما أخبرك أن هناك أوقات يكون فيها الصمت سيئة وخطيئة!

لا حيرة في ذلك، إن ما أريده هو الاتزان، وأي جنوح عن تطبيق قواعد الحياة قد يأتي بتأثير عكسي.

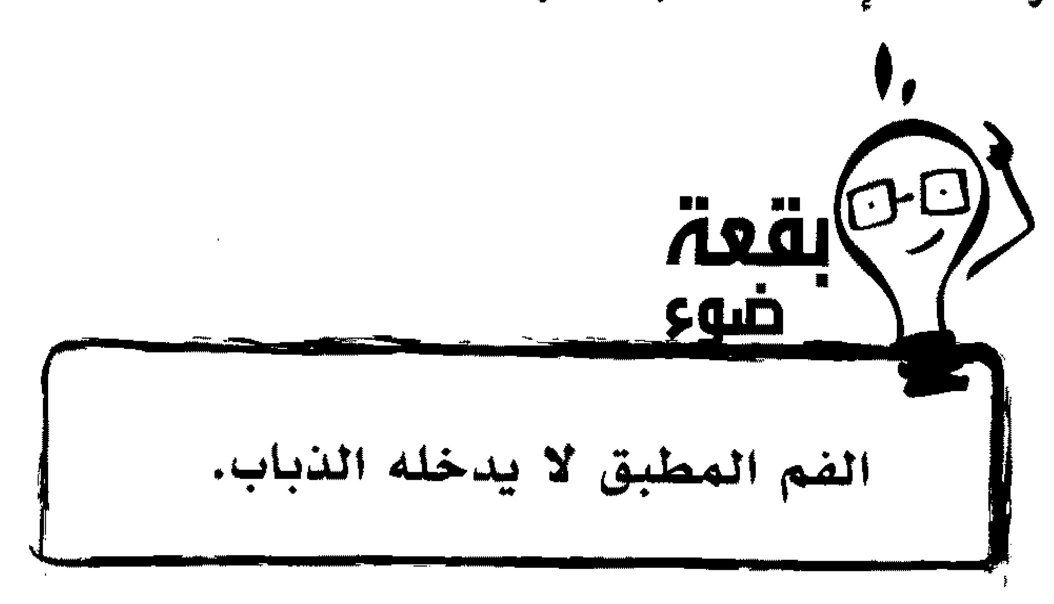


فهل من الحكمة مثلا أن نصمت حينما يتطلب الأمر تقديم شكر أو مواساة؟!

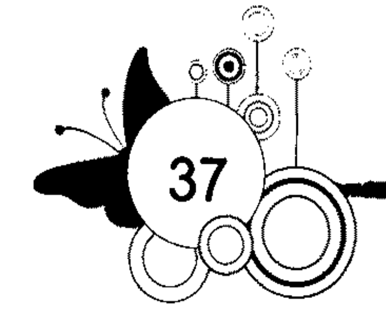
هل من اللائق السكوت وعدم التعبير عن مشاعر الحب والتقدير والامتنان؟!

هل يصح الصمت عند مواجهة اتهام يحتاج إلى إبراز حجة وتفنيد مزاعم؟!

بالطبع لا.. إننا نتكلم إذا ما أخبرنا العقل أن الكلام مرجو ها هنا ونصمت إذا ما تطلب الأمر الاحتماء خلف ابتسامة دافئة مبهمة.







5 أشرق كالشمس

في أوقات كثيرة، نحسب بعض الأشياء حسابات خاطئة، ونُسيء بينما نظن أننا نحسن صنعا.!

أشياء تلتبس علينا في حياتنا، وتزيد من الهوة التي بيننا وبين الآخر..

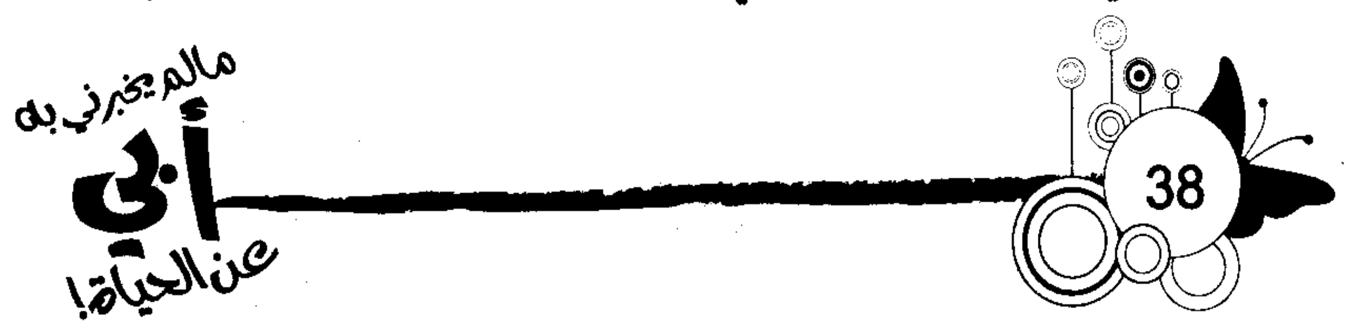
أحد أهم هذه الأشياء هو تزكية النفس، وإبراز محاسنها، وتسويق خصالها المبدعة الفريدة.

إننا نؤمن امتثالا لقول رسولنا ﷺ أن التواضع هو سمة من سمات الصالحين وأن (من تواضع لله رفعه) وهذا شيء لا جدال فيه ففضلا عن كونه أمرا نبويا، فإنه كذلك مطلب روحي وعقلاني لا يختلف عليه أي عاقل محب لإنسانيته ويقدر قيمة الإنسان في الحياة.. ولكن...

هل معنى هذا ألا يقف المرء في أوقات تتطلب أن يعدد نقاط قوته وأفعاله الحسنة وحجته أن التواضع مطلوب؟

دعوني أوضح الأمر أكثر..

اليوم في سوق العمل، وفي ظل المنافسة الشرسة، يظهر جليا



الشخص المبدع الذي يتقن إبراز إبداعه وتفوقه، ويختفي من على الساحة الفقراء والبسطاء والأشخاص الأقل احترافية في تسويق أنفسهم، مهما كانوا نابغين أو متميزين.

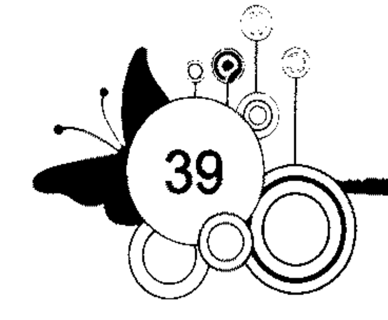
تعالوا لنتأمل شيئا أعمق وأكثر وضوحا، بالرغم من كون الإسلام أحد أعظم المناهج الأخلاقية على وجه الأرض، إلا أننا دائما متهمون بالإرهاب والعصبية وضيق الأفق وعدم قبول الآخر وأننا نعشق العنف والدم ونتلهى في أوقات فراغنا بتعذيب من يخالفنا المعتقد والدين.. فهل هذا كلام حقيقي؟!

أترك لك الإجابة.. وأطرح سؤالا آخر..

بالرغم من كون اليهود أقل عددا، ويفتقرون إلى منهج قويم محترم يطرحوه للعالم، الخلفية المتعلقة بهم في الأذهان أنهم بخلاء طماعون يفقئون عينيك إذا لم ترجع لأحدهم فوائد المال الذي أقرضك إياه، ولعل من قرأ رائعة شكسبير (تاجر البندقية) يدرك ما أقول، وبالرغم من ذلك فقد استطاعت هذه القلة المكروهة أن تسوق جيدا لثقافة الهولوكست وتروج لنغمة الاضطهاد، وتخلق مفهوما يخصها وهو السامية.

فكيف نجح اليهود في هذا؟...

أترك لك أيضا الإجابة.. ثم أتساءل ثالثة..



هل من الحكمة أن ندفن كنوزنا الحقيقية في باطن الأرض في الوقت الذي يبيعنا فيه الآخر بضاعته الركيكة على أنها ذهب خالص بالرغم من كون بريقها لا يتعدى القشرة الخارجية؟!

إننا يا أصدقائي بحاجة إلى أن نتقن فن تسويق (النفس والدين والقيمة والخلق).

التقيت ذات يوم بالمفكر البريطاني (داو ود بيدكوك) رئيس المركز الإسلامي البريطاني، وهو أول مركز إسلامي يؤسس في بريطانيا على خلفية رواية سلمان رشدي (آيات شيطانية) وسألته لماذا يتحمس دائما من يدخل الإسلام لخدمة الدين عن المرء الذي ولد مسلما أبا عن جد؟

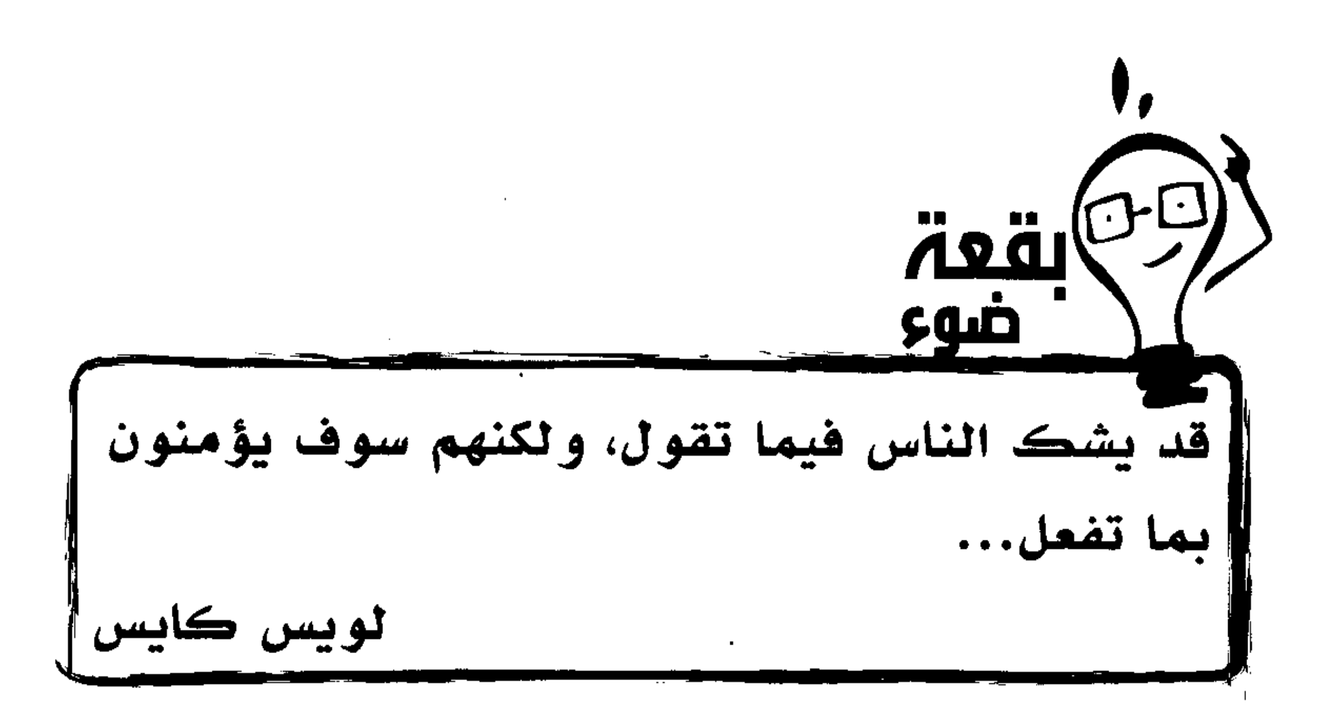
وقال لي: لأننا نأتي من هناك حيثُ العدم، فنرى إلى أي مدى بلغت عظمة هذا الدين، ونرى كذلك الخيبة التي تتملك المسلم في التسويق لبضاعته من القيم والأخلاق والمبادئ والحسن من السلوك والأفكار، وقال لي بالحرف (أنتم أفشل مندوبي مبيعات لبضاعة رائجة مطلوبة !)

إننا مطالبون يا صديقي أن نُظهر روعة ما نملك ونخرجه للناس إن اللؤلؤة تظل شيئا ليس له قيمة مادامت مخبأة في محارة في عمق البحر، ولا تظهر قيمتها إلا في عنق امرأة وهي تلمع في سحر يخطف الألباب.



القيم الجميلة التي نتبناها تنتظر إعلانك المبهر عنها مهاراتك وقدراتك تنتظر منك تسويقها بشكل أكثر حرفية وإقناعا..

ببساطة.. كل ما تحمله يا صديقي ينتظر منك أن تشرق.. كالشمس.



قد يشك الناس فيما تقول، ولكنهم سوف يؤمنون بما تفعل...

لويس كايس



6 فن الشكوى!

أشعر بالعجب الذي يطل من عينيك وأنت تتساءل: فن الشكوى؟؟!

وأُجبك: نعم، ولا غرابة.

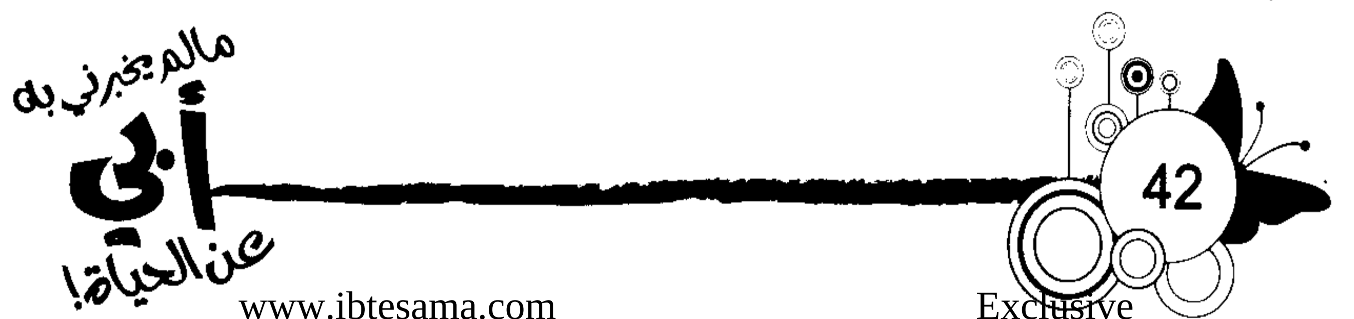
دعنا أولا نتفق على شيء هام، وهو أن البشر -أو معظمهم- لا يحبون الشخص دائم الشكوى، كثير التبرم من الظروف والحياة.

وأننا جميعا ننفر من المرء الذي يحاول أن يصبغ الأيام بفرشاة داكنة قد غمسها في وعاء أفكاره المتشائمة، ونحاول بكل جد تحاشيه أو مقابلته.

لكنني ورغم ذلك، أؤكد لك أن هناك بعض الأوقات التي تحتاج فيها أن تخرج ما بصدرك، وتتحدث عما أهمك، وتناقش أحدهم في شيء يشغل بالك.

لا بد من لحظات نحتاج فيها إلى أن نشعر أن البشر للبشر والمؤمن لأخيه، والإنسان لن يقدر على العيش دون أخيه الإنسان فيتحدث ويتناقش، حتى إذا أخرج ما بصدره تنهّد مرتاحا، وعاد لوجدانه شيء من الطمأنينة وراحة البال.

دعني أضف معنى آخر مهما وهو أن الشكوى في حقيقتها ليست شرا خالصا!



فالشكوى تكون في كثيرا من الأحيان نوعا من التفكير المسموع أو مدعاة للتمرد من أجل كسر حالة ما خاطئة، أو تحطيم عقبة تواجهنا.

خاصة إذا تركنا الشكوى من الأشياء التي ليس لنا يد فيها إلى الأشياء التي نستطيع تغييرها للأفضل.

بيد أن هناك إشكالية، كثيرا ما تحدث، فتجعل من شكوانا شيئا غير مُجدٍ، وبدلا من أن نشعر بالراحة بعدها تزيد تعاستنا أو على أقل تقدير نلوم أنفسنا على البوح والتعبير وإخراج ما بالصدور.

يحدث هذا الخلل عندما نتحدث إلى الشخص غير المناسب وللأسف كثيرا ما يحدث ذلك.

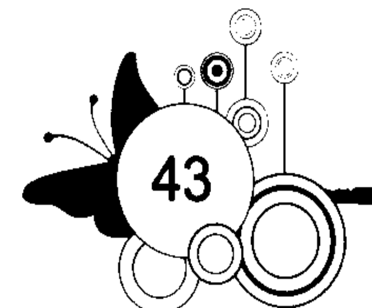
نعم إنها لمشكلة أن نتحدث إلى شخص لا يستطيع عمل شيء حيال موضوع الشكوى، فعلى سبيل المثال ترى من يشكو زوجته لصديقه، ويذهب إلى زوجته ليشكو لها مديره المتعنت، ويتحدث مع سائق التاكسي عن التناقضات في لائحة العمل بشركته!!

فما الذي استفاده الشاكي في هذه المواقف..؟!

لا شيء.. سوى مزيد من الضجر والتبرم.

ودعني أُسرّ لك أن الشكوى لأشخاص ليسوا معنيين بموضوع الشكوى، يريح بعض الأشخاص..!

وتفسير ذلك أن من يشتكي ويتذمر للشخص غير المناسب -رغم



علمه بذلك- يحاول الهرب من مواجهة الواقع بشجاعة فهو لا يملك من الجرأة ما يؤهله لقول (لا) لمديره، أو الاعتراف بالخطأ لزوجته، أو لئم شمل عائلته، أو الجلوس لتنقية الأجواء مع أصدقائه.

فهو يتخذ من الشكوى ذريعة للهروب من المسؤولية.

والأفضل له أن يتحلى بالشجاعة، ويشكو لمن يستطيع حل مشكلته، ويفضفض لمن يملك مفاتيح الراحة والسعادة.

أعود لأكرر أنه يجب عليك ألا تشكو بشكل دائم مستمر، وإنما أخرج ما بقلبك حينما تشعر أنه قد أثقل روحك، وتحتاج إلى تنقية ذهنك وصدرك بالحديث الدافئ مع صديق أو قريب.

وأنك يجب أن تتحدث وتشكو للشخص المناسب، الذي يملك روحا إيجابية، فيعطيك حلا ناجعا، أو نصيحة مثمرة، أو يريح قلبك من عناء ما أهم بك.

والخلاصة: قلّل من الشكوى قدر استطاعتك، فلا فائدة ترجّى من كثرة الشكوى، وما أقل من نشكو إليهم، وإذا اضطرتك الظروف في أوقات ما إلى الشكوى، فليكن هذا لشخص تعلم جيدا أنه سيفيدك في شكواك، وسيعطيك ما تحتاجه من نصيحة أو توجيه ويمتلك أذنا تُدرك كيف يكون الصمت والاستماع!





7 لا تعش في جلباب أبيك!

أكثر من ٩٧٪ من أهل الأرض لا يعيشون أحلامهم، بل أحلام أشخاص آخرين..!

- محمد التحق بكلية الهندسة لأن والده يريد أن يراه مهندسا!

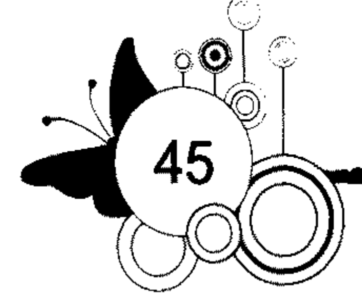
- علي تزوج من الفتاة التي أحضرتها له أمه، ورأت أنها الأقدر على إسعاده.

- مازن قرر العمل في المبيعات رغم كونه لا يحبها، نظرا لأنها المتاحة أمامه وهو قد مل من أخذ مصروفه من أبيه وقارب أن يتم عامه الخامس بعد العشرين.

أكثر الأسئلة التي تصلني على بريدي الإليكتروني طلبا للاستشارة هي: (لا أعرف ما الذي أريد تحقيقه في هذه الحياة!)

وبرغم غرابة السؤال، إلا أن الناظر في حياتنا يرى أنه السؤال الأكثر منطقية في أيامنا هذه، فالشاب الذي عاش حياته مُسيّرا إلى أن بلغ حد الرجولة، كيف تتوقع منه أن يعلم أين يمضي ومتى يمضي والأهم كيف يمضي!

إن الأوامر التي تلقاها في حياته لم تترك له مجالا لتحديد مصيره.



ودائما ما أبدأ حديثي مع هؤلاء قائلا: عش أحلامك.. واخلع جلباب أبيك! وعندما يسألني أحدهم كيف أعيش أحلامي؟

أخبره بأول شيئين يجب أن يعلمهما جيدا، أن يعرف أولا ما هو الحلم الذي يود تحقيقه، بعدها عليه أن يحترم هذا الحلم حينها سيصبح أمر تحقيق هدفه وحلمه (مسألة وقت).

اختر حلمك، وهدفك، وطموحك، حسبما ترى وتؤمن، إنها حياتك أنت، وأبسط واجب منك تجاهها أن تحياها كما تريد وتدفع ثمن هذا الاختيار.

من الآن فصاعدا لا يجب أن تنظر لأبيك بطرف عينك، لترى هل رضي أم رفض قبل أن تعلن رأيك، احذف من قاموسك الإجابة المميتة: (أي شيء) إذا ما سألك أحدهم عما تريده ولا ترضَ بالقليل، ليكن لك رأي في كل شيء، خاصة فيما يتعلق بحياتك ومستقبلك أعلن رأيك بقوة وجرأة وشجاعة لا غضاضة في أن تناقش هذا الرأي، وتصحح ما قد يشوبه من خلل أو خطأ، لكن في الأخير لا يجب أن تتنازل عن حقك في تحديد مصيرك وحياتك، وصدقني: إن متعة الخطأ في اختيارك الحر، تفوق سعادة الصواب فيما تم اختياره لك!

هيا أحضر ورقة وقلما ودوِّن أهم ٢٥ شيئا تود تحقيقهم في الحياة هل ستكتب في صدر القائمة سيارة BMW وفيلا تطل على البحر



الأحمر، لا عليك ستجد أنك قد كتبت أيضا أريد أن أصبح زوجا رائعا وشخصا مؤثرا، وأن يكون لوجودي معنى في الحياة.

ضع هذه الورقة أمامك، تأملها بعمق، ثم ابدأ في تصعيد أكثر هذه الأسباب أولوية ليكون على القمة، ضع الأسباب التي جعلت من هذه الأهداف ذات أهمية وأولوية لديك.

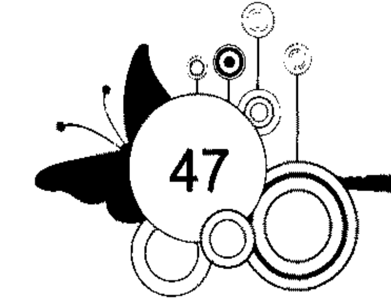
الآن قم بما يجب عليك القيام به، مثلا.. هل على رأس قائمتك الحصول على شهادة علمية؟ الآن قم بجمع المعلومات المناسبة عن كيفية الحصول عليها، ضع خطة زمنية، ابدأ في الخطوة الأولى الآن.

المهم أنك قبل أن تخطو ستكون قد فكرت، وقررت بناء على قناعة داخلية قوية، وإيمان حقيقي.

وأؤكد لك أن العالم بأسره سيفسح لك الطريق، وبأن الشمس ستنير دربك بضوئها، وستغني لك الطيور أنشودة النصر، ولم لا؟.. وأنت واحد من القلائل الذين شقوا طريقهم باختيارهم.

وليس في الأمر ثمة تفاؤل مبالغ فيه، أو مثالية مفرطة، فما أود منك فعله أن تكون صاحب رأي وموقف، وألا تفعل -فقط- ما تمليه عليك الظروف، أو يدفعك إليه أبواك أو المجتمع.

للأسف أعرف من الأشخاص من لا يملك القدرة على اختيار ملابسه فأهله أو أصدقاؤه هم من يشيرون عليه بما يصلح وما لا يصلح!



وهيهات لمن لا يستطيع اختيار حذاء أن يختار الطريق الذي سيسلكه..!

ممتعة هي الحياة لمن عاشها بإرادته، وأملى عليها شروطه، وألقى لها بقائمة مطالبه!

والخلاصة: لا تعش أحلام شخص آخر، ولا تسمح لأحد أن يختار لك طريقك، أو يملي عليك ما يجب عمله، لتكن حياتك قائمة على ما تريده وتقرره، ولا ترضى أبدا بالقليل من الطموح، نل من الحياة ما تريد بقوة..وإصرار.



8 هيئ مكانا لسيارتك المرسيدس!

من عادتي بغضُ المثالية المفرطة، ودائما ما أحب الواقعية التي تشعرني باحترام من يخاطبني لعقلي وإدراكي!

لذا قد يبدو غريبا بعض الشيء أن أطالبك بالبدء في البحث عن مكان مناسب لوضع سيارتك المرسيدس التي ستشتريها يوما ما..!

صدقني لست مازحا، أو واهما، أو أحلّق في الخيال..

ما أود إيصاله لك في هذه الفقرة، أن أحلامك الكبيرة يجب أن تنظر إليها بأهمية كبيرة، وتراها شيئا لا يحتاج سوى إلى (بعض الوقت).

لمايكل أنجلو الرسام العبقري عبارة رائعة تقول: الخطر الأعظم بالنسبة لمعظم البشر ليس في أن يكون هدفنا كبيرا عاليا لدرجة صعوبة تحقيقه، وإنما في أن يكونا بسيطا متواضعا من السهل تحقيقه!

نعم الخطر أن نرضى بالأحلام والأهداف المتواضعة، بالرغم من أن قدرة معظمنا كبيرة، ونستطيع بقليل أو كثير من الجهد أن نحقق ما ظنناه يوما ما شيئا خياليا غير قابل للتحقيق.

إن المرسيدس لا تعني السيارة في ذاتها، وإنما تعني كل حلم عظيم.

قد يكون هذا الحلم حفظ القرآن كاملا، أو أن تصبح مليونير فقط حدد هدفا كبيرا وآمن به، وابدأ في أخذ الخطوات التي ستوصلك إليه.

ولعلك لا تدرك حقيقة في غاية الأهمية والوضوح، **وهي أن الحلم الكبير لا يحتاج إلى مجهود أكبر بكثير من الحلم الصغير كي يتحقق!!**

نعم أن تصبح موظفا عاديا في دائرة حكومية، تمارس عملا واحدا طوال سنوات عمرك، لن يكلف أقل مما سيكلفك أن تصبح صاحب شركة أو تدير عملا خاصة.

فقط قليل من الجهد، قليل من التعب والدراسة، ولكن كثير من الشجاعة.

أرى هذا الأمر بوضوح مع أصدقائي من المؤلفين والكتاب فمنهم من يكتب كتابا رائعا وغاية أمله أن يبيع منه ألف نسخة كي يشعر بالسعادة والنجاح، وهناك من لا يعترف بالنجاح البسيط ولا يهدأ باله قبل أن يتم توزيع خمسين ألف نسخة أو أكثر، والفارق بينهما ليس في قوة ما يحتويه الكتاب من معلومات وآراء وأفكار، وإنما فيما



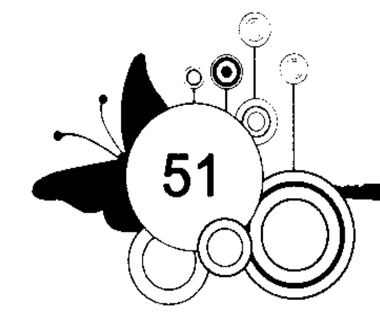
يحتوي عليه صدر كل منهما من طموح وعزيمة وإصرار.

وما أعجبني في هذا الأمر، موقف الإمام الكبير العز بن عبد السلام إمام المسجد الأموي بدمشق، عندما قام الملك الصالح -ملك الشام- بعمل اتفاق مع الصليبيين ضد إخوانه المسلمين فقام الإمام بن عبد السلام وخطب في المسلمين خطبة، هجا فيها هذا القرار وندد بالاستعانة بالصليبيين ضد إخوانهم المسلمين فسجن الإمام ولما هاج الناس غضبا وإعتراضاً، تم نفيه إلى مدينة (الكرك) فجلس فيها لفترة، ثم قرر الرحيل بعد انقضاء الغمة، فقال له أمير الكرك -وكانت ولاية كبيرة- ابق معنا يا إمام، وسنجعلك قاضي القضاة وسنعطيك ونعطيك.

فقال له الإمام كلمة في غاية الغرابة، وذات دلالة وعمق بالغين قال: بلدك يا مولاي أصغر من علمي!!

وجمع الإمام حاجياته وذهب إلى مصر، فكان فيها سلطانا للعلماء، وقاد حركة تجييش الشعب في حربه ضد التتار، وكان قائدا لحركة شعبية كبيرة.

لقد عرف هذا الرجل طموحه وغايته، كان حلمه غير قابل للمساومة، لم يرض حتى بالبقعة الجغرافية التي أرادوا له الجلوس فيها، ووجدها (صغيرة على حلمه وعلمه).



النفس يا صديقي تهوى الراحة والركون، والهدف الكبير يستفزها فتحاول أن تثنيك عن تحقيقه، وتراهن على فشلها في بلوغه، وتُظهر لك العقبات والمشكلات التي تنتظرك.

هنا يجب عليك أن تلجمها بلجام همتك، وتثيرها بنشيد حماستك وتنقل لها شحنة الإصرار التي تحركك.

وستقابل بلا شك يا صاحبي من يحاول إثناءك عن تحقيق هدفك وخلخلة ثقتك في إمكانية الوصول إليه، فلا تصغ إلى صوتهم ولا تهتم بأمرهم.

محمد بن أبي عامر كان شابا في العشرين عندما تمنى أن يصبح أميرا على قرطبة، سخر منه أصدقاؤه وذكروه بأنه كاتب رِقَاع، وأقصى ما يمكنه تمنيه ظل جدار في شوارع قرطبة يجلس إليه ليكتب رسائل الناس مقابل درهم أو درهمين.

ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى أصبح محمد بن أبي عامر أميرا على الأندلس كلها لا قرطبة فحسب، وأنشأ الدولة العامرية صاحبة الفتوحات الكبيرة والانتصارات الرائعة.

بل دعني أذكر لك مشهدا أثار العالم في فترة السبعينيات، ففي عام ١٩٧٧ نُشر خبر مثير، مفاده أن سيدة من ولاية فلوريدا بأمريكا وتدعى لورا شولتز وتبلغ من العمر ٦٣ عاما، استطاعت أن ترفع مؤخرة



سيارة بويك لتحرر ذراع حفيدها من تحتها بالرغم من أن هذه العجوز لم تقم برفع شيء يزن ربع وزن السيارة التي رفعتها ! !

أثار هذا الأمر فضول الكثيرين، وذهب إلى بيتها معظم وكالات الأنباء كي يجروا معها لقاءات تتحدث فيها عن تلك القدرة الخارقة.

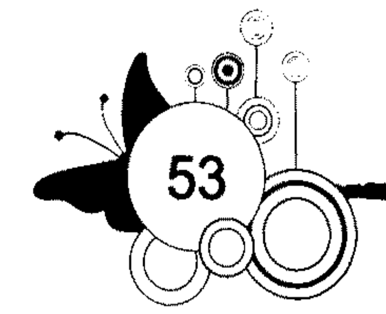
وكان ممن اهتم بهذا الأمر، أحد الكتاب المهتمين بالتطوير الذاتي وتنمية الشخصية ويدعى تشارلز جارفيلد، فذهب إليها، بيد أنه وجدها حزينة ومكتئبة ولا تريد التحدث في هذا الأمر! فتودد إليها تشارلز، إلى أن قالت له إنها حزينة جدا لأن هذا الأمر -رفع السيارة- قد حطم معتقداتها بما يمكنها تحقيقه، وزعزع لديها بعض الثوابت الخاصة بما هو ممكن وما هو مستحيل.

وقالت له: إن ما يؤلمني أنني فعلت في هذا العمر شيئا كنت أراه مستحيلا من قبل، فما الذي يعنيه ذلك؟ هل يعني أن حياتي كلها قد ضاعت ولم أحقق أشياء كثيرة فيها كنت أراها مستحيلة ! ؟.

لقد توقفت أمام هذه الكلمة الأخيرة وسألت نفسي:

ـ هل يجب أن أرفع سيارة أو أفعل شيئا خارقا كي أثبت لنفسي أني قادر -وأنا في الثلاثين- على حفظ القرآن الكريم كاملا؟

ـ ألا يجب أن أعيد النظر في مستوى طموحاتي لأرفعها عاليا ما دام تحقيقها ليس بالشيء المستحيل؟



ـ هل يجب أن أولد غنيا، أو أحترف السرقة كي أمتلك سيارة ومنزلا جميلا ومستوى اجتماعيا يرضيني؟

سبحان الله، حتى المطمح الأخروي يجب ألا نتواضع فيه، فهذا رسول الله ﷺ يخبرنا أن: (إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس الأعلى من الجنة).

ولكل منا مطمح وأمل، فاختر من أحلامك أكبرها، ومن آمالك أعظمها، وتوكل على خالقك وسله التوفيق، وأرنا عزيمة الأبطال.

بقعة ضوء

> ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور لآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاءه بالأرض.
>
> ابن الجوزي



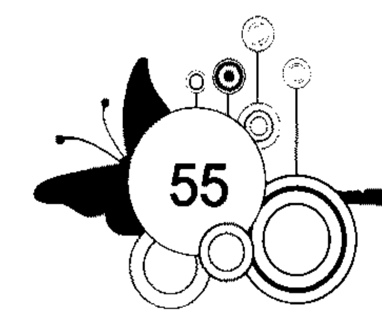
9 لا تلتفت لما يقولونه عنك

هل سمعت من قبل عن قاعدة (١٨ـ ٤٠ ـ ٦٠)؟

هذه القاعدة ببساطة تخبرك بشي هام جدا، وهو أنك وفي سن الثامنة عشرة تكون مهتما للغاية برأي الناس فيك، ومنتبها لما يقولونه عنك، وقلقا بخصوص ما يشعرون به تجاهك، وعندما تبلغ سن الأربعين تصبح غير مهتم البتة بما يقوله الناس عنك غير آبه بآرائهم فيك، ولا يقلقك ثناؤهم أو نقدهم، بينما وأنت في الستين تدرك الحقيقة الغائبة وهي أنه لا أحد في الحياة كان مهتما بك للدرجة التي كنت تظنها طيلة حياتك!

إننا كثيرا ما نعطي لرأي الآخرين أكثر مما يستحق، ونزن أفعالنا بانطباعاتهم، وأنى للناس أن يعايشوا ويتفهموا ما نحن بصدد المضي فيه وتحقيقه؟!

لو فتشنا في قلوب الناس لوجدنا العجب العجاب، فمنهم من برئت نفسه من الأثرة والأنانية فأحبك وتمنى لك التوفيق ومنهم من أغاظه نجاحك وتفوقك وينتظر لك السقطة كي يتشفى فيك وهناك



من لا يرتاح لمرآك، وآخرون يطربهم سماع صوتك، فهل سترهن حياتك بما يبنيه الناس عنك، سواء سلبا أو إيجابا؟! أبدا ليس هذا بالأمر الرشيد.

ولكن الخير أن تستمع لما يقال لك، تتأمل في كل نصح أو نقد أو توجيه، تفكر فيه جيدا، تُعمل فيه عقلك، فإذا عزمت فلا يثنينك كلام أحد، ولا ينال منك تثبيط القاعدين.

لو استمع النبي ﷺ لمن اتهموه بالجنون لما انتشر الإسلام، ولو قعد حزينا بسبب من حملوه وزر من ترك دينه وخاصم أهله ما كنا مسلمين، ولو توقف الحبيب ﷺ ليرد على من قال إنه شاعر ينظم الشعر ويوهم الجهلاء أنه كلام رب العالمين، لانتهت حياته ﷺ وما فعل شيئا.

لكنه علّمنا ﷺ أن ننطلق متمسكين بثبات عقيدتنا، ورسوخ قيمنا ومبادئنا، ولا نستمع لقول من لا يعلم.

يكون الأمر أكثر إلزاما إذا كنت من أصحاب الأحلام الكبيرة العظيمة، المستعصية على أفهام البسطاء العاديين، فنسبة المقاومة والتثبيط ستكون عالية مرتفعة، وكلٌّ يظن أنه يُخلص لك الكلام والنصح.

إن استقلاليتك العقلية، وتحررك من سيطرة الناس أمر بالغ الأهمية



في تحقيق أحلامك وأمانيك، ولن يتأتى هذا إلا إذا كانت معتقداتك وأفكارك، ومن ثم أحلامك، مبنية على أسس سليمة راسخة متينة تعطيك ترياقا ضد حملات التشكيك والاستهزاء والنقد الآتي من الآخرين.

بقعة ضوء

السبيل للارتقاء هو أن تطور نفسك بكل السبل الممكنة ولا تشكو ممن يعمل على منعك من هذا الارتقاء، فقط انظر للأمام.

إبراهام لينكولن.



10 روعة الإخفاق

هل تخشى الفشل، وترهب الإخفاق، وتتحاشى تجارب قد لا تستطيع أن توفق فيها؟

إن كانت إجابتك بنعم، فلديك ثمة مشكلة، وأغلب الظن أنك لن تستطيع تحقيق أحلامك!

فالفشل يا صديقي هو جناح النجاح، وروحه، وجوهر وجوده، ولن ترى ناجحا في الحياة، لم يسقط يوما أو يَكبُ، وأتحدى أن يتجرأ أحد على سنن الله في الكون ويفخر بأن التوفيق لازمه على طول الخط.

فالفشل صقل لتجارب الواحد منا، وإصلاح لمنحنى حياتنا ولبنة في صرح نجاحنا.

يُعرف رئيس الوزراء البريطاني السابق (ونستون تشرشل) النجاح تعريفا جميلا فيقول: (النجاح هو القدرة على الانتقال من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماستك).

وكأنه جعل من الفشل أصلاً من أصول النجاح لا يتم إلا به ولا يكون إلا بتذوقه.



ولكن هل معنى هذا أن نرضى بالفشل ونستكين له!؟

بالطبع لا، وليس هذا مربط فرسنا، بل هو أبعد ما يكون عما نريد إن ما أريده منك أن تؤمن بشيء في غاية الأهمية، وهو أن الفشل وارد جدا ما دمت قد قررت أن تصنع شيئا، والإخفاق قريب من الشخص الذي ينشد التغيير.

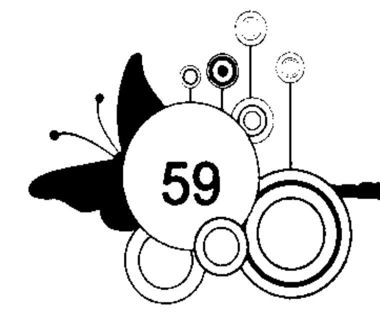
وأنك ببساطة كلما كنت فعالا في الحياة، كثير العمل والحركة والاجتهاد كلما كثرت أخطاؤك، بعكس المستكين الذي لا يفعل شيئا ولا يقدم لنفسه أو مجتمعه أي بادرة إيجابية.

والرد المناسب على الفشل هو النجاح الكاسح، والتعامل الأمثل مع الإخفاق يكون بتكرار التجربة، وإعادة الكرّة، ودراسة أسباب الإخفاق للتغلب عليه.

للأسف كثير من الناس أقعدتهم التجارب الفاشلة، نالوا حظهم من الإخفاق فأغلقوا باب التجربة والعمل، وهؤلاء -لا غيرهم- هم الفاشلون.

والحقيقة التي لا يعلمها كثير من هؤلاء الفاشلين، أن منهم من كان قريبا جدا من النجاح حينما قرر التوقف والاستسلام للفشل!

نعم.. كثير من البشر يتوقفون ليجنوا مرارة الفشل، ولا يدركون كم كانوا قريبين -لو تسلحوا بالصبر والعزيمة- من النجاح والتفوق.



إن المنهج الإسلامي يقرر قاعدة هامة في الاجتهاد والعمل ويرفع من فوق كاهل المجتهدين العائق النفسي الذي يمنعهم من التجربة والإنتاج، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر).

أي منهج هذا الذي يعطي للمرء أجرا عندما يخطئ، ويكافئه عند إصابته وزلله!

إنه المنهج الذي يدفع بأبنائه إلى الاقتحام والتحدي والتجريب مطمئنا إياهم أنه سيقدر حتى خطأهم بشرط أن يأخذوا بالأسباب ويدرسوا خطواتهم جيدا.

فإذا ما أخطأت، وأخفقت في تحدي من تحديات الحياة، فاعبر أحزانك وآلامك بسرعة، وإليك الطريقة.

ما الذي يجب علينا فعله عندما نُخفق؟

هذه نقاط تساعدك فى عبور التجارب الغير موفقة التى قد تمر بها:

١. التأكد أن الفشل لا يعني أنك إنسان فاشل.

طبيعي أن تحزن عند الفشل، وتتألم من الإخفاق، لكن من المهم جدا ألا تدع المشاعر السلبية تسيطر عليك، وتضيق الخناق حول عنقك.



من الأهمية بمكان التفريق بين محاسبة النفس لتتعلم من الخطأ وجلد الذات والانغماس التام في تأنيب النفس، وتوعدها، ونعتها بالغباء وعدم الإدراك.

٢. تأكد من أن الفشل ليس معناه أنك غير قادر على فعلها.

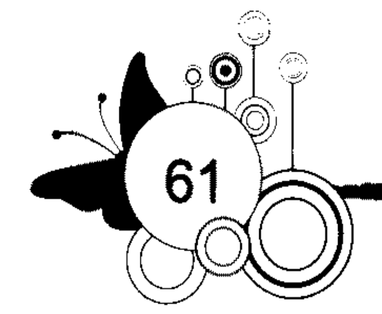
ليس معنى فشل زواجك أنك زوج فاشل، ولن تستطيع النجاح مستقبلا في الزواج، وليس الإخفاق في العمل مؤشرا على أنك إنسان لا تستحق هذا العمل، وبأنك يجب أن تبحث عن عمل غيره.

كلا.. الفشل في تجربة جعلك أكثر وعيا عند تكرار نفس التجربة وقلل من نسبة وقوعك في الأخطاء السابقة، وربما قربك من درجة الخبرة في هذا الأمر.

بشرط أن تتعلم من أخطائك السابقة جيدا.

٣. فرِّق بين الفشل في اختيار الطريق، والفشل في اختيار الهدف.

وذلك لأن الكثير منا عندما يفشل في الوصول إلى غايته يبدأ في التشكيك في الغاية، بالرغم من أن المشكلة كانت فقط في الطريق الذي سلكه، وهذا اللبس هو أخطر ما يمكن أن يواجهه المرء منا، لأنه قد يدفعنا إلى إضاعة الكثير من عمرنا في التنقل من هدف لهدف



ويجعلنا مشتتين في اختيار ما نريد، متذرعين بأننا لا نعرف ماذا نريد بالرغم من كوننا فقط نحتاج أن نعرف طريقا آخر يؤدي إلى ما نريده.

٤. تأكد من أن الفشل لم يسرق منك عمرك.

لا تدمن البكاء على الأيام التي قضيتها في فعل شيء ما، لم يكتب لك النجاح فيه، فالخبرات التي أضفتها إلى صندوق تجاربك -صدقني- لا تقدر بثمن، ثم إن الحياة ما هي إلا مجموعة تجارب ورسولنا الكريم ﷺ يحمسنا دائما أن (الأعمال بخواتيمها)، والعبرة بالنهاية.

٥. الفشل ليس معناه الفشل!!!

لا تتعجب.. الفشل ليس معناه أنك قد حصلت على شهادة فاشل، ولا تعني أن العالم يوجه نحوك أصابع الاتهام، أو ينظر إليك نظرة استنكار وريبة.

ليس معناه أنه قد كُتب عليك أن ترضى برداء الخزي، وتقضي بقية عمرك في صفوف المثبطين الفاشلين، كلا.

إنها تجربة وليست النتيجة النهائية.. موقعة وليست الحرب.. مرحلة وليست نهاية المطاف.

وصدقني.. أضواء النجاح لن تكون مبهرة إن لم يسبقها شيء من ظلام الفشل.



الخلاصة: استمتع بالفشل من خلال تعلمك منه، واحرص على التأمل في إخفاقاتك لترى بين ظلامها نقطة ضوء قد تنير لك درب حياتك كلها.

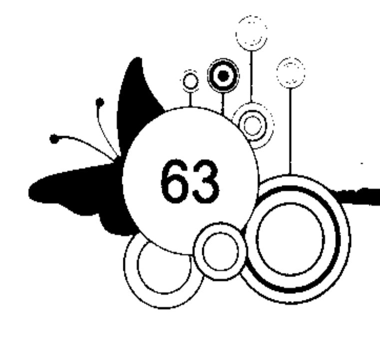
وتأكد من أن الفاشل الحقيقي هو من أقعدته همته عن تكرار المحاولة بعد إخفاق أو أكثر، وأن من أهم لبنات بنيان النجاح لبنة الفشل والإخفاق.



الفشل نوعين: نوع يأتي من التفكير بدون فعل، ونوع يأتي من الفعل بدون تفكير...

جون شارلز سالاك





11 لا تحيى على أطراف أصابعك

هل أنت خائف؟

أقصد هل تشعر بالخوف والرهبة، بعدما قررت أن تقوم بتغيير شيء ما في حياتك، ترى بأنه سيجعلك أفضل مما أنت عليه الآن؟

من الطبيعي جدا أن تشعر بالخوف والقلق إذا ما فكرت في تغيير شيء قائم، أو القيام بعمل غير مألوف، وكلما زادت المخاطرة، كان قلقك أشد، وخوفك أكبر.

فالخوف -كما يراه علم النفس- حماية للمرء من عوامل التهديد والمخاطر، إلا في حالة أن يكون الخوف حاجزا أمام الرُقي، ومانعا للمرء من العمل والاجتهاد والتقدم، هنا يكون حالة مرضية يجب التخلص منها ومعالجتها.

ومن الثابت أن المرء الذي يعمل من أجل تغيير شيء قائم، يُجابَه بجيوش من المشاعر السلبية والمحبطة التي تحاول إقعاده عن تحقيق مراده. أهمها: مشاعر الخوف، وهو إما يكسب الرهان، ويتفوق على نفسه ومشاعره السلبية هذه، وإما يخسر وقد تملكته مشاعر الخوف والرهبة والقلق.



الواحد منا إما أن يحيا على أطراف أصابعه وجلا خائفا من المجهول متوجسا من طرق أبواب جديدة، محتميا بما عرفه وألفه، وجربه قبله كثيرون.

وإما مقداما شجاعا، مؤمنا أنه لن يعيش الحياة سوى مرة واحدة وأنه ليس هناك فرصة ثانية، فيقتحم المجهول، ويستمتع بلذة التجربة بل وبلذة المخاطرة والإقتحام.

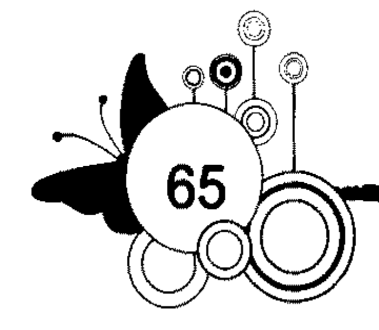
وفوق هذا، هناك المعلومة التي ينبهنا إليها مارك توين، الكاتب الأميركي، حيثُ يخبرنا بشيء في غاية الأهمية، فيؤكد أنه عاش حياة طويلة حافلة، وكان يحمل بقلبه الكثير من المخاوف لكنها لم تحدث أبدا!!، وينبهنا إلى أن معظم مخاوفنا لا تأتي، وبأننا نموت دون أن نعيشها!

إن النفس التي بداخلنا دائما ما تنذرنا بالويل! وكثير منا يتحركون وفي أذهانهم دائما السيناريو الأسوأ للأحداث، مما يؤثر على قراراتهم الحياتية، ويقعدهم عن اتخاذ إجراءات هامة ومصيرية.

ودعني أخبرك بقاعدة هامة من قواعد الحياة وهي أن:

النجاح لا يوهب.. بل يُنتزع انتزاعا!

وأنك ببساطة مخير بين أن تكون إنسانا عاديا -وربما فوق العادي



بقليل- وتنمتع بالأمان، وإما أن تكون إنسانا عظيما وتواجه بعض المخاطر والعقبات.

إما أن تعيش على أطراف أصابعك خشية صنع ضجيج يلفت انتباه العالم إليك، وإما أن ترفع صوتك عاليا مؤكدا وجودك وقبولك تحدي الحياة بشجاعة وجسارة..

روبرت كيوساكي يقول في كتابه الرائع (الأب الغني الأب الفقير):
(إن أهم قاعدة كي تنتقل من فئة الفقراء إلى مصاف الأغنياء هو أن تُطلّق ذهن الفقير وطريقة تفكيره وتعامله مع الحياة، وتبدأ في تبني أفكار الأغنياء وسلوكهم، إن أهم ما يجب عليك فعله هو أن تتخلى عن الخوف الذي يمنعك من اقتحام المخاطرة، إن الخوف هو الذي يبقي الناس عالقين بالشَرَك، هو الذي يجعلهم دائما يختارون الشيء الأمن البسيط الأقل مخاطرة مما يجعلهم يرتضون الأقل دائما!)

معظم البشر يختار الخيار الذي يوفر له الحد الأدنى من طموحاته يرتبك إذا ما شعر بثمة خطر يطرق باب حياته، فضلا عن اقتحامه هو للمخاطر ومواجهتها.

لا أقول ابحث عن المخاطر، أو عش في قلق، لكنني أنبهك -قبل أن تُفاجأ- أنك ما دمت قد قررت أن تكون شخصا طموحا كبيرا، مبدعا فإن الخطر والخوف والرهبة سيزحفون إليك.

فاستعد لهم.



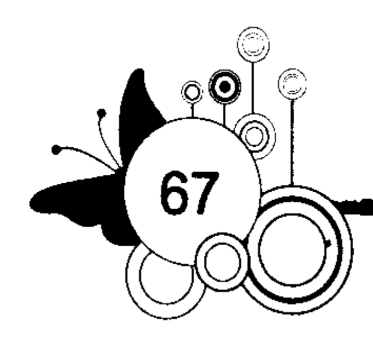
والخلاصة.. يجب أن تتيقن من أن التغيير سيجلب لك المتاعب فلا تخشَ مجيئها، ولكن تجهز لها، ضع نفسك في حزب الفاعلين وتحمل نتيجة هذا القرار، وارفض أن يكبلك الخوف، فتسير في ركب البسطاء والعاديين.



إن شكوكنا خوانة لنا ، فهي تفقدنا الخير الذي يمكننا أن نحظي به من خلال خوفنا من المحاولة .

ويليام شكسبير





12 ادفع ثمن النجاح

بعدما قرر الصحابي الجليل صهيب الرومي، الهجرة من مكة إلى المدينة ليلحق برسول الله ﷺ ، طارده مشركو قريش وحاصروه في الطريق، فاحتمى منهم في معزل من الجبل وكان رضي الله عنه ماهرا في رمي السهام، فخافوا أن يقتربوا منه لكنهم أخبروه أنهم لن يدعوه يذهب إلا بعدما يعطيهم كل ما يملك، قائلين له: أتيتنا صعلوكًا فقيرًا فكثر مالك عندنا وبلغت بيننا ما بلغت والآن تنطلق بنفسك ومالك؟

فدلهم على المكان الذي خبأ فيه ثروته فتركوه وشأنه وعندما وصل إلى المدينة، ذهب إلى رسول الله ﷺ ، فما إن رآه النبي ﷺ وعلم بقصته حتى قال له: ربح البيع أبا يحيى.

إن صهيب رضي الله عنه اشترى إيمانه بكل ماله، ولم يجعله غلاء الثمن يتشكك لثانية في قيمة الصفقة التي يريدها.

والمرء منا بحاجة لأن يؤمن بأن للنجاح ثمنا يجب أن يدفعه، سواء كان هذا النجاح ماديا أو أدبيا أو اجتماعيا أو حتى أخرويا.

ولو كان النجاح مجانيا، لتجرأ كل خامل كسول على طلبه والوصول إليه.

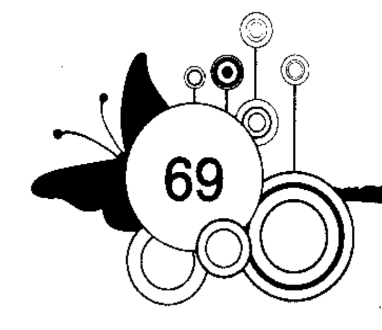


كل الناجحين في الحياة يخبرونك أن للنجاح ثمنا يجب أن يتم تحصيله أولا قبل الحصول عليه.

مايكل أنجلو الرسام الشهير، والذي يراه كثير من الناس موهبة وأسطورة، يقول لمن يظن أن النجاح مجرد إفراز لموهبة أو ضربة حظ: (لو علمتم حجم الجهد الذي بذلته، والعمل الشاق الذي كنت أقوم به من أجل أن أصنع نجاحي، وأصبح مايكل أنجلو، لما بدت لكم مهارتي مدهشة على الإطلاق، لقد رقدت على ظهري لأربع سنوات كي ارسم سقف كنيسة سيستسن).

اللاعب المصري محمد أبو تريكة، أحسن لاعب مصري وعربي لأكثر من عام، والذي استطاع أن يستحوذ على إعجاب واحترام الشعب العربي كله، من خلال أدائه الممتع والتزامه الخلقي وتفاعله مع قضايا مجتمعه وأمته، قال لي بعدما سألته عن سر تميزه: كل ما أعلمه أنني أؤدي ما يجب عليّ أداؤه، إني أدفع الثمن مقدما عبر جديتي في التدريب، والتزامي بتوجيهات مدربي، واحترامي للجمهور الذي يأتي ليشاهدني.

عمر سمرة، أول مصري يصعد قمة إيفرست، سألته بعدما خط اسمه في موسوعة جينس للأرقام القياسية، وكتب التاريخ كأول مصري يفعلها، عن كيفية تحقيق حلمه، فأكد لي أن الصعود للقمة استغرق أسبوعين، لكن التحضير له استمر أربعة أعوام كاملة



وأخبرني عن رحلته التي كانت أصعب مما تصورت وعن شعوره عندما فوجئ بجثة أحد المتسلقين أمامه، بيد أن أهم ما أكده لي عمر أن الرجوع عن تحقيق حلمه وتسلق الجبل لم يزر خياله قط فكيف يعود وقد دفع ثمن النجاح كاملا وصار قاب قوسين أو أدنى من تحقيقه؟!

الدكتور نبيل فاروق، عميد أدب الشباب في العالم العربي ورائد أدب الجاسوسية في الشرق الأوسط، أخبرني بأنه اتخذ يوما ما قرارا غاية في الخطورة، لكنه كان الثمن الذي يجب دفعه، إذا كان يبحث عن النجاح، وهو استقالته من وزارة الصحة وترك عمله كطبيب والتفرغ للأدب، في وقت كانت مهنة الطب فيه مطمح معظم البشر.

يؤكد هذا الأمر أستاذ الإدارة الشهير، ستيفن كوفي بقوله: (كل من حقق نجاحًا ماليًا وعمليًا سيخبرك أنه عليك في بداية حياتك العملية أن تعمل بذكاء وشقاء، عليك أن تدفع ثمن النجاح مقدمًا وكاملاً، وليس هناك طريق مختصر).

في لحظة ما ستجد نفسك مجبرا على دفع ثمن النجاح، سواء كان هذا الثمن مزيدا من التعليم والتدريب، أو التنازل عن ميزة أو مكسب حالي، أو العمل بشكل مضنٍ ومتوالٍ بلا راحة أو استكانة.

وسيتوقف نصيبك من كعكة النجاح، على حجم دفعك لهذا الثمن، والجهد المبذول.

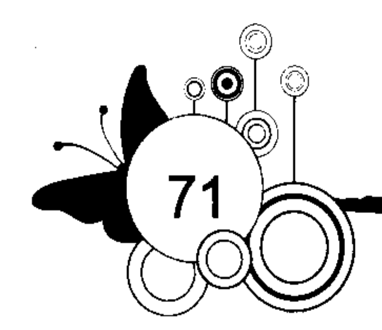


الخائفون يا صديقي لا يحصلون على شيء، وكل من يحاول أن يجمع بين النجاح والراحة، سيخيب سعيه.

ومن يأمل في أن يكون نابغة متميزا، دون أن يمر بتحديات تجبره على اتخاذ خطوات هامة وحاسمة وخطرة في بعض الأحيان، لواهم مخدوع!!

الخلاصة: النجاح ليس مجانيا! وضريبة النجاح يجب أن تدفعها مقدما، وبقدر تعبك وجهدك وصبرك، يكون الثمن والأجر.





13 أتقن معادلات الربح المشترك

جرت العادة في مباريات الكرة أن يكون هناك فائز واحد.

كما أنه في المحكمة يقف القاضي ليعلن في نهاية الجلسة حكما يعتبر انتصارا لطرف من المتنازعين، وهزيمة للطرف الآخر.

فهل الحياة كمباراة الكرة أو ساحة المحكمة لا تعترف في معادلاتها سوى بربح طرف وخسارة الآخر؟

هل على المرء أن يعمل بمبدأ (أنا وليذهب الجميع إلى الجحيم) نظرا لأن فوز الآخرين يعد هزيمة له؟

الحقيقة أن معادلات الفوز والخسارة في الحياة تتوقف كثيرا على المبادئ التي يتبناها المرء منا، فهناك من البشر من لا يرى سوى نفسه ولا يعنيه من أمر الناس شيء، كما أن هناك من يهتم بشأن الآخرين حتى لو على حساب نفسه، وهناك من لا يتحرك إلا بعدما يتأكد من أنه سيفوز وبشكل محترم يحقق الراحة للآخرين.

أستاذ الإدارة الشهير ستيفن كوفي في كتابه الرائع والمعنون بـ (العادات السبع للأشخاص الأكثر فاعلية) .



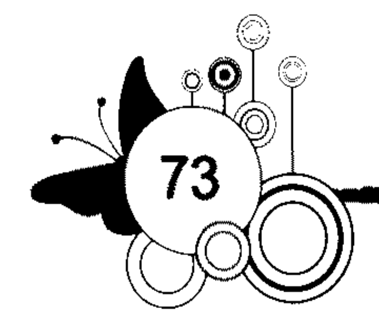
أكد أن هناك ستة احتمالات لمعادلات الحياة:

أنا أربح / أنت تخسر: أصحاب هذا المنهج يؤمنون أن الحياة لعبة مجموعها صفر، ولا يتحقق النجاح بالشكل المُرضي إلا بخسارة الطرف الآخر، وأصحاب هذا المبدأ أشخاص لا تنقصهم الشراسة شرهون للفوز دون النظر لأطراف اللعبة.

أنا أخسر / أنت تكسب: لعلك تتعجب من أن يكون هناك شخص يعمل على خسارته مقابل ربح الآخرين، ولكن للأسف فإن هذا كثيرا ما يحدث في حالات عدة، منها الإحباط الشديد وعدم الرغبة في الفوز، أو الترف الزائد وعدم توافر الحماسة، وهذا المبدأ يفتقر للايجابية، ومعتنقوه دائما ما يتصفون بالسلبية وقلة الحيلة.

أنا أخسر / أنت تخسر: هؤلاء هم الذين يتبنون قاعدة شمشون (عليّ وعلى أعدائي)، معتنقو هذا المبدأ تركيزهم دائما مصوب نحو المنافس، همهم الأول أن يردوه خاسرا، ومعتنقو هذا المبدأ اتكاليون يخففون وجع الفشل بالنظر إلى فشل الآخرين لذا فهم أشخاص سلبيون، بنيت مداركهم على أُسس هشّة.

أنا أربح / أنت لك الله: ما يهم الذين يتبنى هذا المبدأ أن يربح دون النظر إلى منافسه، نعم قد لا يتعمد إفشاله لكنه في المقابل لا يحاول أن يشاركه النجاح.



لا أخسر / لا تخسر: بمعنى أن تتم التسوية السلمية بين الطرفين دون خسائر، وليذهب كل منا في طريقه.

•

أنا أكسب / أنت تكسب: كلنا نربح، كلنا نلتزم بالاتفاقيات المشتركة، كلنا نبحث عن المصلحة المشتركة.

أصحاب هذا المبدأ ينظرون إلى مصلحة الآخر تماما كنظرهم إلى مصلحتهم، يؤمنون بأن مكسب طرف دون النظر للآخر، يعد أنانية وخطأ.

هذه هي المعادلات الست التي نعمل وفقها، ونلتزم بأحدها في الحياة، وبالطبع الخيار الأخير (أنا أكسب / أنت تكسب) هو ما قد نوافق على فاعليته وقوته، لما يوفره لجميع الأطراف من مكاسب مشتركة، بيد أن ستيفن كوفي أكد -رغم إيمانه الشديد بمبدأ المكاسب المشتركة- بأننا قد نلجأ للنماذج الأخرى في بعض الأوقات حيث تكون فاعليتها أقوى، فنموذج الربح الخسارة هو الفعال في التنافس الرياضي، وقد نلجأ إلى نموذج (أنا أخسر أنت تكسب) إذا وجدنا أن تنافسنا في أمر ما، قد لا يستحق ما ننفقه عليه من جهد ومال.

وأن خسارة قريبة بسيطة، أفضل من الصمود والخسارة الكبيرة فيما بعد.



لكن في الأصل، يظل نموذج (أنا أكسب أنت تكسب) هو أفضل الخيارات التي يمكن أن يتبناها المرء منا ويعمل وفقها.

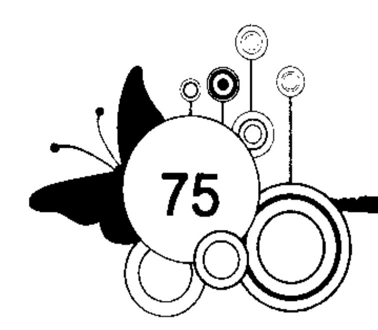
بيد أن العمل وفق هذه القاعدة ليس بالأمر الهين، ويتطلب توافر بعض الخصائص في الشخصية حتى تستطيع التعامل بها، فليس سهلا على المرء -خاصة في زمننا المادي المحموم هذا! - أن يشغل باله بأمر الآخرين، ويتبنى هم التفكير في مصالحهم، ويبني مصالحه وهو محترس من المساس بمصالحهم.

لكن المتأمل في المنهج الإسلامي سيجد أنه قد ركز على هذا المبدأ بقوة، مهيبا بأبنائه العمل به وتبنيه، ولعل حديث رسول الهدى ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) تأكيد على أن الإسلام، لم يجعل الأمر اختياريا، بل جعله عقديا، فالعمل بقاعدة (أكسب / تكسب) شرط في إيمان المسلم، ولا يتم إلا به.

وأنه من الخطورة الإنجراف مع الحياة عبر تنمية مشاعر الشُحّ لديك فترى أن الخير في أن نكسب وحدنا، وأن الكعكة لا تكفي سوى شخص واحد.

وتحديك الأعظم لها يكون في الإيمان بأن خزائن الله مليئة، وبأن فضله يسع كل البشر، يقول تعالى في سورة (المنافقون):

وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾



التحدي الأكبر لا يكون في الانتصار الشخصي المجرد بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى سوى الفوز، بل يكون في الانتصار الشريف الذي تتحقق فيه أركان المعادلة (أنا أربح - أنت تربح)، حينها ستتمتع بصدر صافٍ، وقاعدة اجتماعية طيبة وذهن إيجابي فعال.

وخلاصة ما قلناه أن الربح لا يعني أن نهمل الآخرين، بل يجب أن نعمل على أن يشاركوننا الربح، ويقاسموننا الفوز، ويغنوا معنا أنشودة النصر.



قد يبدو يسيراً أن تعيش في قمقم أنانيتك، لكن من العسير أن تسعد بذلك إذا كنت إنساناً حقاً...

نجيب محفوظ



14 انشر ثقافة الخير

عندما تواجه أحدنا مشكلة أو كبوة ما، يصرخ معلنا أن الحياة كلها تعب ونَصَب وهموم!

عندما يتعرض واحد منا لفخ أو عملية نصب، يخرج مؤكدا أن لا أمان للبشر!

قلت في كتاب سابق لي إننا يجب أن نعيش بوعي، ولا ندع الحياة تخدعنا، فنراها سوداوية إذا ما تعرضنا لكبوة ما، أو مليئة بالذئاب إذا ما خدعنا أحدهم.

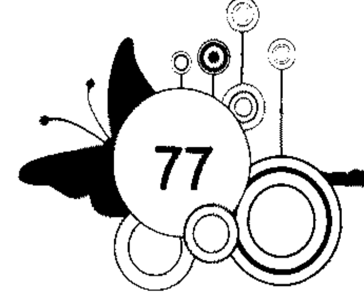
بيد أنني أطالبك الآن بما هو أكثر..

إنني أطمع منك أن تنشر ثقافة الخير والمحبة وألا تُيئس الناس في الدنيا، أو تكون ممن يردد الأخبار السيئة الكئيبة!

أهيب بك ألا تكون مرآة تعكس السوء الذي في نفوس الناس.

رسولنا ﷺ يخبرنا أنه (إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكهم) فهو تحذير من محاولة نشر ثقافة السوداوية وتبغيض الناس في دنياهم.

وتعال لتسمع معي هذه القصة الرائعة التي تعكس ما أود الإشارة إليه..



فمما يروى أن رجلا صالحا كان يمتطي فرسه في الصحراء، فإذا به يبصر شخصا جالسا على الرمال الساخنة يشكو العطش ويقترب من الهلاك والموت.

فدنا منه الرجل الصالح وسقاه، واهتم بحالة وحاجته، فطلب منه الرجل الضال أن يركب خلفه على الفرس حتى يبلغ مكانا مأهولا فقال له الرجل الصالح: لا بل تركب أنت وأسير أنا، فلقد اقتربنا من العمار، وأنت بحاجة إلى راحة كي تسترد باقي عافيتك.

وما إن ركب الرجل على الفرس واستقام عليه وملك زمامه حتى أطلق له العنان مبتعدا عن الرجل الصالح، الذي وقف مندهشا مما يحدث.

وبعد أن وعى الرجل أن الشخص الضال ما هو إلا لص، تحايل عليه حتى سرق فرسه، ناداه متوسلا أن يقف ليسمع منه كلمه واحدة.

جرى وراءه صارخا: قف ناشدتك الله والرحم، الفرس لك ولكن اسمع مني كلمة واحدة.

فتوقف اللص على مسافة تضمن له ألا يلحق به الرجل وقال له: قل ما تريد.

فقال له الرجل الصالح: بالله عليك لا تُحدّث الناس بما فعلتَ كي لا تضيع المروءة بين الناس.



إنه يطلب منه ألا يخبر الناس بأنه قد سطا على الفرس وأخذه من رجل وقف ليقدم له العون وينقذه من الموت والضياع.

إن هذا الرجل الصالح، فضلا عن أنه اعتمد على الله في تعويضه عن فرسه واحتسب الأجر عند خالقه، فقد توسل للص أن يكف لسانه فلا يُحدّث بما جرى، كي لا ينتشر بين الناس ثقافة الخوف من تقديم يد العون إلى الآخرين.

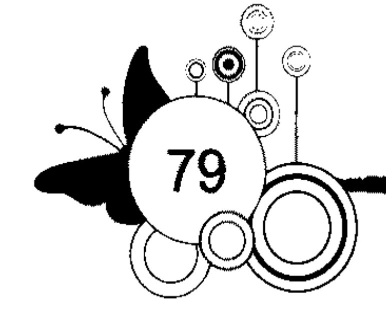
وبنظرة إلى واقعنا، سوف نجد أن رؤى سوداوية متشائمة قد سطت عليه. فبدأنا نردد الحكم والأمثال التي تساعد على ذلك، مثل (اتق شر من أحسنت إليه)، (لا تعط الأمان لأحد) (كلهم خبثاء حتى يثبت العكس)!

وصرنا نتعامل مع الناس بفؤاد جزع، ونفس مليئة بالتحفز والريبة.

كثيرا ما أتأمل حال الناس وهم يغدون، فأرى في وجوههم أثر الاضطراب والخوف والرهبة من بعضهم البعض.

وحينما أسأل من أعرفه من الناس عن حاله، أراه يتنهد في حرارة شاكيا سائق التاكسي الذي سرقه، وجاره الذي يُضمر له الشر والحالة الاقتصادية التي لا تنذر بخير.

ويتناسى -هو وغيره- كَمًّا من النعم طرقت بابه، وخيرات كثيرة دخلت حياته دون توقع، أعرفها جيدا نظرا لقربي منه!



فأسأل نفسي، ما يضيره لو قال (الحمد لله) صادقا، وأثنى على الله وكرمه وفضله؟!

ماذا سيخسر لو تحدث بشكل إيجابي فحمد الله على تفوق أبنائه وصحته الجيدة، ووظيفته التي تقيه شر السؤال؟!

لماذا يُصر على تسويد دنيانا، وإغلاق نوافذ الأمل والتفاؤل من حياتنا؟!

فتعال يا صديقي نحمل فوق عاتقنا هم نشر الأمل والتفاؤل، تعال لنخبر الناس دوما -ومهما قابلنا من محن ومصاعب- أن فضل الله ممدود، وكرمه متواصل، وخزائنه ليس لها حد.

تعال لنضخم كل جميل ونُظهره، ونُصغر كل قبيح ونخفيه.

أعلم إنها لمهمة ثقيلة، في زمن صارت الشكوى فيه من طبائع البشر!

لكنها -لو تعلم- مهمة الأنبياء والصالحين.

الخلاصة: كن كإشراقة الشمس، تزيح بنورها المتفائل غيوم التشاؤم والاضطراب، حدّث الناس بنعم الله وأُعطياته، خفف عنهم ألم الحياة بتوجيه أنظارهم إلى وجهها المشرق، وأبرز لهم أفضال الله التي تفوق الحد.. والعد.



15 تعلم الانتقام!

إذا ما هُزمت يوما في معركة من معارك الحياة.. فيجب أن تنتقم..!

إذا ما سبقك أحدهم نحو غاية كنت ترنو إليها.. فأنصحك أن تنتقم..!

إذا ما تعثرت، أو كبوت، أو أخفقت.. فلملم جنانك كي تنتقم..!

في التلمود حكمة تقول (احي جيدا.. فهذا أعظم انتقام).

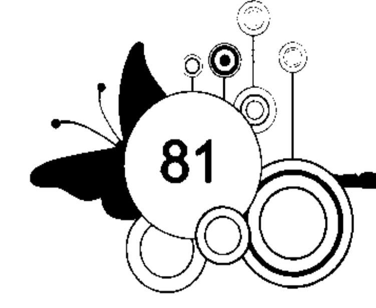
استقم واعمل بجد وكفاح عندها تكون قد أذقت أعداءك المر وجرّعتهم العذاب والحسرة.

لا تنس إخفاقاتك أبدا، اجعلها كوخز الإبر، تهيجك لتنتقم..!

وانتقامك من السقوط والفشل يكون بالنصر الساحق.

إن الحياة معترك، والحرب في أوقات كثيرة تكون ضروسا وليس بمستبعد أن تجد نفسك فجأة في وسط الميدان، تقاتل وتنافح من أجل قيمة أو مبدأ أو هدف أو طموح أو غاية تعمل من أجلها.

وقد تُهزم.. وربما صرعك أحدهم بأساليبه الخسيسة الدنيئة.



فما الذي يجب عليك فعله..!؟

وهنا يُجبك الأستاذ القدير عبد الوهاب مطاوع -رحمه الله- بقوله:

أفضل وسيلة للانتقام ممن يسيئون إليك هو ألا تكون مثلهم.. تجنب أن تسلك نفس سلوكياتهم المريضة في حياتك، ترفّع عن الرد عليهم ليزدد شعورهم بحقارتهم وتفاهة شأنهم وانحراف أخلاقياتهم.

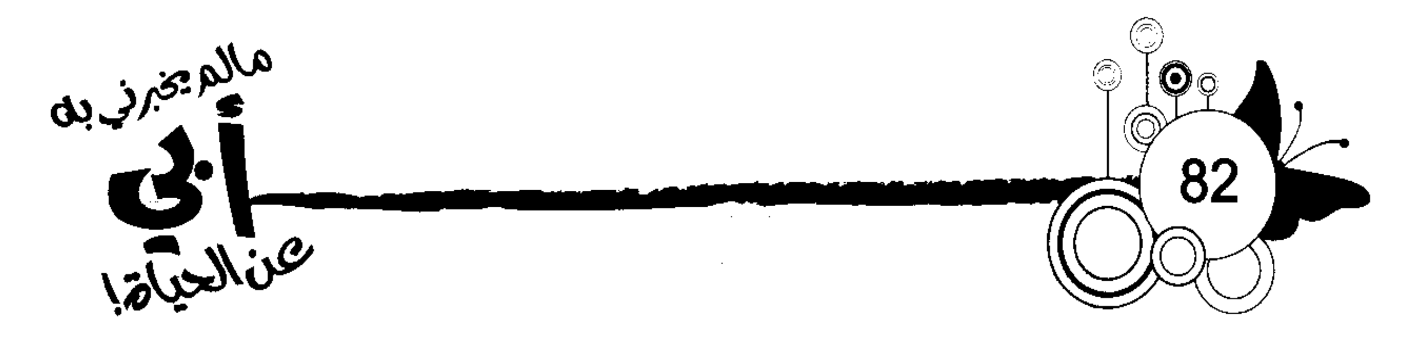
هذا هو الانتقام الذي أريده يا صديقي، وليس الانتقام السلبي الذي يقضي على قلبك ويأكل من روحك بشراهة.

يقول الله سبحانه وتعالى (هو أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)، إن الغفران والتسامح شيء في غاية الأهمية، وهو -رغم تناقضه- يعد نوعا رفيعا من الانتقام الذي يألفه النبلاء والمصلحون.

إن كلمة الانتقام ربما تكون قد أزعجتك قليلا، لكنني اخترت وجهها الإيجابي، نارها الحارة التي تدفعك إلى بُغض السقوط، وكراهية الفشل، ودوافعها الشديدة من أجل إصلاح ما فسد.

كيف ننتقم!؟

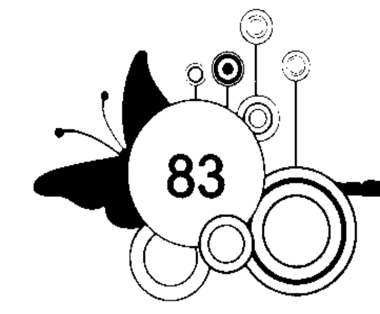
يقول وينستون تشرشل -رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية- كل منا له يوم.. وبعض الأيام أطول من بعضها، وذلك لأن أيام الظلم طويلة، وأيام النصر طويلة كذلك، ونحن عندما ننهض لتفادي آلام الهزائم يجب أن نعي أن الأيام دُوَل، وأن هناك متسعا



من الوقت لفعل ما يجب فعله، وأن التفكير الهادئ وعدم الاندفاع والتسرع والعصبية هو الخيار الأمثل.

والآن دعني أخبرك بأنواع من الانتقام الذي أريده منك:

- إذا ما اضطربت حياتك العاطفية، فيجب عليك أن تبدأ في الانتقام بأن تكون أفضل مما يتوقع الجميع، اختلِ بنفسك لوقت أعد حساباتك مرات ومرات، حلل بموضوعية تامة سلبياتك أبدا من فورك في تغيير تلك السلبيات ولا تقع أسيرا لها، اقرأ كثيرا استشر أهل الخبرة، احضر دورة أو محاضرة عن العلاقات الأسرية لا تقبل بأن تكون أقل من ذلك الزوج الرائع الذي يستمتع بحياته الزوجية.
- إذا ما جفاك صديق، أو خانك رفيق، أو أساء إليك أحدهم فانتقم بأن تكون أفضل خلقا واحتراما وإيمانا منه، اطمس أي مشاعر سلبية تدفعك للإساءة له، احتسب الأجر عند الله جل وعلا.
- إذا ما تعثر مشروعك الخاص، أو خسرت أموالك كلها في صفقة، وتنبأ الجميع أن نهوضك أمر غير متحقق، ودعوا الله لك أن يصبرك على مصيبتك، فانتقم من الظرف الحاصل بمعاودة الكَرَّة، وخطط مرة أخرى بشكل أدق، وأعلن للعالم أن ما حدث كبوة جواد، وأنك قادم.. وبقوة.
- إذا ما عاندك مديرك في العمل، أو أستاذك في الجامعة، فكن



فوق ما يظنون، وتفوق بشكل يسحق أي دعاوى يدللون بها على فشلك أو تكاسلك.

- إذا ما غلبك شيطانك فأسأت الأدب مع شخص ما، أو وقعت في عِرض أخ لك، أو آذيت أحدهم بقول أو فعل، فانتقم من شيطانك بسيف الاعتذار، اصفعه بإيقاظ ضميرك، وتحسين سلوكك، وطلب السماح والعفو من أسأت إليه.
- إذا ما أسرك هواك، وغلبتك نفسك، وطالت غفلتك، فانتقم منهم بالرجوع إلى حظيرة الإيمان، وتسلح بالتوبة، وقض مضجعهم باستغفارك وإنابتك.

وعلى هذا المنوال فسر يا صديقي..

لا تزل لك قدم، أو تُصبك كبوة، إلا ويكون ردك عليها قاسيا حاسما.. يعيد لك اتزانك من جديد..

الخلاصة: الانتقام له وجهان، وجه أسود يأكل من ضميرك وروحك ووجدانك، ويدفعك إلى إيذاء الآخرين، ووجه ناصع البياض يلهب روحك كي تكون أرقى وأقوم خلقا وسلوكا.

فتعلم أن تنتقم من أخطائك وعثراتك، بأن تكون أفضل، تعلم أن تنتقم من أساء إليك بألا تكون مثله، بل اجعل سلوكك الطيب مرآة تُظهر وبوضوح سوءه وقبحه.



16 ذل يولد عزا!

البحث عن حكمة الأشياء هي مهنة الفلاسفة والحكماء والعلماء وكذلك العُباد والصالحين.

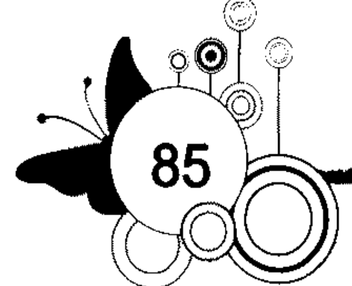
ولا عجب أن تجد حكيما أو عالما، يضرب المسافات ويقطع الأرض كي يصل إلى آفاق معرفية جديدة، تضيء جزءا من ظلام عقله، أو تقربه أكثر من معرفة الحقيقة.

من هؤلاء العلماء: العابد الزاهد (إبراهيم بن أدهم)..

كان رجلا عارفا بالله، باحثا عن الحقيقة، متواضعا أمام ما يرى ويشاهد، متأملا في صفحة الحياة وأوجه البشر وأحوالهم عله يجد ما يقربه من النور.

لذا شغل باله كثير أمر ذلك الراهب الذي سمع بخبر سكنه في صومعة لا يغادرها أبدا، ويحج الناس إليه شهرا في السنة، فيذبحون على عتبة محرابه الأضاحي، ويسألونه أن يشفي المريض وييسر الحال ويغفر للمخطئ، ويهدي الحائر!!

وكان مما أدهش ابن أدهم، أن الراهب لم يغادر صومعته منذ سنين فهو قابع فيها لا يتركها أبدا.



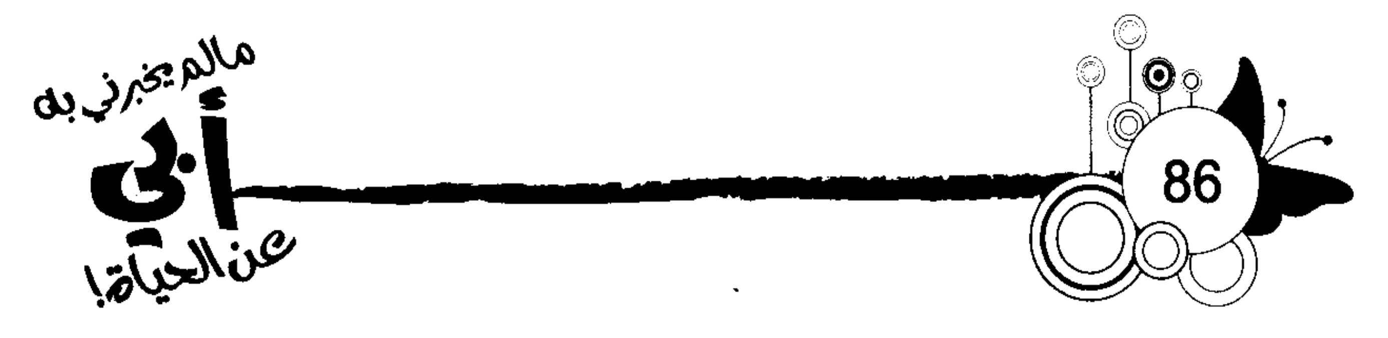
فذهب إليه ابن أدهم قاطعا المسافات الطوال كي يرى شأنه ويدعوه إلى دين الصلاح والهداية، فوصل إلى هناك في نفس الشهر الذي خُصص لدخول الناس عليه، فرأى زحاما شديدا، لكنه رغم ذلك دخل إلى أن وصل إلى الراهب، وجلس يشاهد ويتأمل الهيبة التي يحيطه أتباعه بها، والمكانة العالية التي يتمتع بها والتي تجعله يأمر فيطاع ويقول فيسمع منه.

وعندما جلس إليه إبراهيم بن أدهم وعرّفه بنفسه، سأله أول ما سأله عن مدة مكوثه في هذه الصومعة، فأجابه الراهب أنه قابع في صومعته منذ ثلاثين سنة لم يخرج منها!!

فسأله ابن أدهم متعجبا من أمره: وما الذي يحملك على هذا؟

فابتسم الراهب واقترب من ابن أدهم وقال له: أنظر لمرأى هؤلاء البشر الذين يحجون حولي، إنهم لا يأتون إليَّ إلا مرة واحدة في العام فأصبح بالنسبة لهم الغاية العظمى والمطلب الأهم، ومن أجل عز هذا الشهر أحتمل وحدة العام كله، بل من أجل أشهر معدودات في العمر، أحتمل تعب الدهر!!

توقف ابن أدهم أمام كلمات الرجل وهو في ذهول من أمره وسأل نفسه متعجبا، هذا الذي في الضلال يصبر على ضلاله شهورا وشهورا كي ينعم لأيام معدودات، يتحمل الوحدة وآلامها من أجل عز يناله، وفخر يشعر به، فما بال أصحاب الدعوات والمبادئ والقيم



السليمة الصحيحة، يتعبون ويتكاسلون، ويُنهكون ويملئون الدنيا صراخا وعويلا وشكوى!

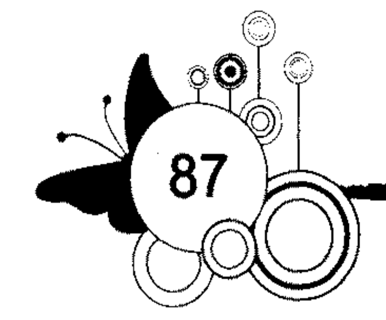
ما بال الصالحين والصفوة من الأمة يفتقرون -وهم يملكون الحق- أن يصبروا قليلا على ضرائب الحق، وثمن الكفاح.

كيف لمن أدرك أن الجنة في آخر المضمار، أن يتكاسل، ويقف في بلادة ليملأ كأس شهواته وملذاته حتى الثمالة، فيسقط دون خط النهاية فتضيع منه الجائزة الحقيقية، والعز، والرفعة التي لا تضاهيها رفعة.

إننا وبالرغم من كوننا كثيرا ما نتفاخر بقدرتنا الفذة على حساب الأشياء بشكل صائب صحيح، ونبرهن على ذكائنا بالمكاسب التي حققناها والإستراتيجيات التي انتهجناها من أجل تحقيق المكاسب والفوز، فإن معظمنا وبشكل عجيب، لا يستطيع رؤية أهم معادلات الحياة وأكثرها وضوحا، وهي معادلة أن الحياة الدنيا هي الفانية الذاهبة، والآخرة هي الباقية الخالدة.

نعم كلنا نؤمن أن هناك بعثا ونشورا، وثوابا وعقابا، وميزانا وصراطا وجنة ونارا، لكن معظمنا للأسف لا ينتهج مخططات عملية تبرهن على استيعابه لتلك المعادلة!

إن ما وعاه ابن أدهم من الراهب، ونقله لنا، أن صومعة الشرف والكرامة والضمير أولى بأن يلتزمها أصحاب الدعوات فلا يبرحونها قط.



وأن الصبر على مغريات الحياة وشطحاتها هو السبيل الأول والأوحد للوصول إلى نقطة السعادة الحقيقية.. والأبدية.

والخلاصة أن عز الدارين مرهون بذل ساعات على باب الخالق.

بقعة ضوء

السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه ، وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية .. والقلب الإنساني ، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها .. وغذاؤها .. وهواؤها .. وضياؤها .
يوسف القرضاوي



17 ركز على دائرة أولوياتك

في حياتنا نحتاج كثيرا أن نتمتع بفطنة وذكاء كي نفرق بين المهم والأهم!

نحتاج إلى أن نميز -بدقة- بين خير الخيرين وشر الشرّين!!

وذلك لأننا كثيرا ما نُخدع في التفريق بينهما، وتضطرب أمام أعيننا معالم الطريق.

ونجد أنفسنا سعداء بجني الأقل بينما يمكننا أن نجني الأكثر!

إن الشراك والفخاخ التي تقف أمام حلمك وطموحك لكثيرة وأحدها ذلك الشرك الذي يدفعك إلى الانكباب على عمل، وبذل الجهد في تجويده وإحسانه، بينما هذا العمل في ميزان هدفك الرئيسي لا يساوي الوقت الذي أنفقته فيه!

تعال مثلا وانظر إلى شخص يعطي للعلاقات الاجتماعية وقتا كبيرا، فهو من مجلس إلى آخر، ومن منتدى إلى غيره، فتسأله: هل لديك طموحات سياسية أو انتخابية تحتاج لالتفاف الناس حولك؟ فيجيبك: لا.. لكني أجد متعة في ذلك!

بلا شك التواصل الاجتماعي مهم وضروري ولكن ليس على حساب أهدافك وطموحاتك، وعلى هذا المثال فَقِس!

تحضرني هنا قصة عامل المنارة، ذلك الرجل طيب القلب، الذي تسبب في كارثة كبيرة أودت بحياة الكثيرين، وتسبب في خسائر مادية فادحة، وخسر فوق هذا مستقبله وسمعته، والسبب أنه لم ير ويركز على أولوياته جيدا..

ونبؤه أن كان هناك رجل يعمل كحارس منارة على امتداد ساحل صخري، كان يحصل كل شهر على ما يكفي من زيت الوقود لكي يحافظ على ضوء المنارة متوهجًا.

عُرف عن الرجل طيبة القلب وحب الآخرين، ولأنه لم يكن يبعد عن المدينة كثيرا، فقد كان يقصده كل من نفد الوقود لديه لافتراض كوب أو أكثر من الزيت.

فهذه امرأة من القرية المجاورة استجدته قليلاً من الزيت لأجل أسرتها، وذاك أب يرجوه قليلا من الزيت لأجل مصباحه وهذا رجل يحتاج إلى شيء من الزيت كي يزيّت عجلته!

ولأن كل الطلبات بدت له معقولة وإنسانية، لم يكن الحارس يرد أحدًا خاوي الوفاض، لكن عندما أوشك الشهر على الانتهاء، لاحظ أن مخزونه من الزيت قليل جدا، ثم ما لبث أن نفد، فانطفأ فجأة ضوء المنارة، وفي تلك الليلة، غرقت سفن عديدة، وهلك كثير من الناس وعند التحقيق فيما حدث، بدأ الحارس شديد الندم على ما حدث حاول مرارا أن يستعطف المسئولين على خطئه، مؤكدا حسن



نيته، ونبل دوافعه، بيد أن العبارة التي كانت تتكرر على أذنه دائما: أعطيناك الزيت لهدف المحافظة على ضوء المنارة ساطعا.

يُعلّمنا هذا الموقف أن الشيء الجيد ليس كذلك، إذا ما جعلنا نقصّر في الأجود، وأنه كثيرا ما يكون الطريق إلى الجحيم محفوفا بالنوايا الطيبة كما يقول المثل الإنجليزي!

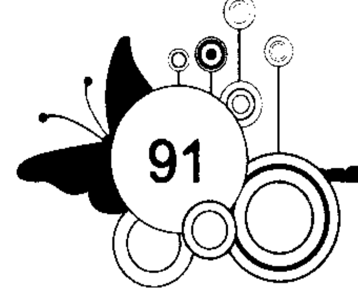
يعيدني هذا إلى العبقري المسلم الفقيه، الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ورده على أحد تلامذته حينما وقع في نفس الخطأ!

فمما يحكي أن الإمام ابن وهب -وهو أحد الأئمة الكبار- كان ذات يوم في مجلس علم للإمام مالك رضي الله عنه، فوضع ألواحه التي يكتب فيها وقام ليصلي، وعندما عاد سأله الإمام عن صلاته، فأجابه بأنها صلاة النافلة قام لقضائها.

هنا قال له الإمام كلمة في عمق إدارة الأولويات، قال: والله ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت عليه!

أي أن طلب العلم والقراءة، أهم من صلاة النافلة، وذلك لأن ضياع ساعة العلم قد لا تعوض بينما صلاة النافلة يمكن تأديتها في أي وقت.

والشاهد هنا هو حرص الإمام مالك على أن يستفيد تلميذه الاستفادة الأفضل والأولى، حتى وإن كان التفضيل على حساب صلاة يؤديها المرء لله!



من هنا أهيب بك يا صديقي أن تجعل هدفك حاضرا دائما بذهنك واضحا أمام عينيك، مُلحا على كيانك ووجدانك، فلا تتركه يغيب عنك لحظة، كي لا تحيد بعيدا عنه..

أريدك أن تعرض كل عمل تؤديه، ومهمة تفعلها، على الهدف الكبير الذي تؤمن به، فإذا ما كان متماشيا معه، أنفذته، وإن كان غير ذلك، أوقفته.

الخلاصة: لا تقس الأمور هل هي مهمة أم لا.. وإنما قسها حسب أولوياتها، فلرب أمر مهم يتأجل من أجل إنهاء ما هو أهم منه!



18 عندما تنزلق الأقدام..!

ذكر الإمام مسلم في صحيحه، أن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: أعطاني رسول الله ﷺ أرضًا، وأعطى أبا بكر أرضًا فاختلفنا في عذق نخلة، وجاءت الدنيا!

فقال أبو بكر هذه في حدي، فقلت لا بل هي في حدي!

فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم عليها، وقال لي بعدها: يا ربيعة قل لي مثل ما قلت لك حتى تكون قصاصا.

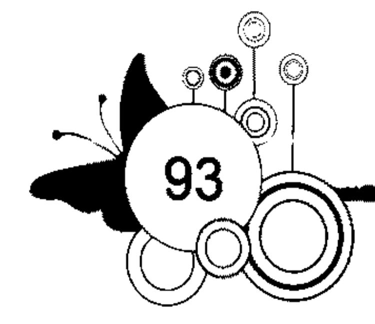
فقلت: لا والله ما أنا بقائل لك إلا خيرا.

فقال أبو بكر: والله لتقولن لي كما قلت لك حتى تكون قصاصا وإلا استعديت عليك برسول الله ﷺ !

فقلت لا والله ما أنا بقائل لك إلا خيرا، فذهب أبو بكر إلى النبي ﷺ فهرعت خلفه.

فقال أناس من أسلم: يرحم الله أبا بكر هو الذي قال ما قال ويستعدي عليك!

فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين، هذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي



رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة، فلما قلتها رجعوا عني.

وانطلقت أتلوه حتى أتى النبي ﷺ ، فقص عليه الذي كان، قال فقال رسول الله ﷺ: يا ربيعة ما لك والصديق؟!

فقلت مثل ما قال كان كذا وكذا. فقال لي ﷺ: قل له مثل ما قال لك، فأبيت أن أقول له، فقال رسول الله ﷺ : أجل فلا تقل له مثل ما قال لك، ولكن قل يغفر الله لك يا أبا بكر فقلتها، فولّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يبكي.

الحديث السابق يجب ألا نمرره أبدا مرور الكرام، فهنا أحد صحابة النبي ﷺ وهو ربيعة الأسلمي رضي الله عنه، يحكي مشهدا عجبا أنه كان له حقل، وكان لأبي بكر رضي الله عنه حقل بجواره، وانظر هنا وهو يصف حالهما في لحظة من لحظات الطمع الإنساني (وجاءت الدنيا)..

عجيب حتى على أصحاب النبي ﷺ وأعظم جيل على سطح الأرض، تخدعهم الدنيا، ويتشاجرون على سنتيمترات من الأرض هذا يقول إنها لي، والآخر يقول بل لي ؟!

إن العظمة تتأتى هنا من صدق وصف الحالة، وتهيب بمن وصل بأصحاب النبي إلى درجات التقديس، أن مهلك، إنك تمنع عنا خير التأسي، وإلا فكيف نعرف الخطأ والزلل، وبأن طمع النفس قد يدخل قلوب الصالحين، وأن ليست العظمة في عدم دخوله للقلب، وإنما في كشفه سريعا، وطرده بعيدا، والندم وطلب الصفح في الحال.



عظيم هو أبو بكر رضي الله عنه، وهو يتحول من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، ويطلب الصفح من صديقه.

هل تظنون أن العيب أنه قال كلمة سيئة ندم عليها، لا والله..لقد محا العيب بسرعة الإنابة، وأعطانا رضوان الله عليه درسا في كيفية التوبة والاعتذار.

هل رأيتم من قبل رجلا يخاصم رجلا لأنه لا يريد أن يقتص منه..؟ أبو بكر فعلها..!

وهل جال بخاطركم أن يذهب للرسول ﷺ، ليشكو له أن صديقه قد بخل عليه برد الإساءة؟؟! تالله لقد فعلها أبو بكر.

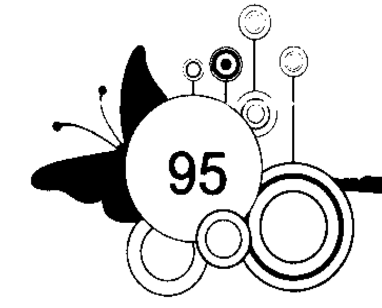
يا صديقي، لن أنصحك بألا تخطئ، فتلك نصيحة قد لقنك إياها قبلي الكثيرون، لكنني آمل منك أن تتعلم من أبي بكر، درس الإنابة والتوبة.

أن تستشعر فزعته وقد تنبه لزلته، فاشتعلت في قلبه حمم الندم، وهاجت بروحه عواصف الخوف، فأقبل يرغم أنفه الترابويتوسل لمن أخطأ في حقه كي يطفئ ناره ويهدئ روعه.



المؤمن يخطئ، بحكم بشريته، لكن نفسه أوابة، سريعة الإفاقة، ولن ترتكز في قاع الغفلة طويلا.

محمد أحمد الراشد



19 هلك المتنطعون

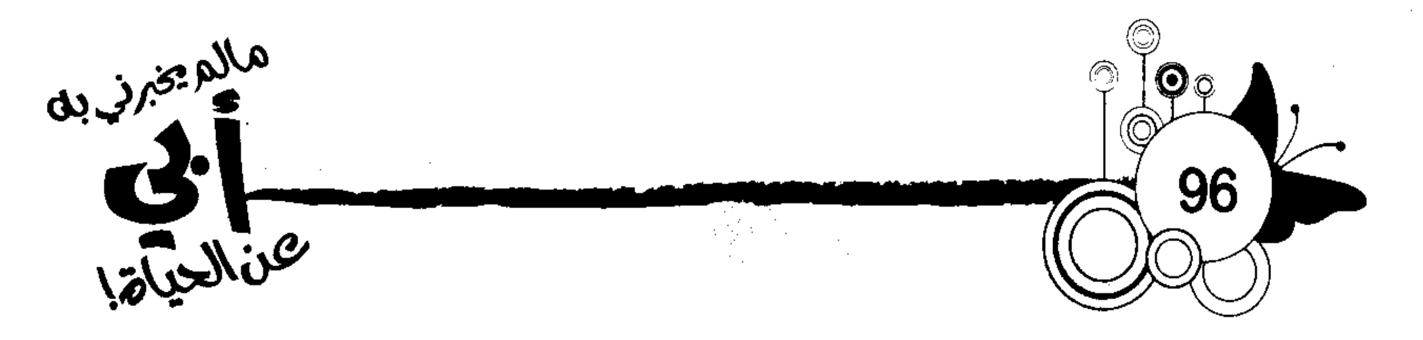
سُئل الدكتور أحمد زويل -الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء- عن أهم صفات العالم الحقيقي، وكيف يمكننا التمييز بين العالم والمُتعالم؟

فقال: (من يحدثك عن عظمته وقدرته وعلمه ونبوغه، فلا تستمع إليه، فإن العلماء الحقيقيون كلما ارتقوا في سلم العلم وتكشفت لهم مساحات أخرى من الجهل، أدركوا كم هم صغار في ملكوت الله وأنهم نقطة في بحر العلم والمعرفة).

وذلك لأن من أهم مفردات الرفعة، أن ترى نفسك تلميذا في مدرسة الحياة، وأول صفات العظماء أنهم يقفون على الحدود الحقيقية لمعرفتهم، ويستطيعون قراءة أبعاد مداركهم واستيعابهم.

عندما أخبرنا رب العزة أن العلماء هم أكثر الناس خشية له وإجلالا لعظمته، كان يخبرنا أن العلم والمعرفة، بوابة الحقيقة العظمى وأنه (فوق كل ذي علم عليم).

إن من يفخرون بما لديهم، ويشمخون بأنوفهم عاليا، مذكرين الآخرين بين الحين والآخر بما يملكون، وبما يدركون، وبما يعرفون، هم في الحقيقة يعانون من خلل ما في تكوينهم النفسي وعدم ثقة



بقدرتهم على الارتقاء الدائم، وفوق هذا، جهل بأهم الحقائق الكونية وهي أن العلم والحق والمعرفة المطلقة لا يمتلكها بشر، والفضل لا يعلمه إلا الله.

ولربما فضحهم أمام أنفسهم ذات يوم، رجلٌ بسيط لا يلقون له في الغالب بالا أو اهتماما..!

وإني لأتذكر هنا إحدى القصص الرمزية التي تبين الهوة بين المغرور بمعرفته وتقديره، والبسيط الذي قد يطويه الزمن دون أن يشعر به أحد، رغم نباهته وذكائه.

وذلك أنه في أحد الأيام، دخل طفل صغير أحد محلات الحلاقة، وما إن رآه الحلاق حتى ابتسم في سخرية وهو يهمس للرجل الجالس بين يديه: هذا أغبى طفل في العالم! ..انتظر وأنا أثبت لك!

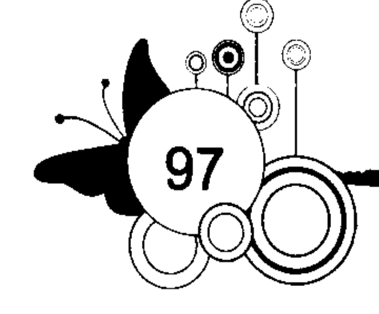
ثم ذهب إلى الطفل الهادئ ووضع في إحدى يديه ورقة نقدية من فئة الجنيه، وفي اليد الأخرى ورقة بنصف جنيه، ثم قال للطفل أيهما تختار يا صغيري!

فاختار الطفل الورقة من فئة النصف جنيه ثم انصرف..!

هنا ابتسم الحلاق في سخرية، وقهقه سعيدا بتلك التجربة المبهجة، وقال للرجل: ألم أقل لك إنه غبي، كل مرة يفعل

نفس الشيء، ويختار الفئة الأقل.

وعندما انتهى الرجل من إصلاح شعره وخرج، وجد الطفل



الصغير خارجا من محل الحلوى، بعدما اشترى بالنصف جنيه حلوى يشتهيها فدفعه الفضول إلى سؤاله: لماذا لا يأخذ الجنيه بدلا من الفئة الأقل؟!

هنا نظر الطفل إلى عينيه مباشرة وقال: لأن اليوم الذي آخذ فيه الجنيه ستنتهي اللعبة!!

إن التواضع رزق من الله، والكِبر والغرور استدراج، وما أكثر من وقعوا في فخ (الأنا)، وملئوا الدنيا بأحاديث عن أنفسهم وفوق هذا سفهوا من الآخر، واستهتروا به، الإمام الشافعي رحمه الله يحذرنا من أنه (من سما بنفسه فوق ما يساوي، رده الله تعالى إلى قيمته).

بينما من يطويهم التواضع بين جناحيه هم العظماء حقا..

فلا تكن يا صديقي كالحلاق الأحمق، الذي يعتز بذكائه الموهوم ويضحك على أخطاء الآخرين، كي لا تعيش في دنيا من الخيال.. بينما الآخر يتلاعب بك!

والخلاصة: حقيقة الفضل لا يعلمها إلا الله، فلا تغتر بنفسك أو عملك، والتزم جدار التواضع، تأتيك الرفعة والعز والشرف من الله دون طلب منك.





20 عندها فتش عن حيلة!

أصحاب الرسالات الكبيرة، والأهداف العظيمة، والأفكار الجريئة دائما ما تواجههم مشكلة ليست بالهينة! وهي اصطدامهم بعقول لا تقبل الاعتراف بالحق، وتُسفّه ما يملكونه أو يدعون إليه!

تصبح المشكلة شديدة على النفس، إذا صاحبها نوع من التهديد أو المحاربة، حينها يكون على المرء أن يدبّر أمره!

يقول ربنا جل وعلا في سورة (الحجر):

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

في هذه الآية الكريمة، يلفت ربنا -جل اسمه- انتباهنا أن هناك نوعا من العناد يتملك البشر، ويملك عقولهم، لدرجة قد تدفعهم إلى الكفر بأي حقائق مهما بدت واضحة، حتى وإن اضطرهم العناد إلى اتهام أنفسهم بالوقوع في السحر -كما في الآية- على أن يعترفوا بالحق الواضح البين.

وفي موقف كهذا، يقف المرء في حيرة، متسائلا عن الطريقة المُثلى في إقناع أذهان بلغ بها التعصب حدا لا يمكن التعامل العقلي الناضج معه.

ولديّ حيلة علها تنفعك آنذاك يا صديقي.

في الحقيقة أنه في أوقات كثيرة تكون المشاعر الشخصية والخلفية الثقافية، والبُعد النفسي أقوى من المنطق والعقل!

فتجد الواحد منهم يُصر بشكل كبير على أن يتمسك بالشيء الذي يعرفه ويطمئن إلى نتائجه -حتى وإن كان سيئا- خشية أن يغيّر ويجرّب الشيء الجديد المثير، والإنسان كما يقولون عدو ما يجهل.

هنا قد تفيدك الحيلة والمداراة.

نعم.. قد يكون من الذكاء والفطنة أن تداري وتبحث عن حيلة إلى أن يصطدم العقل وحده بالحقيقة ولا يجد بدًّا من الإذعان إليها.

وكي أوضح لك ما أريده، دعني أقصّ عليك تلك القصة التي حدثت في القرن الثامن عشر في بريطانيا، وخبرها أن (كريستوفر فرين) كان رجلا عبقريا فذا، متبحرا في جميع العلوم والمعارف، خاصة فيما يتعلق بالرياضة والفلك والهندسة وذات يوم كلفته البلدية في مدينة (وستمنستر) ببناء دار فخمة لها، وعندما قام الرجل بعرض الخرائط الهندسية للدار التي رسمها، اعترض عمدة البلد وقال له: إنني أخاف من سقوط الطابق الثاني حسب هذا الرسم الذي تعرضه.

وظهر جليّا أن العمدة لديه قناعات سابقة بأن الطوابق العليا شيء خطير، ونسبة وقوعها عالية!



حاول كريستوفر أن يقنعه بأن الأمر مجرد خيالات، وتدلل على تفاهتها تلك البيوت الشاهقة في المدينة، ولكن العمدة ظل على رأيه، هنا أدرك كريستوفر أن الحقائق لا تلعب الدور الأساسي، وأن المعطيات العلمية وقوانين الهندسة والبناء لن تُنجده، ولكن عليه أن يتجه إلى حيلة!

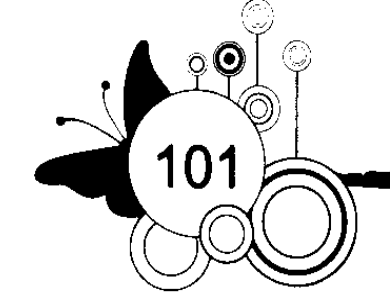
فسأله عن تخوفه وماذا يريد، فأجابه العمدة بأنه يريد وضع عمودين في الطابق الأول في المكان الفلاني كي يدعم الطابق الثاني!

وبالرغم من أن العمودين -هندسيا- ليس لهما فائدة تذكر إلا أن كريستوفر هز رأسه بالإيجاب وهو مقتنع تماما أن حجته لن تقنع الرجل ولن تزيل مخاوفه.

وقام كريستوفر بإنجاز البناء على أحسن وجه، وأقام العمودين على النحو الذي اشترطه عمدة البلدة، ومرت الأيام وبعد عدة سنوات حدث في البناء ما تطلب بعض التجديدات فيه وكانت دهشة العمال عجيبة حينما لفت نظرهم وجود العمودين في الطابق السفلي وهما ينتهيان تحت السقف بعدة سنتيمترات!

فما الذي فعله كريستوفر؟؟!

لقد نفّذ شكليا أوامر الرجل، لكنه من ناحية أخرى أثبت له خطأه والذي تأكد بعدما رأى بنفسه -بعد سنوات- أن العمودين لم يكن لهما أدنى فائدة في بقاء البيت سليما!



إننا في الحقيقة نحتاج إلى حيل من هذه النوعية في التعامل مع الأذهان المغلقة العنيدة، نحتاج أن نهرب من صدام لن نجني من خلاله أدنى فائدة، اللهم إلا القلق والتوتر.

وقديما قال أجدادنا لمن أعيته الحيل: إذا لم تجد حيلة.. فاحتَل!

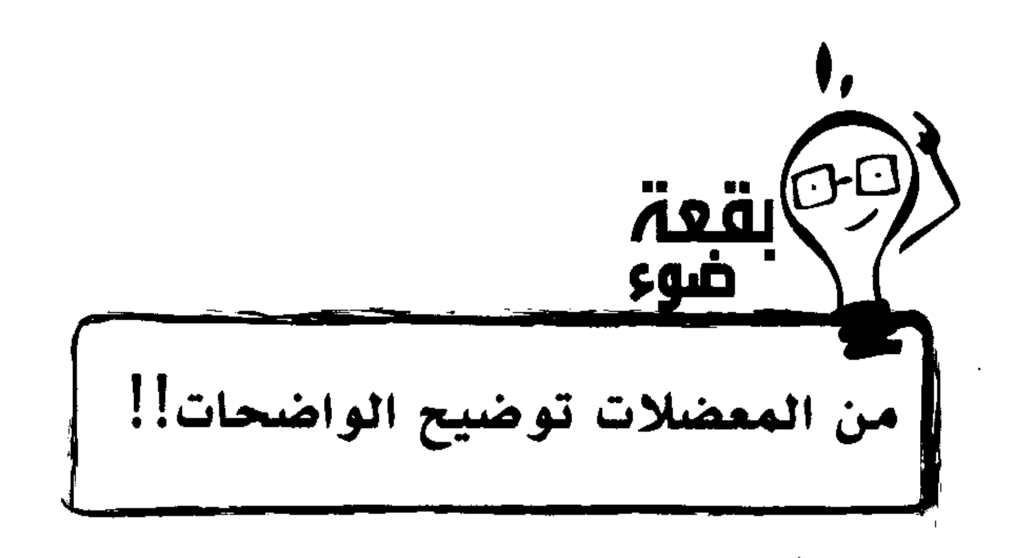
لا تقف كثيرا أمام صلابة موقف محدث، ولا تنحت في الصخر.

فكر ودبّر، وحاول أن تلتف حول الأمر من جميع الاتجاهات وتخترع الحيل والحلول.

في عملك أو بيتك، مع زوجك أو رئيسك أو أصدقائك.

قد تقابل مثل هذه المواقف، وقد تتعبك صلابة التفكير.

حينها.. فتش عن حيلة..!







21 ربما تنتهي الرواية في منتصفها!

ما الذي يمكن أن نستفيده من فكرة الموت؟!

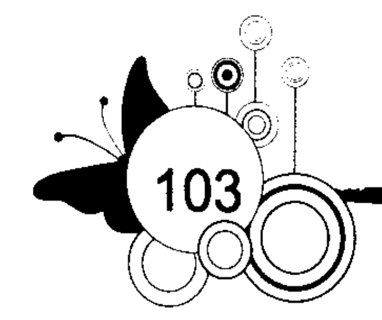
ليس في السؤال غرابة، ولا يحمل توجها سوداويا متشائما، إنني أبحث من وراء طرحه عن معنى وفائدة!

فمما لا شك فيه، أن كاتب هذه الكلمات وقارئها ستنتهي رحلتهم على سطح الأرض، ليبدءوا بعدها حياة أخرى، فإما نعيما وإما عذابا.

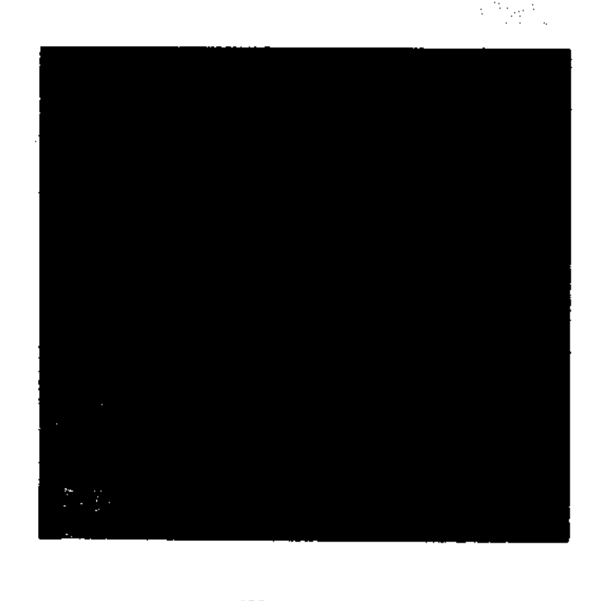
بل ربما تقرؤها أنت الآن، بينما أنا هناك، يضمني قبر مظلم موحش.

لقد وقف كل البشر أمام فكرة الموت موقف المتأمل دع عنك مَن شغلتهم ملاهي الدنيا وزينتها، إني أحدثك عن أصحاب القلوب الحية والعقول المنتبهة، هؤلاء أحب الوقوف أمام تأملاتهم في فكرة الموت، وأعيد النظر مرات ومرات في فلسفتهم لخط النهاية كيف يرون لحظة إسدال الستار.

ودعني أبدا معك بـ(جوته)، ذلك الفيلسوف الألماني الكبير هذا



الرجل عاش حياة بائسة حزينة، حتى إنه كان ينام وتحت وسادته خنجر علّه يستيقظ يوما ويستجمع إرادته ثم يغمسه في قلبه لكنه وعندما فشل في الانتحار قرر أن يكتب مأساته في رواية، ويقتل البطل في نهايتها !



جوته

فكانت (آلام فرتر)، التي أبكت الألوف، هذا الرجل الذي عاش لما فوق الثمانين يقول: لقد عُددت دائما من المحظوظين، ولست أشكو من حياتي في النهاية، لكنه من الحق أيضا أن أقول إنني لم ألق في حياتي سوى الحزن والهموم والعناء، وأستطيع أن أقول إنني في حياتي كلها لم أستمتع بالراحة شهرا واحدا، إن حياتي كانت كلها دفعا لحجر ينبغي عليّ أن أدفعه لأعلى التل وكلما بلغتُ القمة سقط الحجر إلى السفح، وأعدت المحاولة من جديد.

هي حياة -رغم بريقها-تَعِسَة إذن، مؤلمة وصعبة وبائسة، ثم يتحدث جوته عن الموت فيقول: حين أراجع حياتي من الشباب إلى الشيخوخة وأتذكر قلة الباقين على قيد الحياة من أصدقاء الشباب تبدو لي الحياة كفندق صغير من فنادق الصيف !

حين نصل إليه فإننا نصادق من وجدناه فيه قبلنا، وهؤلاء لا يلبثون

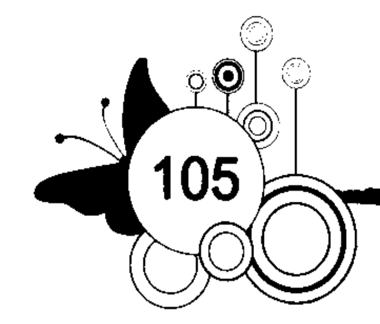
قليلا ثم يرحلون، فيؤلمنا رحيلهم، ونتحول إلى الجيل التالي بعدهم ونوثق صلتنا بهم، لكنهم يرحلون أيضا، ويتركوننا مع جيل جديد يأتي ونحن نهم بالرحيل، فلا تكون بيننا وبينهم أي صلة!

عندما أتأمل وصف جوته للحياة على أنها (فندق صيف) أراه يؤكد أنه لا يجب لمن سكنها أن يجلس فيها مرتاحا، بل يكون فيها كالمتأهب لموعد قطاره أو طائرته، واضعا حقيبة سفره على أتم الاستعداد فمكانه الحالي ليس مكان استقرار، وإنما استراحة مسافر.

ذهب لنفس هذا المعنى مفكرنا الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فبينما هو في أحد الفنادق في رحلة سفره إذ تأمل الفندق الذي يجلس فيه وقال: ترى كم شخصا سكن غرفتي قبل أن أسكن فيها؟ وكم شخصا سيحل مكاني بعد ما أغادرها، ما أوهى علاقتي بهذه الغرفة! وأحسست أن هذه الغرفة، بل أحسست أن الفندق كله شبيه بهذه الدنيا تظهر بها بغتة ثم تختفي.

إن أناسا كثيرين قرّوا هنا ثم ولوا.

لقد رأى بعضهم بعضا كما يرى النزلاء أنفسهم حينا في صالة الفندق، وكلٌّ مشغول بشأنه يعيش في جوه الخاص، فما تربطه بغيره إلا نظرة عابرة وبسمة عارضة!



هكذا التقى أبناء كل جيل بأترابهم ثم.. ثم (انتهوا).

إن الموت وإن كان يهوى حصد المُسنّين، إلا أنه لا يتوانى بين الحين والآخر عن قطف بعض الثمار التي لم تنضج بعد، ومن ظن أنه بعيد عن يد الموت، فهو واهم مخدوع.

فيكتور هوجو، الأديب الفرنسي، له تشبيه عميق يصنف فيه صفعات الموت! فيرى أن موت الشخص المُسنّ يشبه سفينة وصلت إلى الشاطئ، بينما موت الشباب أشبه بسفينة ضربتها الرياح وسط البحر وحطمتها، كما أن موت الشباب يشبه إلى حد كبير -حسب وصفه- رواية مثيرة انتهت في منتصفها.

بما تمثله تلك النهاية من مفاجأة وفاجعة، وصدمة لكل من قرأ سطرا فيها أو أكثر!

إن من يعيش وفي ذهنه فلسفة (فندق الصيف) قلما تشطح به نفسه نحو نزوة أو جشع أو تجبّر.

وبرغم أن الأمر حقيقة لا تحتاج لإثبات، إلا أن أعمالنا قلما تدلل على إيماننا بها!

حالة الركض المحموم على ملذات الحياة، دون التوقف للتأكد من نبل الوسيلة وطهارة الأسلوب الذي نستخدمه، يؤكد على أننا في غفلة عن فهم وإدراك هذا الأمر.



وليس أبدع ولا أعمق من قول النبي ﷺ لساكن الدنيا (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل).

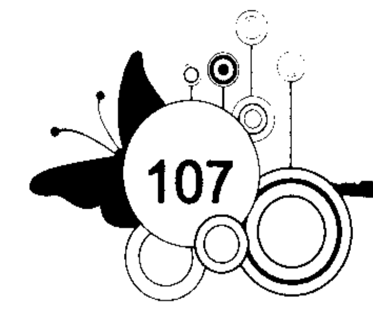
وكلاهما (الغريب) و(عابر السبيل)، يعيش حياته وفي وجدانه أن لا سكون ولا قعود.

وإنما هي رحلة، نحتاج منه إلى التخفف مما قد يثقل خطوه، أو يجذبه لأسفل.



في اللحظة التي نولد فيها.. نبدأ موتنا التدريجي.
غادة السمان





22 تسعون يوما قبل دخول القبر!!

أمامك ثلاثة أشهر قبل أن تموت!

أقسى تصريح يمكن أن يواجهك به شخص ما، لكن هب أنه قد قيل لك، فماذا أنت فاعل آنذاك؟!

فكّر مليا.. ثم عد لي بذهنك مرة أخرى لأحكي لك قصة رجل قيلت له هذه العبارة، فقدّم بعدها أجمل وأروع وأبلغ خطاباته، وأثر في الملايين على سطح الأرض!

أما الرجل فهو راندي باوش، أستاذ علوم الحاسوب في جامعة كارنيجي ميلون والذي صنفته محطة (ABC) من أفضل ٣ شخصيات للعالم عام ٢٠٠٧، ووضعته مجلة التايمز من أفضل ١٠٠ شخصية مؤثرة حول العالم، هذا الرجل أخبروه -وهو في السابعة والأربعين من عمره أن أمامه ثلاثة أشهر فقط قبل أن يموت، لتأخر حالته، فقد كان يعاني من سرطان البنكرياس.

راندي باوش

عندها قام راندي بجمع طلبته وأصدقائه ومحبيه، وألقى إليهم

بمحاضرته الأخيرة وسماها **(الوصول الحقيقي لأحلام طفولتك)** أخبرهم فيها أنه تاركهم وذاهب، لم يذرف دموعا بل كان أربطهم جاشا، وكان كل هدفه أن يحفزهم لإكمال مشاريعهم وحياتهم بدونه!

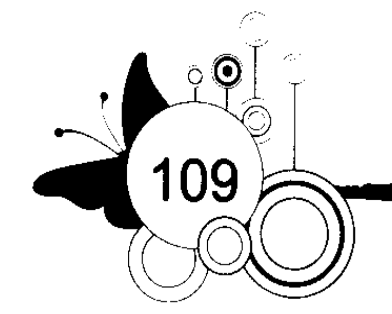
قال لهم: ما الذي ستخبره للعالم إذا علمت أن هذه هي محاضرتك الأخيرة؟ وما الذي ستفعله في هذه الدنيا لو كانت لديك فرصة أخيرة؟ وما هي وصيتك وميراثك للعالم؟

كان مرحا كما عهدوه، وعندما قال له أحدهم: حدثنا عن أهمية الاستمتاع بالحياة، قال لهم: أستطيع أن أقول لكم ذلك، ولكن سأكون كالسمكة التي تحاضر عن أهمية الماء!

لا أعرف كيف لا أستمتع، أنا أموت وأنا أستمتع وأمزح، وسأبقى كذلك لآخر يوم في حياتي، لأنه لا توجد طريقة أخرى.

ثم تحدث عن حياته وكثرة الإحباطات والمحاولات الفاشلة التي مرّ بها، وكيف أنه رُفض في أكثر من جامعة دون أن يفقد الأمل، ثم ذكر موقفا أثّر فيه كثيرا، وذلك أنه اشتكى إلى والدته صعوبة إحدى المواد في الجامعة، فقالت له: (في مثل عمرك، كان والدك يقاتل الألمان في الحرب العالمية الثانية)، وكأنها شحنته بطاقة هائلة، فلقد جلس مع نفسه وحدثها بأنه يجب أن يحاول بلا يأس، ففي أسوأ الأحوال لن يتلقى رصاصة طائشة أو يموت من العطش أو التعذيب!

أخبرهم راندي أنه لو يأخذ الإنسان عُشر الطاقة التي يصرفها في



التذمر ويوجهها نحو حل المشكلة، فإنه سيفاجئ بالحلول الكثيرة التي سيراها.

ثم ذكر لهم قصة امرأة وقعت في قروض متزايدة، وأصيبت بحالة من القلق والاضطرابات وكي تستطيع التغلب على هذه الضغوط فحجزت عند معالج باليوجا، وقال لهم لو أن هذه المرأة صرفت وقتها في عمل إضافي، بدلا من اليوجا، لدفعت قروضها كاملة، إننا يجب أن نحل المرض (القروض) بدلا من أن ندور حول أعراضه (الضغوط).

حكى لهم أنه زار ذات يوم وهو صبي ديزني لاند، وبدلا من تركيز فكره واستمتاعه بالألعاب، كان يفكر، كيف أصنع أشياء كهذه؟

وبعد تخرجه من جامعة كارنيجي ميلون، أرسل شهادته وطلبه لوالت ديزني لكن جاءه الرد بالرفض أيضا، ولكنه لم يتوقف، فالحواجز مصنوعة من أجل هدف كبير، هكذا قال لنفسه.

كان يرى صعوبات الحياة كتحديات، لم يخلقها الله لعرقلتنا وإيقافنا عن تحقيق أهدافنا، لا.. فهذا قول المتكاسلين، لكنها في الحقيقة اختبار يتخطاه الكُفء الجدير بالفوز، ويسقط فيها من لا يمتلك الجدية للتحرك والعمل والإنجاز.

ثم وجّه حديثا للآباء والمربين يدعوهم لاكتشاف الإبداعات في أبنائهم، فيقول: دعوا أبناءكم يُخرجون ما لديهم، لا تكتموا مواهبهم وتكبتوها، دعوهم يرسمون على جدران غرفهم، ويلونوها



بما يريدون من الألوان، إن هذه هي الطريقة الطبيعية للأبناء كي يعبروا عن آرائهم واستكشافاتهم، ومنع الأبناء هنا -بأي حجة- يأتي بنتائج خطيرة فقط انظروا للحياة وامتلاء شوارع الحكومات القمعية بالكتابات على الجدران؟!

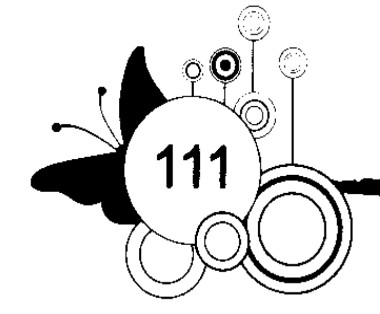
لقد فعلت هذا وأنا صغير، لم يغضب أبواي مني، بل ينظرون إلى ما أفعله وهم يبتسمون في تشجيع.

ثم أكمل قائلا: دعوني أقص عليكم موقفا حدث لي قبل سنوات حينها كنت في زيارة لأختي بسيارتي الجديدة، وعندما هممت بأخذ جولة أنا وأبنائها الصغار، جاءت إليهم وهي تحذرهم قائلة: حافظوا على سيارة خالكم نظيفة، إنها جديدة، لا يجب أن تقفزوا، أو تفتحوا النوافذ، أو تأكلوا الآيس كريم كي لا تفسدوا شيئا، وتكرر هذه التحذيرات أكثر من مرة.

هل تدرون ما الذي فعلته بعدما سمعت هذه التحذيرات؟

لم أعبر لها عن امتناني أو شكري لهذه التنبيهات، بل أمسكت بأحد المشروبات الغازية وفتحتها، ثم سكبت محتوياتها في السيارة!

ليس في الأمر جنون، لقد اكتشفت أن ما يقف حائلا أمام حركة الإنسان فلا يدعه ينجح، هو تلك التعليمات الكثيرة التي تلقاها طوال حياته.



لقد أحببت أن أخبر أختي وأبنائها والجميع (أن الإنسان أهم من الأشياء).

ثم أعطى راندي درسا آخر من دروس الحياة، مفاده أن النظر إلى الإنسانيات والعواطف شيء يجب أن يوضع في الحسبان، فيحكي أنه في بداية عمله كان يشرف على أحد الطلاب المميزين في مواد الحاسوب، لكن الطالب لم يهتم بمادة أخرى، فرسب فيها، وكاد أن يطرد، فما كان من راندي إلا أن ذهب للعميد وأخبره أن الطالب له قدرات غير طبيعية في التعامل مع الحاسوب، وأنه يستطيع تجاوز المادة، وطلب منه أن يبقى، فرد العميد بالموافقة، ولكن إذا لم يفلح الطالب فإن راندي قد لا يتم تثبيته في القسم، فوافق راندي!

إنه هنا ضحى بمستقبله وراهن على شخص آخر، ولم يخيب الله ظنه.

وهنا أتساءل: كم أب منا يراهن على قدرات ابنه عندما يخفق في مادة، أو يتراجع في تحصيله الدراسي لسبب أو لأكثر؟

ثم يلقي راندي على تلاميذه أهم دروسه قائلا: **ماذا تفعل إذا كانت أوراق اللعب كلها غير جيدة؟ لا تنسحب لكن حاول أن تلعب بمهارة أكبر، العالم لا يعترف بالقادة الضعاف، ولا بالقادة الذين يعترفون بأصغر وأتفه وأسخف الحلول، فهم لا يجلبون خيرا بل ضُرا، ولا تخلّدهم ذاكرة التاريخ ولا حتى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية.**



العالم والتاريخ لا يعترف إلا بمن يحمل مشعل النور ويسير حافيا على مسامير الألم وجمرات الشوك، حتى يأنس إنجازا عالميا وعدلا أرضيا ونورا سماويا ومددا ربانيا فيرى من خلالهم الآيات الصغرى وربما الكبرى.

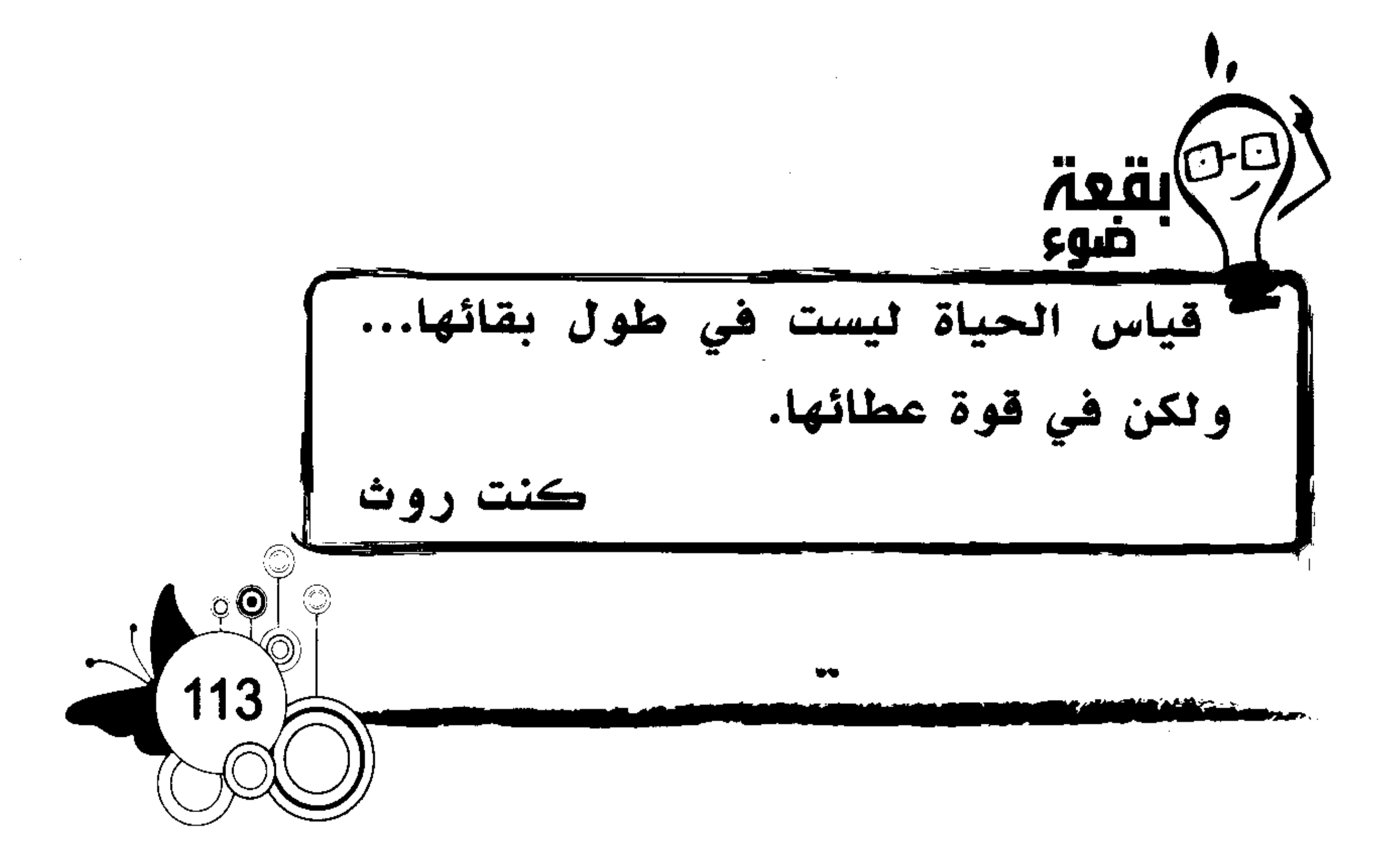
أنهى راندي حديثه قائلا إن هذه المحاضرة هي خارطة طريق لأبنائه الثلاثة، ثم ودع الجميع مبتسما، وأنهى حواره وسط تصفيق تلامذته ودموعهم.

ورحل راندي عن دنيانا يوم الجمعة ٢٥ يوليو ٢٠٠٨ عن ٤٧ عاما.

لكنه لم يرحل عن وجدان الملايين الذين شاهدوا محاضرته عبر إنترنت، ولا الذين قرءوا كتابه الذي تُرجم لأكثر من ثلاثين لغة.

ترى كم منا سيكون برباطة جأش هذا الرجل إذا أدرك أن الموت يزحف نحوه مسرعا كالبرق.

كم منا يمتلك سلاما نفسيا وصلحا مع الذات يدفعه إلى احتضان العالم وتوديعه برحابة صدر قبل أن يدير له ظهره مودعا؟



23 دع روحك تلحق بك!

لا زلت أذكر هذا جيدا..

يأتي أبي من عمله في الثانية ظهرا، يضع ما بيده على طاولة في ردهة البيت، يذهب لغرفته فيغفو قليلا، توقظه أمي حينما يتم تجهيز الغداء، يقرأ قليلا في الجريدة، يحتسي الشاي في استمتاع يشاهد التلفاز لبعض الوقت، يخرج ليسامر أصدقاءه يعود مساء فينام كي ينهض، ليبدأ يومه المعتاد مرة أخرى.

هكذا كان يجري الحال قبل سنوات ليست بالطويلة، قبل أن ندخل عصر المعلومات، ثم عصر الاتصالات، بما فيهما من توتر وسرعة وركض محموم.

اليوم يرتدي المرء منا ملابسه وهو يرشف بعض رشفات من الشاي مكملا إصلاح هندامه على الدرج أو في المصعد، كي يلحق بموعد هام وفي الغالب لا ينتبه إلى أنه نسي شيئا هاما إلا بعدما يجلس على المكتب ظانا أن كل شيء على ما يرام!

ويعود إلى بيته مساء، مكملا حديثه مع العميل الشرس في الهاتف، وربما أراد أن يدخل على شبكة الإنترنت ليرسل أو يستقبل بعض البيانات الهامة!



يوم الجمعة لم يعد إجازة!

كيف يستمتع المرء وينسى تعبه، وهاتفه المتحرك وبريده الإليكتروني يناديان عليه ويأمرانه.. فيطيع.

ببساطة.. ركض وسعي وعمل متواصل، وما باليد حيلة كما ندعي دائما ونردد!

إننا يا أصدقائي أشبه بعبيد لهذه الحياة التي كثرت فيها الرفاهية وأصبح جشعنا لامتلاك المزيد دافعا للتضحية بأشياء كثيرة، مضحين بها رغم غلائها دون تفكير أو تدبر.

إن أرواحنا غائبة عنا، من منا يملك القدرة على أن يغمض عينيه فيرتاح؟!

من منا إذا ما أراد أن يجلس في الشرفة متأملا أو مستمتعا بنسمة صيف، أو منظر بديع سيجد روحا هادئة تساعده على هذه الرياضة الروحية؟!

يُحكى أن رجلا استأجر جمعا من العمال ليحملوا له متاعا في رحلته الاستكشافية، ووعدهم بمضاعفة الأجر إن هم وصلوا إلى بغيتهم بسرعة، كان العمال بدافع الربح يجرون بكامل طاقتهم لكنهم بعد ساعات ارتموا جميعا على الأرض يلهثون، حاول الرجل أن يحثهم بالمزيد من الأموال والمكافآت والتحفيز، لكنهم أجابوه: لقد كنا نجري يا سيدي دون تفكير، والآن يجب أن ننتظر قليلا حتى تلحق بنا أرواحنا!.

إن أرواحنا تلهث من التعب.. السعي الدءوب أرهقها، ونحن نغفل عن هذا الأمر، ونواصل الركض بشكل لا نهائي.

فمتى يمكن أن نفيق؟!

متى نقف في شجاعة، ونصنع فارقا في حياتنا، فتهدأ الروح ويطمئن الجنان، ونرتاح؟!

متى؟!

والخلاصة: لا تركض خلف الحياة، فلن تسبق رغباتك، إن الأيام يا صاحبي لم تحدثنا بنبأ أحد نال كل مطالبه، ستنتهي الحياة وهناك ثمة أشياء لم نحققها بعد.. فمهلا!





24 من أكون في آخر الأمر..!

هو شـيء أحاول دائما أن أخفيه عن الجميع، لكنه رغم كل شـيء موجود!

عن الغرور يا أصدقائي أحدثكم..!

فمرات غير قليلة أضبط نفسي معجبا بشـيء ما فعلته، أو رأيا صائبا أطلقته، أو مقالا حاز إعجاب الآخرين.

ورغم يقيني بأن الفضل لله، إلا أن للنفوس سطوة، وللأهواء مداخل وخدعا ومكائد.

في أوقات ما أجلس متأملا ومتسائلا: ترى كم شخص وطأ ظهر هذه الأرض قبلي قبل أن يحتويه باطنها..؟

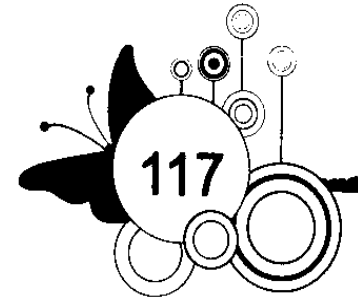
عشرات.. مئات..آلاف..ملايين.

رجال ونساء.. أطفال وشيوخ.. أغنياء وفقراء.. مؤمنين وعصاه..

فما الداعي للغرور وباطن الأرض ينتظر المرء منا ليبلعه؟!

وفي باطن الأرض يا صاحبي تتساوى العظام..

أحد الملوك كان معجبا بنفسه، مغرورا، وكأن الله لم يخلق أفضل منه.



وبينما هو في موكبه ذات يوم، لفت نظره رجل يحفر بدأب شديد فناداه وسأله عما يفعل.

فأجابه: إني هنا يا مولاي من أجلك!

فتعجب الملك، وسأله: وكيف هذا؟!

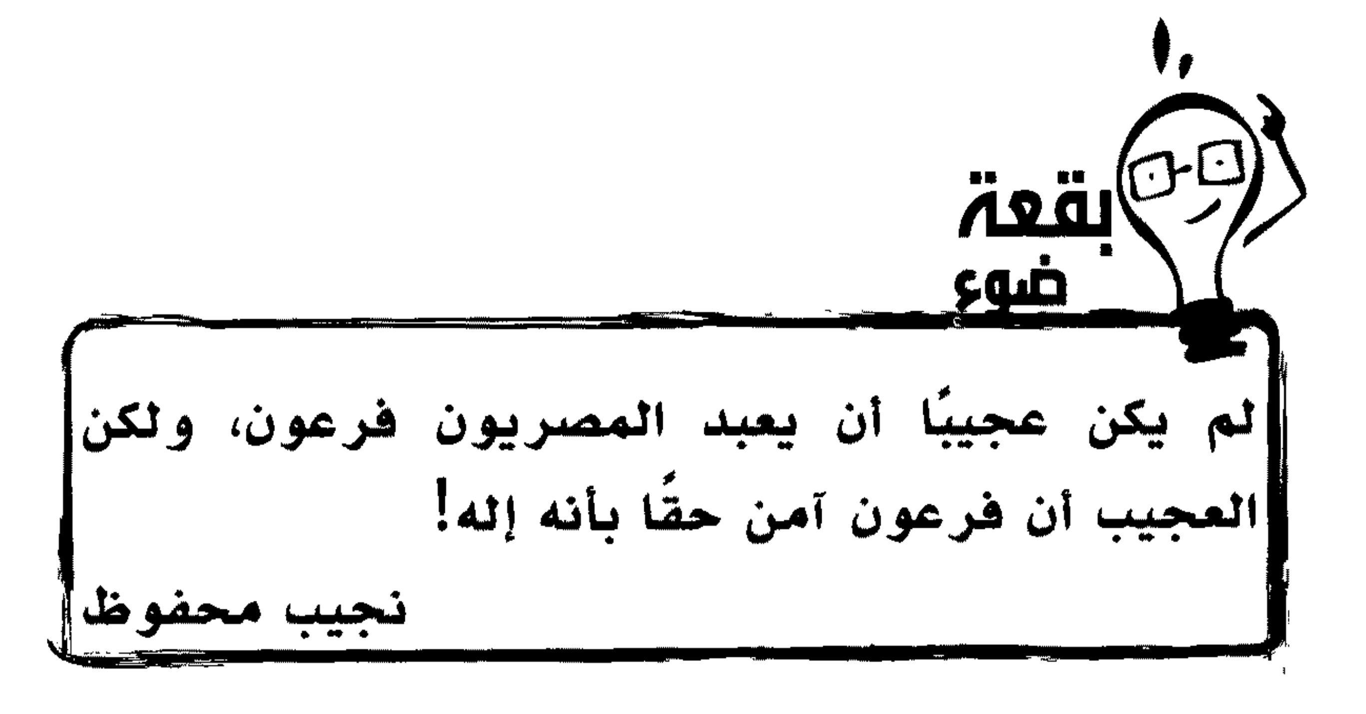
فقال له: في هذا المكان يا مولاي جرت المعركة التي قتل فيها أبو فأحببت أن أُلملم عظامه، كي تدفن في مكان يليق بملك عظيم.

لكنني ويا للعجب وجدت شيئا مدهشا..

هذه يا مولاي جميع العظام التي جمعتها، انظر لها جيدا، هل تستطيع أن تفرق بين عظام أمير وفقير، بين عظام غني وشحاذ، بين عظام قائد في الصدارة وجندي بسيط..

العظام يا مولاي واحدة..!

الأرض جعلتهم جميعا.. سواسية!





25 كن عصيّا على الهزيمة

على قدر طموح المرء منا، يجب أن يتشكل وعيه، ويخطط حسبما يتوافق مع مراده.

فلا يعقل أن يطمع المرء في نيل مطمح كبير، وتراه يعيش عيشا عاديا، فوقته ممزق بلا استثمار، وذهنه فارغ بلا اهتمامات وحياته فوضى.

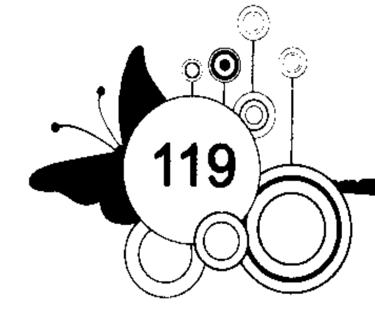
كذلك على مستوى التفكيروالتخطيط والتطلعات المستقبلية فيجب على المرء صاحب الأهداف الكبيرة أن يؤهل نفسه لمصاعب وتحديات توازي أهدافه وتطلعاته.

وأهم وأشد وأقسى هذه التحديات هو النقد الجائر.

ذلك النقد الآتي من شخص غاية أمله أن يبادرك بضربة قاضية تسقطك فلا تقوم لك قائمة بعدها أبدا!

وعندما ترى هذا النوع من النقد أو التشكيك أو الاستهزاء فتجلّد وابتسم.

نعم يجب ألا يصرخ الواحد فينا شاكيا من سهام النقد والتجريح طالما قرر أن يشق طريقه نحو المجد والعلياء خاصة وأن النجاح مستفز لبعض الأشخاص، وأصحاب النفوس الضعيفة كثيرا ما يسهرون



الليل من أجل التفكير فقط في كيفية القضاء عليك!

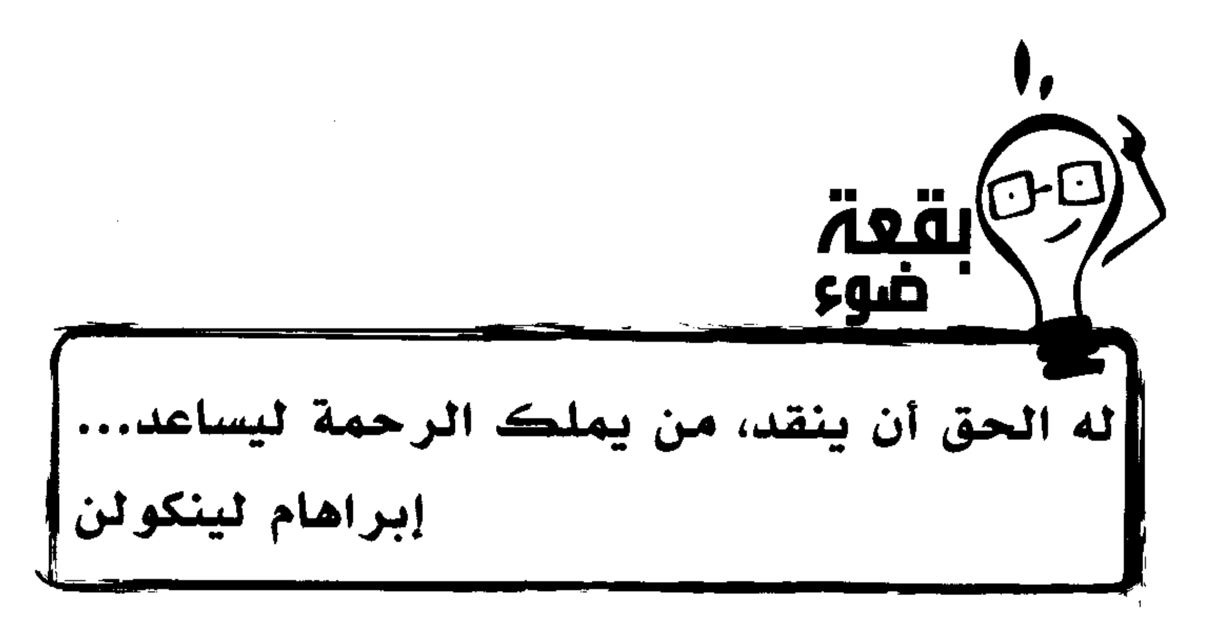
أقول لك هذا كي أبيّن لك حقيقة احتاجت مني لوقت غير قليل قبل إدراكها، وهي أن نقدك على قدرك، وأننا لا يجب أن نلتفت حائرين ونتساءل عن دوافع النقد الجائر..

فالسبب يا صديقي ببساطة أنك اخترت الطريق الصعب، وقررت أن تعلو فوق المستوى، فرآك أحدهم عاليا فاستفززته، فرماك بنباله بغية ردك إلى الأرض كي تتساوى الرؤوس والهامات.

والحل.. أن ترتفع فوق آلامك وتواصل التحليق، أن يستفزك الهجوم فتجوِّد عملك وتجعله أفضل وأروع وأكمل ما يكون.

أن تقرأ النقد أو تسمعه على ما به من تجريح، فتبتسم بهدوء مخفيا غضبك أو ألمك أو حزنك، وتدعو الله لك ولقائله بالهداية والمغفرة.

وبهذا -فقط- يمكنني أن أطمئنك أنك لن تُصرع أبدا.



له الحق أن ينقد، من يملك الرحمة ليساعد...
إبراهام لينكولن



26 بناء الرأي

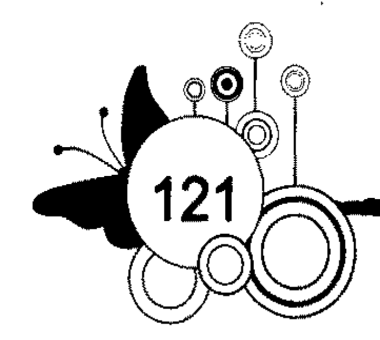
نحن أمة عاطفية، يؤثر فينا الكلام الجميل، وتلهب حماستنا الخطب الرنانة، ويكفيك أن تلعب على وتر العاطفة كي تنال مرادك!

والعاطفة ليست عيبا، أو معرَّة ينكرها المرء ويستبرئ من وجودها في سلوكه.

على العكس، فالعواطف هي التي تحركنا في مواضع شتى وتستفز فينا المعاني العظيمة، والناظر إلى الأعمال التطوعية والخيرية، سيجد أن الشعوب قادرة على فعل المستحيل، وتعمير العالم بأسره، إذا ما حركت حماستها وأشعلت فيها جذوة الطموح والعمل الصالح.

والإسلام كدين سماوي يمتلك مساحة كبيرة من الروحانيات والعواطف، تمكنه من بث الرقة والشفافية في قلوب حملته وأبنائه.

لكن العاطفة إذا لم يتم إحاطتها بقيد العقل والمنطق ستخرج عن مسارها، وتصيبنا ببعض العيوب والمشكلات الشخصية!



وأحد أهم العيوب في الشخصية العاطفية -غير المنضبطة- عدم وجود معايير واضحة وثابتة للنقد وإبداء الرأي.

فالشخصية المتزنة عندما تأخذ رأيا أو تتبنى وجهة نظر، أو تصدر حكما، لا تتدخل في هذا الأمر المشاعر والأحاسيس، وإنما الرؤية الواعية المنضبطة، القائمة على معايير وأسس سليمة وراسخة.

وهذا ما نفتقده في عالمنا العربي والإسلامي، أفرادا كنا أم شعوبا!

فالمرء منا يأخذ موقفا بُناء على عاطفة، ويحابي ويعادي بُناء على عاطفة، وينقد ويثني أيضا ودليله العاطفة.

نحن نفتقر إلى أبسط الأسس والمعايير في النقد وإبداء الآراء..

لسان حالنا ..من معي فهو قديس، من ضدي فهو إبليس!

وهذا يا صاحبي ليس أبدا بالشيء الرشيد.

ونصيحتي لك أن تبني رأيك متسلحا بالمنطق، وأن تدرك قبل أن تنقد أو تتخذ موقفا أن للحقيقة وجوها أخرى غائبة.

وفوق هذا يجب أن ننتبه لشيء في غاية الأهمية، وهو أن نقدنا لجزء.. لا يعمم على الكل!

ربما قرأت كتابي هذا وراق لك، أو استثقلته وندمت على ما دفعته فيه.



لا هذا ولا ذاك يا صديقي يدفعانك إلى إصدار رأي حاد ونهائي في كاتب هذه الكلمات، فربما كان عمله وكتابه هذا جميلا لأنه بارع في تنسيق الكلمات وصياغتها، لكنه في الحياة قد يخالفك في أشياء وأشياء، وربما العكس، لم يوفق في استمالة عقلك وهواك بينما هو في الحقيقة أقرب ما يكون من تفكيرك وذهنك.

إذا ما أحببت أن تصدر حكما، فليكن على الكتاب لا الكاتب يدفعك هذا ببساطة أن تتقبل مخالفة شخص في تفكيره، بينما تقبله كإنسان.

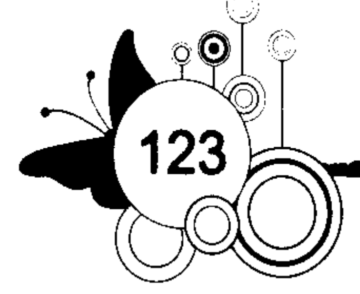
في فترة ما من حياتي كنت متعصبا في آرائي، إذا وافقتني أسكنتك زاوية القلب، وإذا خالفتني أعلنت عليك الحرب!

ويا الله.. كم خسرت من جراء هذا الأمر، وأصبح أعدائي -دون معارك حقيقية- لا يعدهم عادّ.

كان الواحد يخالفني في شيء، ويوافقني في أشياء، وعندما نلتقي أصر بشكل غريب على الحديث والكلام في الشيء المختلف فيه فإما نصرا مؤزرا، وإما خصاما وشقاقا.

ووجدتني بهذا الشكل ماضيا إلى الهاوية.

وتعلمت -بعد كثير خسائر- أن الآراء يجب ألا تكون عاطفية، وأننا لا يجب أن نسجن شخصا في صفة، وكذلك تعلمت ألا أصدر على امرئ حكما نهائيا.

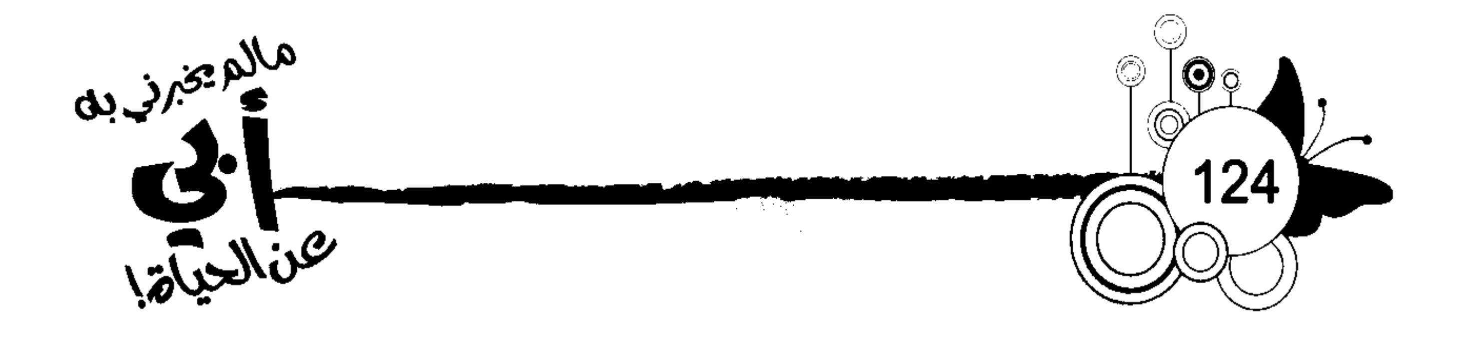


وفوق هذا وذاك، تأكدت من أنني لست دائما على صواب، وأن احتمالية خطئي كبيرة، ولهذا يجب أن أتسم بالتواضع وأنا أعرض أفكاري وآرائي ونقدي.



العنيد لا يملك آراء، بل الآراء هي التي تملكه...
ألكسندر بوب





27 آينشتاين يحدثنا عن الجنون

خمسة عشر عاما وأحمد صديقي يفعل الشيء نفسه.!!

نفس الشركة التي يعمل بها، نفس طريقة التفكير والكلام لا زال يشتكي من صعوبة المواصلات، والراتب القليل، وهزائم فريقه الرياضي وخسارته الدائمة!!

لا زال صاحبي يستدين مطلع كل صيف كي يقضي وأبناؤه الإجازة ويقضي الشتاء في سداد الديون والأقساط.. خمسة عشر عاما ولا شيء يتغير..!

لا زال أحمد مؤمنا أن النصر مع الصبر، وبأن الفرج قادم لا محالة!!

أرى حال صديقي فأتذكر مقولة أينشتين الجنون هو أن نفعل الأشياء نفسها، ونتوقع نتيجة مختلفة!

الجنون أن نبحث عن الأمان والراحة القريبة ونتهيب من المخاطرة واقتحام آفاق وحدود جديدة، ثم نتعجب من تقسيم الله للأرزاق مهملين بأن لله سُننا في الكون لا تحابي مسلما ولا تضطهد كافرا.

سنن الله في الكون حيادية، والسعيد من قرأ صفحة الأيام بتدبر وتعلم منها.

والنجاح والتفوق في الحياة ليس مستحيلا لأي شخص، لكنه في المقابل ليس سهلا قريبا، ولا يقتنصه إلا من دفع ثمنه، وثمن النجاح هو عرق الجبين لا مر الشكوى!

أحمد صديقي وآلاف من أصدقائي وأصدقائكم لا يفعلون شيئا سوى العيش في انتظار الغد!

السبت كالأحد، مارس كإبريل، الأيام لها نفس الطعم، فلا تحدي في حياتهم، ولا تغيير أو مخاطرة يندفعون إليها..

من نافلة القول التأكيد على إن المخاطرة التي أقصدها ليست اندفاعة هوجاء، وإنما خطوة محسوبة ومدروسة، لكنها تحتاج لجرأة وشجاعة واقتحام وإقدام.

كم مرة في حياتك اتخذت قرارا مصيريا غيّر خط حياتك من يومها حتى الآن؟

الكاتب الأمريكي مارك توين له كلمة في غاية العمق والأهمية **يقول:** بعد عشرين سنة من الآن ستشعر بالإحباط وخيبة الأمل تجاه الأشياء التي لم تفعلها أكثر مما تشعر تجاه الأشياء التي فعلتها!

ستشعر بالأسف وربما الندم لأنك لم تكن شجاعا بما يكفي لاتخاذ قرار ما، واكتفيت بأن تلتزم جدار الأمن والطمأنينة.

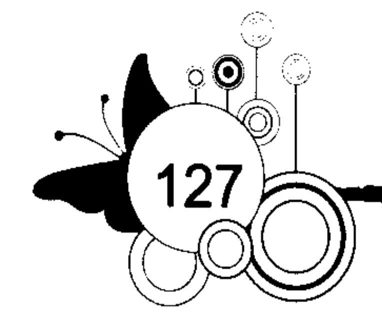


لن تندم على خطأ اجتهادك، بقدر الندم على ترددك وخوفك وإحجامك عن المحاولة.

المرء منا يا صديقي هو مجموع تصرفاته، وتصرفاته هي ترجمة لقراراته، فما أنا وأنت سوى ما نتخذه من قرار، وما نقوم به من أفعال لذا كان من الأهمية بمكان أن ننظر جليا إلى جميع الخيارات التي تتيحها لنا الحياة، وأن نتسلح بالشجاعة كي نقتحم بعض المناطق الخطرة المجهولة.

و الخلاصة: المخاطرة الكبيرة هي الحياة بلا مخاطر! والخوف الأكبر هو العيش بلا خوف، والفشل الحقيقي الوقوف خوفا من فشل! ! !





28 العظمة.. صنعة

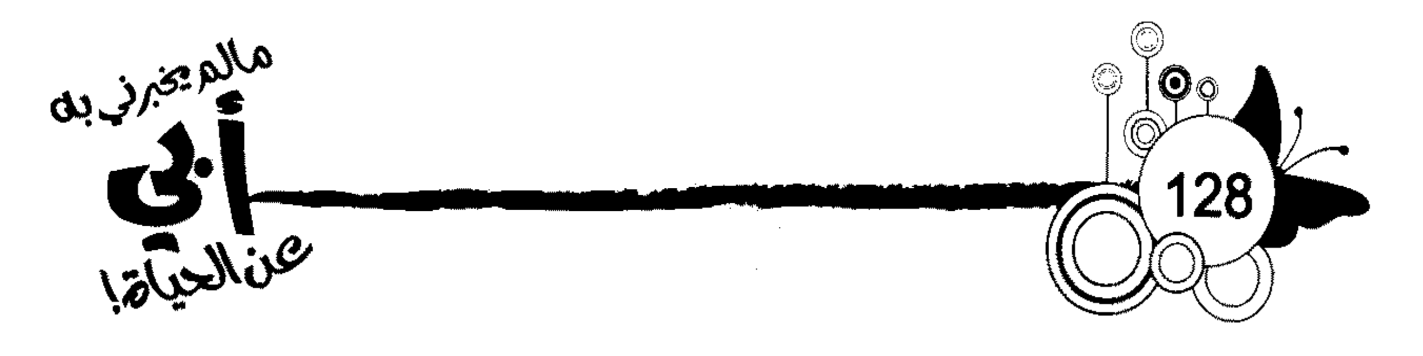
كان الرسام الشهير بيكاسو يمشي يوما في الشارع، حينما قابلته امرأة من معجباته، وصافحته بحرارة، ثم أخرجت من حقيبتها ورقة بيضاء وهي تقول له: سيدي أنا مغرمة جدا برسوماتك العظيمة هل يمكنك أن تشرفني برسم شيء من إبداعاتك على هذه الورقة؟!

فابتسم بيكاسو وهو يتناول منها الورقة ثم شرع في الرسم حتى إذا ما انتهى، أعطاها الورقة قائلا: سيدتي احتفظي بهذا الرسم فستبيعينها يوما ما بمليون دولارا!

فقالت له المرأة مندهشة: سيد بيكاسو لكنك لم تستغرق سوى ثلاثين ثانية فقط لترسم تلك اللوحة الصغيرة.

فابتسم لها وهو يقول: سيدتي، لقد أنفقت من عمري ثلاثين عاما لأعرف كيف أرسم مثل هذه التحفة في ثلاثين ثانية!

رسالة بالغة الأهمية يعطيها لنا الفنان الكبير في حواره السابق وهو أن الإبداع قد لا يستغرق وقتا في إنشائه، لكن هذا لا يعني أبدا أنه عمل ناقص التميز، أو سهل يمكن تقليده.



إن الصعوبات التي يلاقيها المبدع حتى يضع قدمه على أرض راسخة صلبة ليست بالقليلة، والضربات التي صقلت موهبته، لا يجب الاستهانة بها أبدا.

يدفعنا هذا إلى تأمل حقيقة هامة نحتاج كثيرا أن نقف عندها وهي أنه يجب علينا أن نعطي ونعطي قبل أن نتوقف لنأخذ.

لا يوجد حصاد يأتي قبل الغرس، ولا حساب يسبق العمل، ولا منتصر يمكن تتويجه قبل انتهاء المعركة.

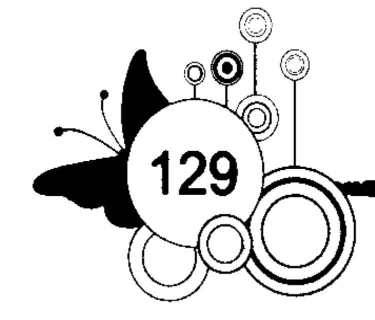
العلامة العربي الكبير (ابن عطاء الله السكندري) يقول في حِكمه: ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يُدفن لا يتم نتاجه.

يهيب بك الشيخ الجليل أن تصبر على ما يدعوك للظهور والتطاول ورفع الرأس عاليا، فلا يوجد نبت خرج فوق سطح الأرض دون أن يتهيأ تحت التراب لفترة، وإن حدث فِما أقرب سقوطه وتهاويه.

هذه سُنّة كونية لا يمكن أبدا معارضتها..

فمن ظن أنه بقراءة كتاب أو أكثر صار مفكرا.. أو أديبا.. فهو واهم ومن أمسك بتلابيب الفتوى في أمور الدين أو الدنيا لمجرد حفظه لعشر أحاديث وبعض قصار السور فهو مفتون..

إن العلماء والعظماء والمفكرين الذين نجلس اليوم لنتعلم منهم



قد وقفوا على أبواب المعرفة يطرقونها بلا كلل، وتحملوا المشاق في سبيل طلب العلم.

وعلى هذا سَرَت سُنَّة الله سبحانه وتعالى في الكون..



احذر على نفسك أمرين: أن تنزع إلى البروز قبل استكمال المؤهلات المطلوبة، وأن تستكمل هذه المؤهلات لتلفت بها أنظار الناس إليك.

الشيخ محمد الغزالي



29 الانتحار!

لا يوجد في الكون دين سماوي، أو فكر فلسفي يرى في الانتحار ثمة حل أو طريقة لتصحيح أي شيء.

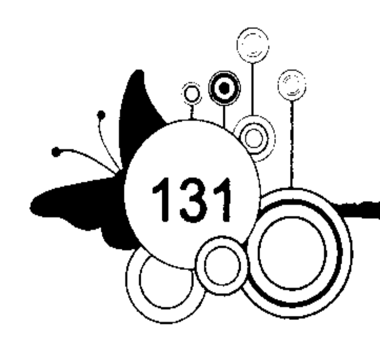
فهو كفر بالله، وضياع للحياة، وإعلان عن يأس وفشل وضعف المنتحر.

لكن الانتحار الذي سأحدثكم عنه هاهنا ليس انتحارا جسديا ولا أقصد به إزهاق الروح، وإنما مقصدي هو الانتحار المعنوي، والقضاء على الثقة والهمّة وروح العمل والتحدي الذي رزقنا بهم الله جل وعلا.

فمن الناس من يمشون بيننا بأجساد خاملة، مات بداخلهم كل ما يدعو إلى التحدي والعطاء، وهؤلاء لا أصنفهم أحياء، إنهم أموات ولكن لا يعلمون!

إننا نحيا في زمن يعج بـ(الموتى الأحياء) الذين ارتضوا بالحياة الأدنى على رأس كل واحد منهم عداد غير منظور يحسب الأيام والساعات حتى إذا ما دنا موعده، أغمض عينيه بهدوء وذهب دون أي أثر له في الحياة!

وبئس حياة تلك التي نعيشها، دون أن نغرس فيها ثمرة للخير



أو بذرة للحق، أو شجرة للعلم يستفيد منها من بعدنا في الحياة ونتعلق بها يوم يذهب كل شيء إلا الأعمال العظيمة تنقذنا من عذاب السعير.

الأديب الساخر جورج برنارد شو يُحرج البعض بقوله (طالما لدي طموح فلدي سبب للحياة، القناعة تعني الموت).

والقناعة هنا ليست الرضا، إنما هي توقف النظر للأمام، أن يكون لطموحك منتهى، ولتطلعاتك خط نهاية.

وبدوره يطلق أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي النار على الخاملين الضعفاء بمقولته العظيمة (من لم يُزد شيئا على الدنيا فهو زائد عليها).

إما أن تضع على جبين الحياة بصمة جميلة مشرفة، وإما أن تُثقل كاهلها بعبئك وحملك وهمومك..

إما أن تكتب لك فيها تاريخا مشرقا عظيما، وإما أن تُطوى حياتك فلا يتذكرك أحدهم يوم يغيب جسدك.

بقعة ضوء

من الصفوة أقوام مذ تيقظوا ما ناموا، ومذ سلكوا ما وقفوا، فهمهم صعود وترقّ، كلما عبروا مقاما إلى مقام رأوا نقص ما كانوا فيه.. فاستغفروا.

ابن الجوزي

30 الامتحان

فتى جاهد الدنيا وجاهد أهلها .. وفي نفسه لم يدر كيف يجاهد!

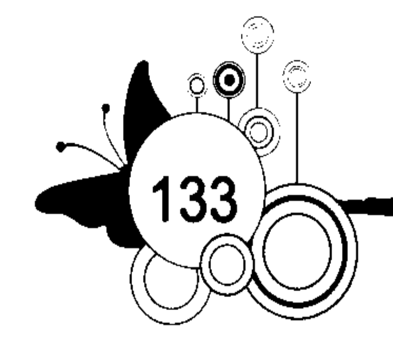
تذكرت هذا البيت بعدما أخبرت أصدقائي ذات ليلة -مختالا- بأني لم أُهزم في معارك الحياة، ناسبا الفضل لله جل اسمه، مؤكدا أن الصدمات الكثيرة في حياتي جعلت من سقوطي أمرا صعبا..

تذكرته وقد جلست مع نفسي لبعض الوقت، وهي تسألني لماذا لم تحدثهم أبدا عن معاركك الداخلية؟! عن المنتصر في معركة إثبات الوجود بيني وبين نفسي، بين هوى وطمع النفس من جهة، وثبات ورسوخ معاني الرضا واليقين من جهة أخرى..

أتفاخر بنصر في معركة يعلو غبارها، وألزم الصمت في معركة النفس، وتالله ما معاركنا الداخلية إلا معاركنا الحقيقية!

أحد الحكماء يقول: عندما تبدأ معركة المرء بينه وبين نفسه فهو عندئذ شخص يستحق الذِكر.

وذلك لأن معاركنا الحقيقية تلك التي يكون للضمير فيها دور حاسم، فيمسك الزمام، ويعرقل جموح النفس وعنفوانها..



إن بيننا هامات عالية مرتفعة، لكنها حينما يغيب نظر الناظرين تركع لشهوة، وتسجد لرغبة ملكتها، وقيدتها منذ زمن.

لذلك لا يتحدث الكثيرون عن هذه الحرب، ولا يتفاخرون بذكر تخطيهم لهذا الامتحان.

إننا بحاجة ملحة إلى أن نولّي حروبنا الداخلية الاهتمام الأكبر، أن نسلط ضوء النقد على الداخل كثيرا.

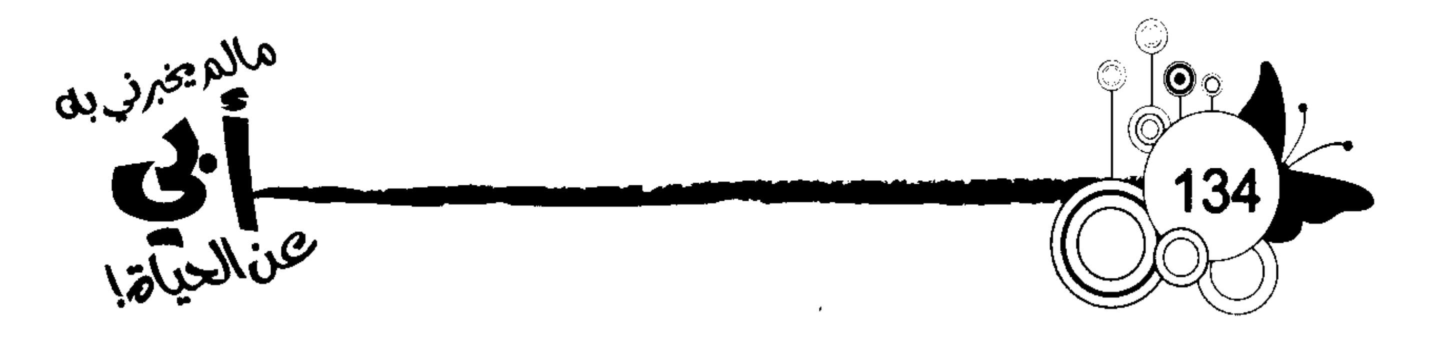
لنفسي أقول، ثم لكم، إن معارك إثبات الوجود تجري داخلك وعليها يتوقف كل شيء في الحياة.

سل نفسك، كم مرة ضبطها تحقد أو تغار، أو تنظر بعين ضجرة إلى نجاحات الآخرين وتفوقهم..؟

أنا ضبطها كثيرا يا أصدقائي..!

نعم.. مرات غير قليلة أضبط نفسي وقد أعجزها فهم سنن الله في الأرض، فعبرت عن جهلها من تفوق من تراهم أدنى منها، وارتفاع شأنهم، ناسية أن فضل الله يؤتيه من يشاء، وأن صاحب النعم يقسمها كيفما يرى هو، لا حسب مزاج ضعيف جالس على بابه ينتظر النعمة دونما ثمن قدّمه.

وفي مثل هذه اللحظة الحاسمة تبدأ المعركة..



فإما فضح للنفس وضعفها، واستغفار لله وتوبة.. وإما استعلاء وغرور..

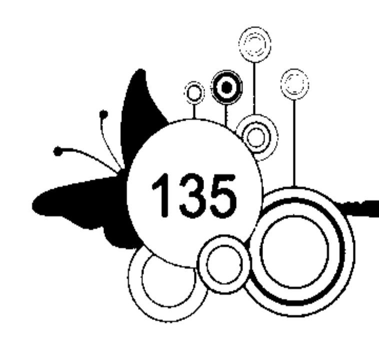
ويكون الامتحان.



إن الغرور يتسلل إلى قلب المرء كما يتسلل الحقد والنسيان والكولسترول، دون أن يدرك هذا، ولو سألت ألف إنسان عن عيوبه لقال لك: عيوبي أنى أثق بالناس أكثر من اللازم وأنني صريح أكثر من اللازم!

أحمد خالد توفيق





31 فعل كل شيء لكنه لم ينظر للمرآة!

أراه كثيرا في الحياة..

شامخا بأنفه، مليئا بالكبرياء والفخر الموهوم، يحدثك عن مواهب بداخله دفينة، وأفكار بعقله جاهزة لتغيير وجه الأرض، وطموح بقلبه سيقلب الطاولة فوق جميع المتأنقين الذين يخدعوننا ليل نهار على شاشات التلفاز بحجة كونهم خبراء..!

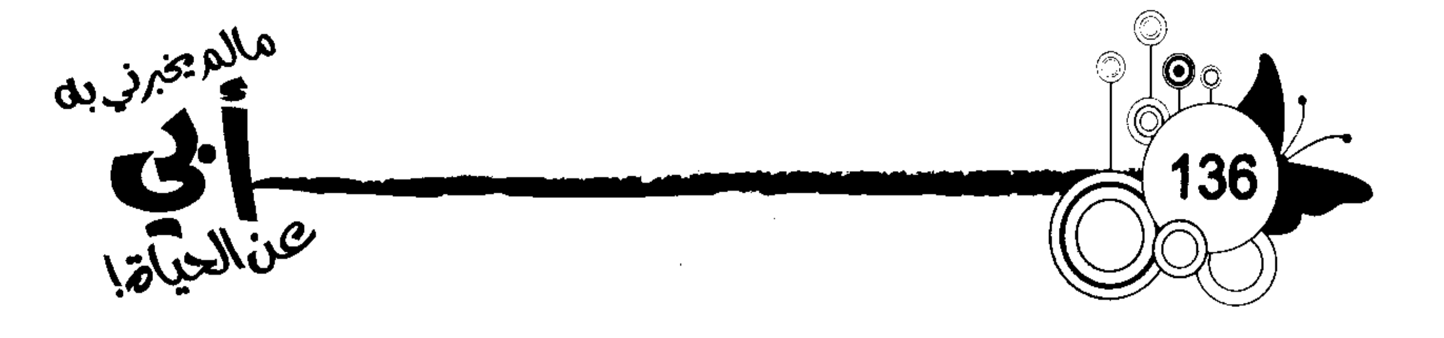
أراه في كل يوم وكل مكان، وأظنكم رأيتموه كذلك أعزائي..

ذلك الشخص الذي يرى في نفسه ما لا يراه الآخرون، ولا يتورع عن إلصاق التهم بالغير كي يبرئ ساحته من أي نقص أو عيب لديه.

فزوجته موهوبة في إجهاض الأحلام، ومجتمعه أرض خصبة للنصب والفساد، والبيروقراطية التي تنتهجها الدولة سبب إحجامه عن تنفيذ أهم وأخطر مشروعاته!

قائمته مليئة بالمبررات التي تقف عائقا أمام تميزه المزعوم.

وهذا الصنف من البشر حمل ثقيل على البشرية، ومصدر من مصادر بلائها.



صنف لا ينظر في المرآة بتفحص، فيقوّم الاعوجاج والعيب الذي فيه، وإنما يستمرئ إلقاء تبعة فشله على الحياة وسكانها.

فإذا ما ابتلتك الحياة بصديق فألفيته من هذا الصنف، فطلقه بالثلاثة طلاقا لا رجعة فيه ولا محلل!

إنه سيصيب حياتك بالتسمم، وسيضيق أفق أحلامك وأمانيك ولن يتركك إلا بعدما تشاركه مأتمه الخالد!

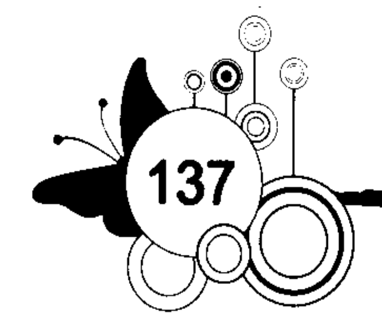
والأهم من هذا أن تنأى بنفسك أن تكون من هذا الصنف، وأدعوك لأن تراجع كلماتك وسلوكك كي لا تنجرف إلى هذا الفخ.

حذار أن تتهم الحياة بأنها تضطهدك، أو الأيام بأنها تعبث معك، أو الكون بأنه يتحداك.

انظر للمرآة، حاسب نفسك، قف أمام أخطائك وكبواتك، إياك أن تتعثر فلا تنظر إلى سبب عثرتك، وتضع حلا ينجيك من تكرار العثرة مرة ثانية.

داوم على تذكير نفسك دائما أن الحياة أكبر منا، وبأننا-مع ذلك- قادرون على مصالحتها ومجاراتها عندما لا نعاكسها، ونتعامل معها كتعامل الأنداد أو الأعداء.

في الحياة تأمل.. فستجد من يلعن دائما ولا يملك في قاموسه



سوى لغة التذمر والسخط والضجر، يلازمه عدم الرضا والشكوى الدائمة.

ستراه يحدثك أنه كان على بُعد خطوة من تحقيق إنجازه العظيم لولا الحظ، ويُقسم أن هذه الحياة الدنيئة اقتسمها اللصوص وأصحاب الحيل منذ زمن، وقد يبتسم في سخرية متحدثا ببطء كالفلاسفة وهو يخبرك بفلسفته الحياتية التي استمدها من طول بحث وتدبر- حسب زعمه- قائلا: العباقرة الحقيقيون يطويهم الزمن في هدوء بعدما يبخسهم حقهم، لكنه يقف أمام سيرتهم بعد مرور سنين عددا عندما تأتي عقول تفهم وتتدبر، وعزاؤه أن هناك من سينصفه بعد زمان يطول أو يقصر!

وتالله ما هؤلاء سوى حمقى وأدعياء، والعظماء الحقيقيون هم صنف لا يبكي أو يولول مهما تعثر أو كبا فرسه، إنه يجمع شمل نفسه وأحلامه وطموحاته ويبدأ من جديد، مهما تكرر سقوطه.

العظماء الحقيقيون ينظرون إلى أنفسهم، يطالعون المرآة يكاشفون النفس ويعاتبونها، لكنهم أبدا لا يلقون بفشلهم على الحياة.

يؤمنون أن الحياة ليست سوى سلسلة من التجارب، وأن الإخفاق في أحدها لا يمثل سوى عثرة أو انكفاءة يجب ألا تعطلنا كثيرا قبل أن نتعافى منها ونكمل المسير.

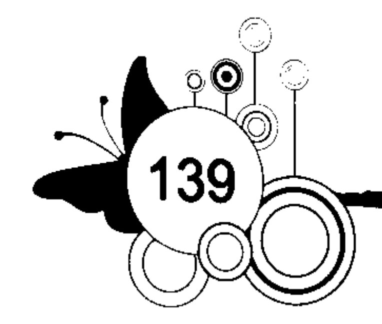


فكن عظيما يا صديقي وانظر في المرآة جيدا، ولا تلقي بهمومك ومتاعبك وآلامك على كاهل الحياة.

بقعة ضوء

> كثيرا ما رأيت عصفورًا يطير وراء نسر وفي اعتقاده أن النسر يفر منه!
>
> **فولتير**





32 القضاة!

يُحكى قديما أن رجلا تقيا وهبه الله مالا كثيرا، فكان كثير الصدقة والمعروف، ذاع صيته، وأصبح كرمه وفضله مضرب الأمثال.

وذات يوم جاءه عابر سبيل، طرق بابه وطلب شيئا من الطعام والشراب.

فهشّ بوجهه الرجل الكريم، وبالغ في الحفاوة وقدم له فوق ما يشتهي، وأحب الرجل التقي أن يُذكِر ضيفه المسكين بالله، ويثني عليه وعلى فضله وكرمه، فما إن بدأ في إلقاء موعظته إلا وتجهم الرجل الفقير ثم قام بالتهجم على الله جل اسمه، وسبه، قائلا: أي إله هذا الذي يتركني فقيرا معدما، أين رحمته وعدله، وأنا كما ترى أشحذ مطعمي ومشربي، فهذا يعطيني وهذا يسد دوني بابه، هل وسع كرمه الملايين، لكنه ضاق بي، دعني لمطعمي وشرابي، وائنس أنت بإلهك بعيدا!

فهاج الرجل التقي واكفهر وجهه، ثم قام ثائرا وطرد الفقير من بيته، بعدما أذاقه من صنوف السب والشتم ألوانا.



وبات الرجل التقي ليلته يستغفر الله، ويرجو رحمته حتى غلبه النوم.

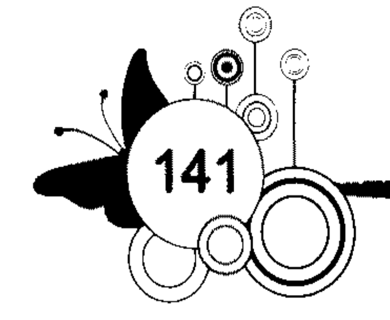
وفي منامه، زاره ملك من قِبل الله يسأله: صنعت معروفا فأجزلنا لك العطاء، وكتبناك عندنا من المنفقين الصالحين، لكنك طردت الفقير من بيتك، وضيعت صدقتك!

فتعجب الرجل وقال: وكيف لا أطرده وقد سبّ الله جل اسمه كيف لا أذيقه المر وقد تهجم على خالق السماوات والأرض، لقد أطعمته لوجه الله، وطردته من أجل الله.

هنا قال له الملك: ومن أوحى لك بأن صدك له قربان لله، وأنك بهجومك الشديد عليه قد انتصرت له، هذا الرجل له أكثر من ستين عاما على حاله، يتهم الله بالظلم والإجحاف، ستون عاما وهو يتجرأ عليه ويُعلن كفره بقضائه وقدره، ومع ذلك فالله يطعمه ويرزقه ويفسح له في الكون، ولو شاء لخسف به الأرض، وجعله عبرة ومثالا.

ستون عاما والله يتحمله، وأنت لم تتحمله لدقائق معدودة.

وقد كان من الأحرى بك أن تعرفه الله، وتتحمل جهله لبعض الوقت، وتنقل له ما عرفته عن الله، لعله وقتها يخجل ويعي حقيقة الأمر، وتكون قد أديت رسالتك بأفضل شكل، وحتى إذا لم يهتد أو يؤمن يكفيك وقتها أداء الأمانة، ولن يحرمك ضلاله حينها المثوبة والأجر.



إن في الحياة بشرا يتألهون، فيصدرون القوانين، ويُنزلون العقاب ويقومون بدور القاضي والجلاد..

يظن الواحد منهم أنه يمتلك الحق المطلق، وبأنه لا ينطق عن الهوى!

فيُضيّقون واسعا، ويطلقون الأحكام..

إن أكبر كارثة إنسانية، أن يحتكر شخص ما الحق، ويحاسب الناس على تقصيرهم، ويُنزل بهم العقاب إذا لم يكونوا كما يرى.

والناظر في واقع الحركات الإسلامية سيرى أنها خسرت كثيرا عندما تعصب بعض أبنائها، وتعاملوا مع الآخر بمنظار ضيق، وحاسبوهم من منطلق أنهم يمتلكون الحق، وأنهم -وحدهم- من يعرفون معايير الخطأ والصواب.

النبي ﷺ كان يحب أبو طالب عمه حبا عميقا كبيرا، وفي المقابل كان أبو طالب يحب محمدا ابن أخيه حبا جما هائلا، ولكن هذا الحب لم يؤهل النبي ﷺ لإقناع عمه باعتناق رسالته، فكان مثالا واضحا أن أمر الاقتناع لا يقوم على المنطق، ولا تؤثر فيه العاطفة، وإنما هي قناعة داخلية، وتوفيق إلهي.

لذا كان النبي ﷺ يدعو ربه ويعلمنا أن نرفع أيدينا دائما داعين



الله (أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه) .

وذلك لأننا كثيرا ما نرى الباطل حقا ونتعصب له، ونرى الحق باطلا ونتعصب ضده.

ومن أهم الأبواب التي تُخرجنا من هذا اللبس الكبير، باب الحوار الجميل، والجدال بالتي هي أحسن.

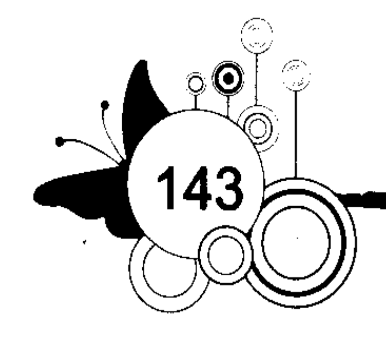
نحن مأمورون بأن نتعلم كل ألوان الحوار، وأساليب الأخذ والرد وأبجدية الاستماع الواعي، والكلام المتزن الجميل.

ومأمورون كذلك بالبعد عن محاسبة الناس عما ارتضوه لأنفسهم من قناعات وأفكار ومبادئ.

ليس لأحد منا -مهما كان متمسكا بالحق- أن يجبر الناس على اعتناقه، أو يلقيهم بالاتهامات إذا لم يؤيدوا رأيه.

نحن -حملة المبادئ- بحاجة إلى أن نعي جيدا الدرس الأول الذي سيفتح لنا الطريق إلى قلوب الناس، وهو أننا دعاة لا قضاة وحملة مشعل لا منفذي أحكام، وأصحاب رأي وحجة فلا تضيق صدورنا وقلوبنا بمخالف أو معارض.

إن من يخشى الحوار هو الضعيف، الساذج، الخائف المرتبك..



أما الأقوياء، فهم يرحبون دائما بأن تتلاقى العقول، فتراهم يرتبون الأوراق، وينظمون الأفكار، ويواجهون العالم أجمع بابتسامة واثقة هادئة.

وأنت يا صاحبي أحق الناس بأن تعي هذا الأمر، وأولاهم بأن تكون هادئا متزنا واعيا، قادرا على الحوار والأخذ والرد.

رافضا كل الرفض جميع الممارسات التي تنبئ بالتحول إلى إرهاب فكري، وأن ينصب أحدهم نفسه قاضيا فيعطي صك البراءة أو حكم الإدانة!



إنني مستعد أن أموت من أجل أن أدعك تتكلم بحرية مع مخالفتي الكاملة لما تقول.

فولتير





33 ببطء كي تكون الأسرع!

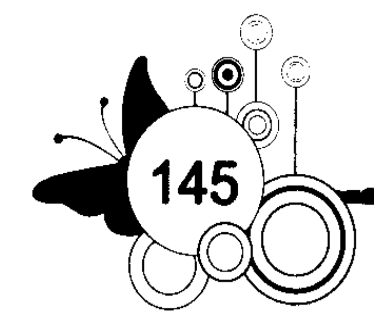
ربما يبدو كلامنا هذا غريبا على العقلية النمطية، لكن الحقيقة تقول، إننا كلما كنا أهدأ، كنا أسرع!

أو لنقلها بلغة أهل الإدارة (كلما أعطيت لنفسك وقتا أكثر في التفكير الهادئ، قلّت حاجتك للعمل المحموم، والضغوط المستمرة وفوق هذا أنجزت بشكل أسرع).

إننا كثيرا ما نقوم بالعمل بشكل سريع، ونظن بأننا حينها أكثر سيطرة على الوقت، بيد أننا كثيرا ما نقضي وقتا ليس بالقليل في تصحيح أخطاء أفرزتها السرعة والعجلة.

الرسام الصيني (شو يونغ) -أحد أشهر رسامي القرن السابع عشر- يحكي قصة أثرت كثيرا في تغيير سلوكه تجاه الوقت وحقيقة إدراكه وذلك أنه قرر ذات يوم زيارة مدينة تقع في الجانب الآخر من النهر فركب السفينة وسأل ربانها عن إمكانية دخوله المدينة قبل أن تغلق أبوابها حيث الليل يقترب ومنتصف الليل -موعد إغلاق الأبواب- قد يداهمه.

فنظر الربان إلى كومة الأوراق والكتب المربوطة بشكل متراخ، وقال له:



نعم ستصل قبل منتصف الليل، إذا لم تمشِ بسرعة مفرطة!

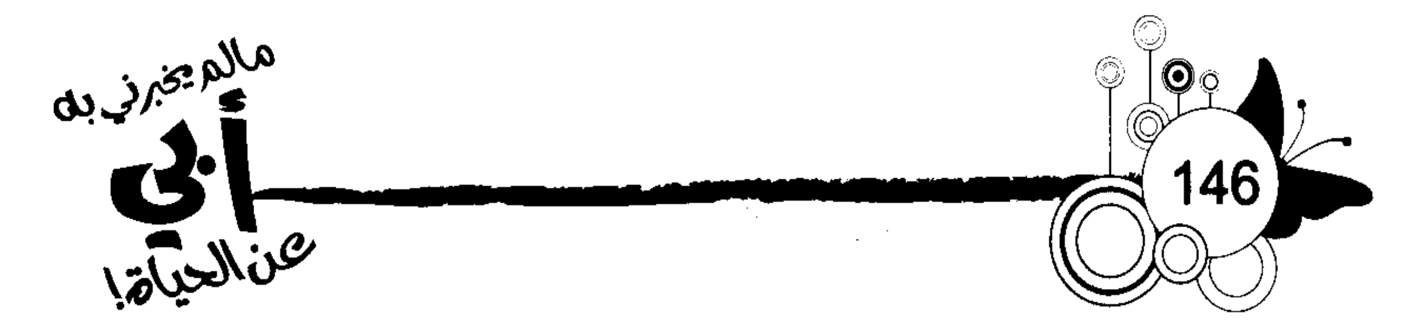
وعندما وصلت السفينة إلى الشاطئ، كان الليل قد زحف على المكان، فخشي (شو ينج) أن تغلق المدينة أبوابها، ومن سقوطه فريسة لقطاع الطرق والمحتالين، فراح يمشي بسرعة أقرب للركض وفجأة انقطع الخيط الذي يحيط بالأوراق والكتب، فتبعثرت على الأرض، فأخذ يجمعها مسرعا، لكنه في النهاية تأخر، وعندما وصل إلى أبواب المدينة كانت قد أغلقت منذ زمن.

ومن يومها علم (شو يونغ) أن الاستعجال ليس دائما في صالح الوقت، وأن العجلة أحد أهم الأشياء التي تخلق مشاكل وكبوات.

إن الواحد منا يظن أن معرفة قيمة الوقت ومحاولة استغلاله تتأتى بتسريع إيقاع الحياة، وهذا ليس صحيحا، وإنما استغلال الوقت يأتي من التخطيط الأمثل للاستفادة منه.

علماء وأساتذة الإدارة يخبروننا أن كل ساعة من التفكير توفر لنا ما لا يقل عن ثلاث ساعات من العمل، والمضحك أن معظمنا -عن جهل- يظن كي لا يضيع وقتا أن عليه البدء في تنفيذ الأمر بمجرد التفكير فيه، دون الحاجة للتخطيط، فالتخطيط في رأيه لا يعني سوى إهدار المزيد من الوقت.

والناظر بتأمل سيرى أن من يعمل بعجلة وتسرع يقضي ما لا



يقل عن نصف وقته وجهده في تصحيح قرارات وتصرفات أخذها في عجل.

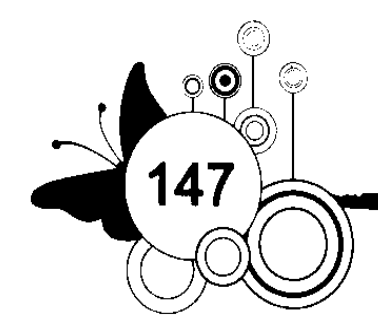
وأنه لو فكر وتمهل قليلا.. لكان خير له.



ليست السرعة كلها نشاطا ..قد يسرع الكسلان ضيقا بالعمل وشوقا إلى الكسل !!.

عباس محمود العقاد





34 استمتع بما تملك

عادة قديمة ألفتها صارت منهجا اعتنقته في الحياة.

وهو ألا أنظر إلى شيء ليس لي، ولا أشتهي ما لا يمكنني امتلاكه.

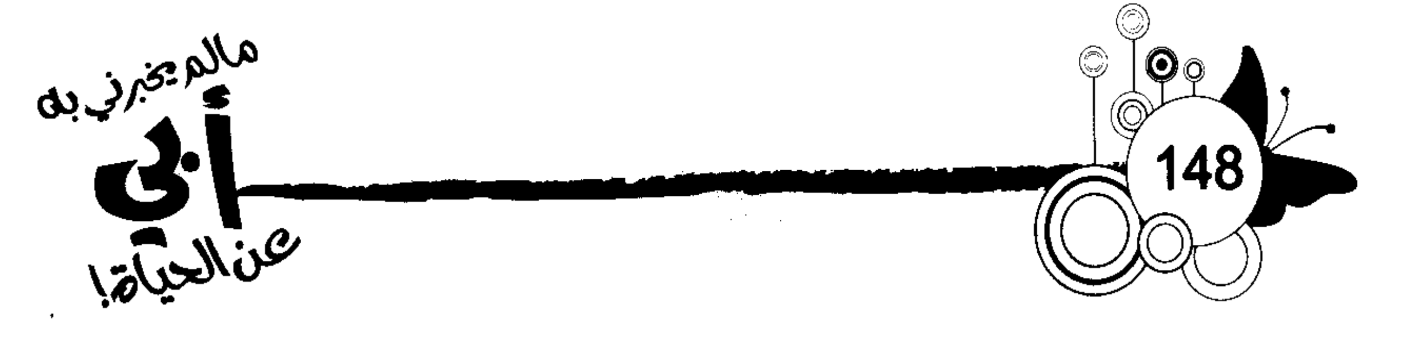
دائما أعيش في الثوب الذي يلائمني، ولا أستمتع بطفرة قد تحملني معها عاليا لفترة، ثم تردني إلى أصل طبيعتي.

كنت أستاء من صديق لي يأخذ قرضا ليشتري سيارة، محملا نفسه وأسرته ما لا يطيق، فأزجره قائلا: عش في مستواك، واستمتع بما تملك فعلا، إنك لا تقدر على شراء سيارة كهذه في العادة قبل خمس سنوات، فلم تعجل بالعيش في مستوى لم يأت أوانه.

ثم أنظر حولي فأجد أن معظم البشر في زمننا هذا يسبقون إمكاناتهم بخطوة وربما بخطوات..

القروض بأنواعها، وبطاقات الفيزا، والأقساط طويلة الأجل جعلت الجميع مدينين، وخلقت نوعا من الترف غير المنطقي، حيثُ اشتر الآن وسدد فيما بعد..!

ولقد قرأت يوما في سيرة أحد الحكماء أمرا ينضح بالفطنة وبعد النظر، وذلك أن ولده جاءه يوما مهللا وهو يقول: بشرى يا أبي لقد



وجدت تمرًا في السوق الكيلو يباع بدينار واحد، فألححت على البائع أن يحجز لي جوالا كاملا، حتى آتيه بالثمن، فابتسم الحكيم بهدوء وقال: هاك ديناران، اذهب فاشترِ لنا بهما!

فأطاع الولد المندهش كلام أبيه دون اعتراض، حتى إذا ما مرت فترة إذ ناداه أبوه ثانية وقال له: كم بلغ سعر التمر اليوم؟

فأجابه الولد: خمسة دنانير يا أبي للكيلو.

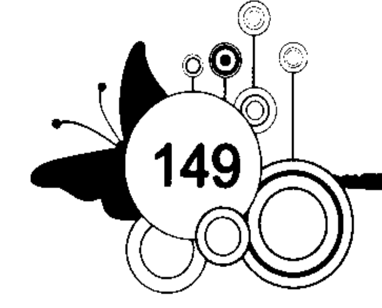
فقال له الأب: اذهب فاشتر لنا جوالا، ثم أعطاه النقود!

فتعجب الولد وسأل أباه قائلا: ما أعجبك يا أبي، أتأبى الشراء وقت أن كان بدينار واحد، وتشتري عندما أصبح ثمنه خمسة دنانير! !

فقال الأب: يا بني عندما كان بدينار واحد، لم يكن معي وقتها سوى دينارين، أما الآن فأنا أملك الكثير.

إن من أعظم الإستراتيجيات التي ينتهجها العقلاء، هي إستراتيجية (الاستغناء)، فإذا ما اشتهيت ما لا تستطيع امتلاكه فأخرجه من قلبك وتفكيرك، وبهذا فقط تتغلب على شهوة امتلاكه وسحر تأثيره عليك، بينما تطلعك المستمر لما لا تستطيع الاستحواذ عليه يجعلك قلقا دائما، ويأخذ من تركيزك الشيء الكثير، والأسوأ من ذلك أنه قد يجعلك غير مدرك لجمال وروعة ما تملكه فعلا.

إننا لا نستطيع امتلاك كل ما نشتهي، وستظل هناك دائما أشياء



وأشياء نطمع فيها، فإذا ما أحببنا أن نطمئن الفؤاد والروح، فعلينا أن ننظر بعين الرضا والقبول لما وهبنا الله تعالى، وأنعم علينا به، وندرك أن هذا الذي نملكه هو مبتغى أمل بعض البشر، وبأننا في نعمة من الله كبيرة، لكننا لا ندركها، أو لا نعلم عنها شيئا!



كان عمر بن الخطاب - وفي يده الدنيا - يشتهي الشهوة من الطعام ثمنها درهم، فيؤخرها سنة. يُثبت لنفسه بذلك أنها نفس عمر

مصطفى صادق الرافعي



35 لا تترك ما تملكه.. يملكك!

أراد أن يجمع كل كنوزه أمام عينيه، فباع ما يملك واشترى بثمنه سبيكة ذهب، ثم جاء إلى مكان خفي في فناء منزله وحفر حفرة عميقة ووضعها بداخله!!

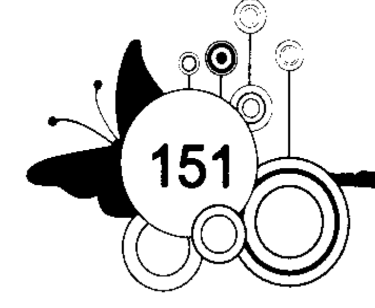
كل شهر كان يحفر ليطالع ثروته، ويجلس قبالتها قسطا من النهار، يبثها ولعه وشغفه وهواه!، ثم يهيل عليها التراب مرة ثانية خشية أن يراها أحد..!!

بيد أن القدر خبأ له مفاجأة غير سارة، فلقد شاهده أحدهم وهو يجلس مشدوها أمام الحفرة، وأيقن أن في الأمر سرا كبيرا، فانتظر ذهابه ونقب في الأرض إلى أن وجد سبيكة الذهب فسرقها..

عاد الرجل ففُجع بالمصيبة، طار عقله، وطفق يبكي ويولول كالنساء، فأقبل جار له يستفسر منه ويسأله عن سبب بكائه وعويله، فأخبره الرجل المفجوع بالأمر.

ولأن الجار كان على عِلم ببخل الرجل وتقطيره على نفسه وأهل بيته فقد أخبره باقتراح مثير..

قال له: خذ حجرا من بين تلك الحجارة الملقاة بعيدا وضعها في الحفرة، وتخيل أنها سبيكة الذهب التي ضاعت منك، وعندما نظر



له الرجل مستنكرا فسر قوله قائلا: في جميع الأحوال أنت لن تستمتع بها ولا بقيمتها، وما دام الأمر كذلك، فأي حجر هو في قيمة تلك السبيكة..!

توضح لنا هذه القصة -على طرافتها- حجم المأساة التي يعانيها بعضنا من يملكون شيئا غاليا، فيملكهم هذا الشيء، ويصبحون أسراه، ويشغلون تفكيرهم وجهدهم بخدمته، بدلا من الاستمتاع به وتسخيره من أجل خدمتهم.

وكيف أن الخوف يقلب الآية تماما ويعمي العقول عن فهم حقائق الأمور، ويصل الرعب من فقد شيء ما إلى الوقوع تحت أسر هواه.

النبي ﷺ يعطي عمقا مدهشا في المعنى الحقيقي لامتلاك الأشياء. يقول ﷺ: يَقُولُ ابن آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ[1].

إن المعنى الحقيقي لامتلاك الأشياء يأتي من استخدام هذه الأشياء في خدمة مالكيها، وليس في المعنى العقيم لوقوعها تحت تصرفه وسيطرته.

ما قيمة كنوز لا يُعدها عادّ وهي في خزانة مغلقة، وصاحبها يعاني من الفقر والحاجة؟!

في الفقرة السابقة عجبت من يعيشون في واقع لم يأت أوانه

(١) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

ويتلذذون بمتع لا يملكونها، وفي هذه الفقرة أشفق على مسكين يعيش في واقع أقل مما يستحق، ويحرم نفسه من خير يملكه!

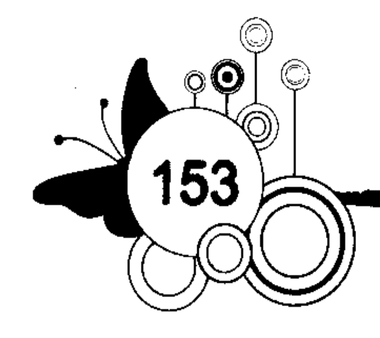
ولقد تأملت في نفسية هذا الشخص، فوجدت أن شحه وكنزه مبعثهما في الغالب قلق من الغد، وانعدام ثقة بالله، وكره للناس!

وهؤلاء في الغالب يجعلون البيئة التي يعيشون فيها قطعة من جهنم، بتوترهم وخوفهم، وعدم توسيعهم على أهليهم، ومن يقعون تحت مسؤوليتهم من زوج وذرية.

على عكس الشخصية الطبيعية الهادئة التي لا تحمل في الغالب مخاوف من الغد، وتلقي بهمومها واثقة على من بيده الأمر، وتدبر أمرها جيدا أخذا بالأسباب، لكنها في الأخير تخلع حولها وقوتها على باب رب كريم.

والخلاصة: استمتع بما وهبك الله من نِعم، ولا تكن شحيحا فتحرم نفسك ومن تعول من رزق ساقه الله إليك، فربما يذهب عنك أو تذهب عنه.





36 العصمة لله..فقط

كان عالما له تلامذة وأتباع، يأتيه المئات والآلاف ليجلسوا بين يديه ويستفيدوا من علمه، ويسألوه عما أشكل عليهم، أو التبس على أفهامهم.

إلى أن وقع الرجل في ذنب كبير، فانفض الناس من حوله وهجروه..

وأدار التلامذة ظهرهم للأستاذ، متندرين بوقوعه في ذنب كهذا حانقين عليه.

وبينما الرجل في بيته إذ طرق بابه طارق، فلما طالعه وجده صبيا ممن كان يقصد مجلسه، وطلب منه أن يسمح له بالدخول والتعلم منه.

فسأله الرجل متعجبا: ولماذا لم ترحل مع من رحل؟

فأجابه الفتى قائلا: لأنني لم أتبعك على أنك نبي!!

هذا الصبي النبيه وضع يده على حكمة كبيرة، وهو أن ليس بيننا من عُصم من الخطأ والزلل، ولا يجب أن نطالب الآخر على أن يكون طاهرا نقيا كالملائكة..



البشر -كل البشر- ذوو أخطاء، فإذا ما حصرنا المرء في دائرة ضيقة وحكمنا عليه من زاوية واحدة، وجعلناه سجين خطيئته نكون قد جحدناه وظلمناه ظلما بيّنا.

بل يجب أن نسامح، ونغفر، ونعفو، وننسى.. ونسأل الله لأصحاب الخطايا الغفران والتوبة.

وقف عيسى عليه السلام ذات يوم أمام حشد من الناس وقد التفوا حول امرأة قد ارتكبت ذنبا، كل واحد منهم بيده حجر يريد أن يرجمها به.

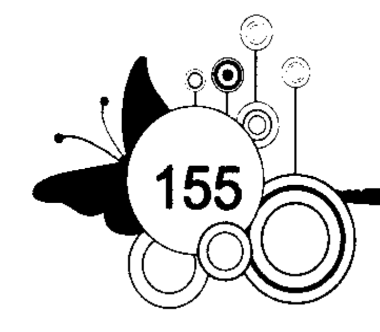
فنظر إليهم عليه السلام، وقال قولته الخالدة: من كان منكم بلا خطيئة فليلقها بحجر.

فنظر بعضهم لبعض، وانفض كل منهم إلى حاله..!

النبي ﷺ كان واسع الصدر مع المخطئ، كثير الحلم على الجاهل حنونا.. عطوفا.. لينا.

يضع دائرة حول السلوك الخاطئ، ويأبى أن تشمل هذه الدائرة الشخص بأكمله!

ومن ذلك أن رجلا من المسلمين، كان دائما ما يؤتى به وقد ارتكب ذنبا كبيرا، وهو شرب الخمر، فكان النبي يعاقبه، إلا أنه ذات مرة سمع أحدهم يتندر على خطيئة الرجل، ويسخر من ذنبه المتكرر، ويدعو الله عليه قائلا: اللهم العنه.. ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ



هنا وقف النبي ﷺ للرجل، ورد عليه ردا حاسما، فقال: دعوه، فإنه يحب الله ورسوله.[1]

هكذا يرى العظماء حقيقة الأمور..

الكل يُخطئ.. ويقع منه ما يشين..

والظلم.. كل الظلم، أن يكون هذا مدعاة لأن نطرد المخطئ من بيننا وننفيه إلى أرض الإثم، ونرفض أن نقبله وسطنا، ونباعد بينه وبين أرض التوبة.

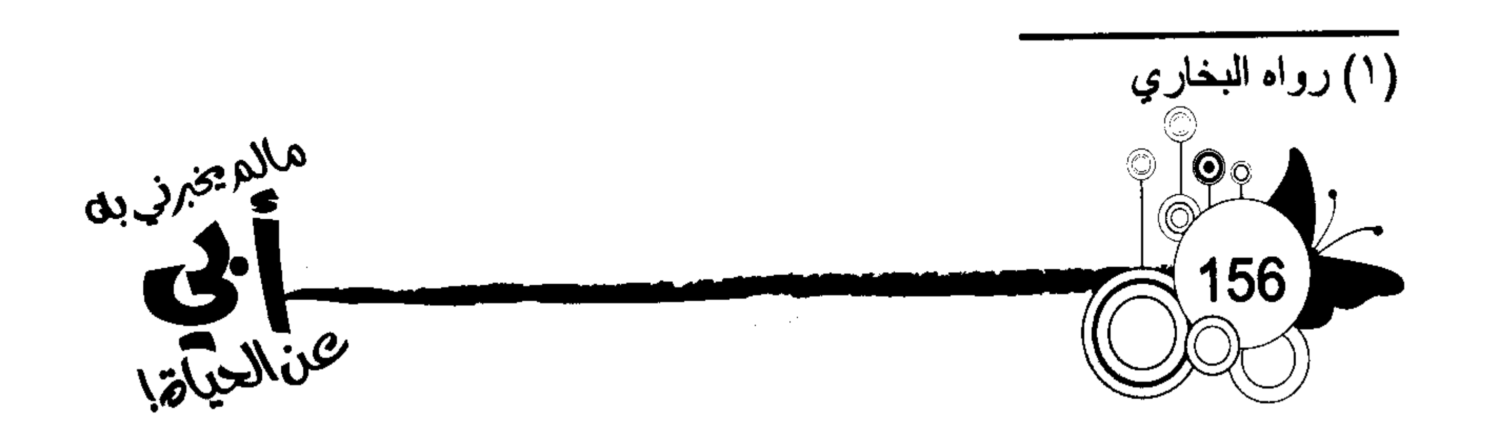
من البشر أناس وثيقو الصلة بالله، لديهم من السماحة والحنو ما يجعل وجودهم في الحياة أمرا جميلا، لا يرفضون أحدا لذلته أو خطئه بل يقفون بجانب الواحد منهم إلى أن يمر من عنق الزجاجة ويعبر المرحلة الصعبة، ويعود إلى جادة الطريق المستقيم.

لسنا بالملائكة يا أصدقائي.. لسنا بأنبياء..

إننا بشر.. وليس بين البشر من امتلك العصمة..



(١) رواه البخاري



37 غـــربــة

متى كانت آخر مرة سمعت فيها عبارة مثل (كلمة شرف) أو (أعطيتك عهدي)؟!

في عالم مادي كالذي نحياه، والذي تَنحّت فيه كثير من قيمنا الجميلة جانبًا، وحلت محلها قيم أخرى تتعلق بثقافة الصفقات والعمل والربح، وباتت فيه -يا للمأساة- كثير من القيم والمبادئ الأخلاقية عقبة أمام نجاح البعض!

صار الشريف غريبا، وصارت كلمة الشرف، والذمة، والعهد بضاعة راكدة ليس لها فائدة!!

صارت معاني الشهامة والأمانة ومراعاة الحقوق لا يؤبه لها عند كثيرين!

لقد عاش النبي ﷺ وبُعث وحمل الرسالة الخالدة، ومع ذلك لم ينس أبدا أنه شهد ذات يوم مؤتمرا تم عقده لإعلاء القيم السامية وإرساء مبادئ العدل والشرف والكرامة.

يقول ﷺ (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت)[1].

(١) صححه الشيخ الألباني في كتاب فقه السيرة

وقصة هذا الحلف أن رجلا قدم إلى مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان وقتها رجل له مكانة كبيرة وشرف، ويرهبه الناس ولا يردون له أمرا، والغريب أنه أخذ منه البضاعة ولم يعطه الثمن، مغترا بمكانته وقوته، فما كان من الرجل إلا أن ذهب إلى كبار قريش يشكو لهم ويستعديهم عليه، كي يرد له حقه، لكنهم رفضوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، بل على العكس انتهروه وطردوه!

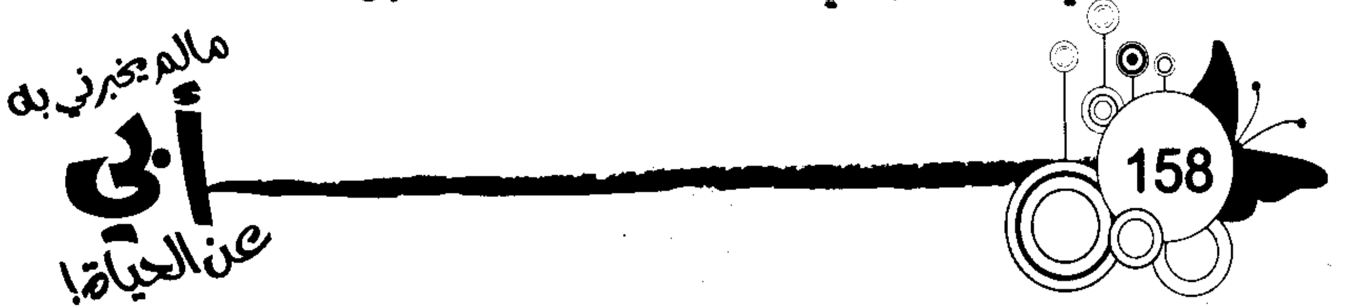
فلما رأى الرجل أن حقه ضاع وليس من شهم يرد له حقه، صاح بأعلى صوته يتلو شعرا ينعي فيه موت الشرف والأمان، ويشكو ضياع حقه في البلد الحرام.

هنا قام رجال هزهم ما حدث، لديهم من النخوة ما يقلق رجولتهم ومن العز ما يدفعهم إلى الوقوف بصلابة مع المظلوم مهما كان ظالمه أو كانت قوته أو جبروته.

فتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونُن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الرجل فدفعوها إليه.

ومن يومها ما إن يُظلم أحد في مكة إلا ويذهب من فوره إلى ذلك الحلف فيعود له حقه، مهما كان جبروت ظالمه.

ولأن فاجعة الأخلاق في زمننا هذا يصعب فيها العزاء، فإنني أهيب بك يا صديقي أن تقيم في وجدانك حلفا للفضول..!!



حِلف كامل يحيط بحياتك كلها.

وأول واجبات هذا الحلف أن يعمل رقيبا عليك!!

أن يردعك عن أن تتنازل عن المعاني السامية النبيلة في سبيل جني مكاسب تراها كثيرة وعاجلة، ويخبرك أنها مجرد طعم لن يلبث أن يهوي بك في أعماق بئر الفشل!

أن يقض مضجعك، ويقلقك، ويدفعك إلى فعل كل شيء، وأي شيء، في سبيل أن تكون رجلا شجاعا فاضلا، وشهما نبيلا.

حِلفٌ يدفعك إلى قول الحق مهما كانت الضرائب، ونصرة المظلوم مهما كانت العقبات، والضرب على يد الظالم مهما كانت المخاطر..

لقد عشت فرأيت من يخون أصدقاءه، ويبيع مبادئه، ويتلوّن كالحرباء..

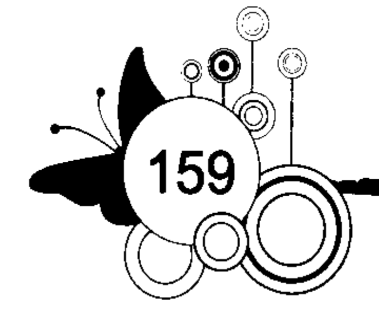
وفي الغالب كان الثمن بخسا..

رأيت من يغض الطرف عن منكسر، ويعمي أذنيه عن استغاثة مستجير، ويشيح بوجهه بعيدا كي لا تقع عيناه على مظلوم أو ضعيف يستغيث به.

إن من يلجئون للمكر، والخداع، والتلون لكثر.

وحجتهم أن هذا زمن المكر والخديعة، واللعب على الحبال!

أمثال هؤلاء أحزن عليهم، لأنهم ظنوا أن هذه الخدع البسيطة



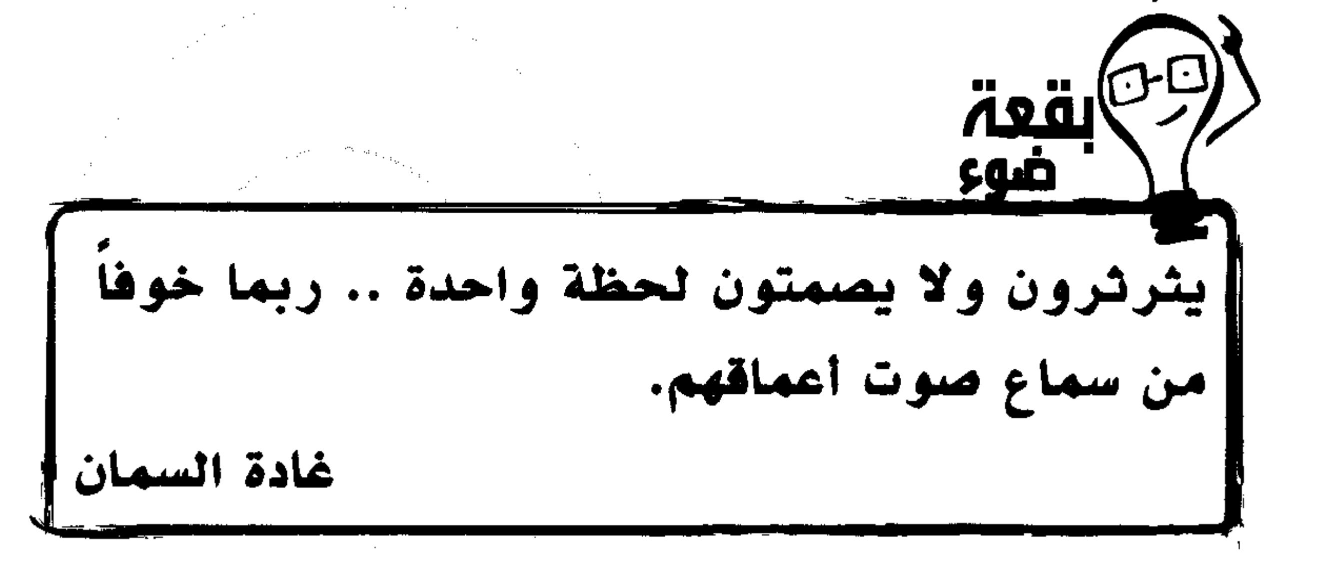
ستنطلي على الناس الذين لن يتمكنوا من اكتشافها، ولا يدركون أنهم يخسرون الكثير والكثير..

وأول خسائرهم هي فقدانهم أنفسهم، وأرواحهم، وجوهر وجودهم.

يودعون معاني الاستقامة والشرف والمروءة، ويتخبطون في دروب الحياة بلا هادٍ بعدما فقدوا سلامهم الداخلية، وصلحهم مع الذات.

إن سقوط المرء من عين نفسه، مصيبة لا تصلح معها سلوى لذا اسمح لي أن أحذر نفسي وإياك من التهاون في حق المبادئ والقيم التي بداخلنا، ألا نساوم في عقائدنا، ولا نغض الطرف عن أي تعدي عليها.

أعلم أن حملة المبادئ في تعب ونَصَب، لكن برد الطمأنينة والرضا وهدوء الضمير سيخفف عنا كثيرا من أعباء وأثقال الحياة.



يثرثرون ولا يصمتون لحظة واحدة .. ربما خوفاً من سماع صوت أعماقهم.

غادة السمان



38 الأذكياء الأغبياء!!

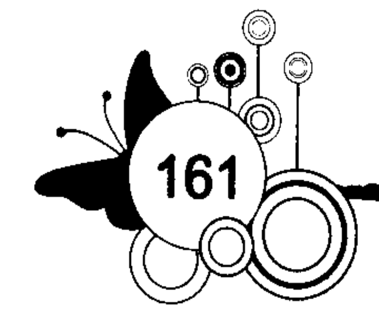
كان أنيقا للغاية، يشهد له الجميع بالذوق والرقي في التعامل.

وذات يوم وقف ليشتري بعض الخضروات من المحل الموجود في واجهة منزله، أعطته البائعة العجوز أغراضه وتناولت منه الورقة من فئة العشرين دولارا، ووضعتها في كيس النقود لكنها لاحظت شيئا! !

لقد طُبعت على يدها المبللة بعض الحبر، وعندما أعادت النظر إلى العشرين دولار التي تركها السيد الأنيق، وجدت أن يدها المبتلة قد محت بعض تفاصيلها، فراودتها الشكوك في صحة هذه الورقة لكن هل من المعقول أن يعطيها السيد المحترم نقودا مزورة؟ هكذا قالت لنفسها في دهشة!

ولأن العشرين دولارا ليست بالمبلغ الهين في ذاك الوقت، فلقد أرادت المرأة المرتبكة أن تتأكد من الأمر، فذهبت إلى الشرطة، التي لم تستطع أن تتأكد من حقيقة الورقة المالية، وقال أحدهم في دهشة: لو كانت مزيفة فهذا الرجل يستحق جائزة لبراعته! !

وبدافع الفضول الممزوج بالشعور بالمسؤولية، قرروا استخراج تصريح لتفتيش منزل الرجل، وفي مخبأ سري بالمنزل وجدوا بالفعل



أدوات لتزوير الأوراق المالية، وثلاث لوحات كان قد رسمها هو وذيلها بتوقيعه.

المدهش في الأمر أن هذا الرجل كان فنانا حقيقيا، كان مبدعا للغاية، وكان يرسم هذه النقود بيده، ولولا هذا الموقف البسيط جدا لما تمكن أحد من الشك به أبدا.

والمثير أن قصة هذا الرجل لم تقف عند هذا الحد..!

لقد قررت الشرطة مصادرة اللوحات، وبيعها في مزاد علني، وفعلا بيعت اللوحات الثلاث بمبلغ ١٦٠٠٠ دولار، حينها كاد الرجل أن يسقط مغشيا عليه من الذهول، إن رسم لوحة واحدة من هذه اللوحات يستغرق بالضبط نفس الوقت الذي يستغرقه في رسم ورقة نقدية من فئة عشرين دولارا..!

لقد كان هذا الرجل موهوبا بشكل يستحق الإشادة والإعجاب لكنه أضاع موهبته هباء، واشترى الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وحينما سئل الرجل عن جرمه قال: **إني أستحق ما يحدث لي لأنني ببساطة سرقت نفسي، قبل أن أسرق أي شخص آخر!**

هذه القصة تجعلنا نقف مليا لنتدبر في أن كثيرين منا في الحقيقة يجنون على أنفسهم، ويسرقونها، ويجهضون طموحها، أكثر مما قد يفعله الأعداء والحاقدون!

وأننا كثيرا ما نوجّه أصابع النقد والاتهام فيما يحدث لنا نحو



المجتمع والآباء والحياة بشكل عام، بينما أنفسنا نحن من يجب أن نواجهها ونقف أمامها مليا.

كم عبقري أتت على عبقريته دناءة الهمة وخسة الطموح وانتهت أحلامه عند حدود رغباته البسيطة التافهة..؟!

كم منا يبيع حياته بعرض بسيط من الدنيا، ويتنازل عنها؟!

الكثير يفعلونها.. وبسهولة..

إن انعدام البصيرة لَبليةٌ يصعب معها العزاء، وإهدار الطاقة التي وهبنا الله تعالى في محقرات الأمور لكارثة يصعب تداركها، والعمر -للأسف- يمضي، وتطوي الأيام بعضها بعضا..

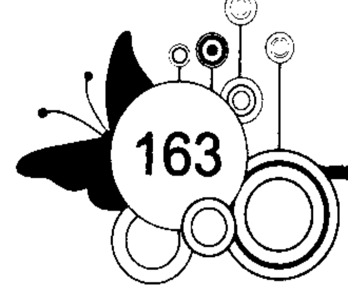
فمن يا ترى يستيقظ قبل فوات الأوان..؟؟

من..!؟



أكثر الأكاذيب شيوعًا هي أكاذيبنا على أنفسنا...
أما الكذب على الآخرين فهو عادة استثنائية...
فريدريك نيتشه





39 فخ الشعور بالأمان

من المنطقي أن نبحث جميعا عن الأمان والسكينة.

نطاردهما أينما كانا، نرجوهما أن يحطا على وجداننا، وبيوتنا ومجتمعاتنا..

فالشعور بالأمان كان وسيظل حاجة بشرية أصيلة، وضعها النبي ﷺ على قمة هرم الاحتياجات البشرية بقوله ﷺ (من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[1]، ووضعتها كذلك مدارس علم النفس كركيزة هامة في قاعدة هرم الاحتياجات التي من دونها يفتقر المرء إلى عامل هام جدا من عوامل العيش الهانئ، وذهب (إبراهام ماسلو) في نظريته (مثلث الاحتياجات) إلى أن الشعور بالأمان هو ثاني أهم ما يحتاجه الإنسان في الحياة، بعد الطعام والشراب.

بيد أن هناك شركا خفيا يقع فيه كثيرون ممن ينعمون بعد مشقة ويهنئون بعد طول تعب وكفاح ! !

(١) رواه البخاري في (الأدب المفرد)

وذلك ميلهم للراحة والدعة والسكون، وهدوء جنانهم كلية وفقدهم إلى ما يستفز لديهم الحماسة، ويحرك فيهم الدوافع.

كثيرون من البشر عندما يرتاحون يتوقفون عن العمل، والبذل والعطاء..

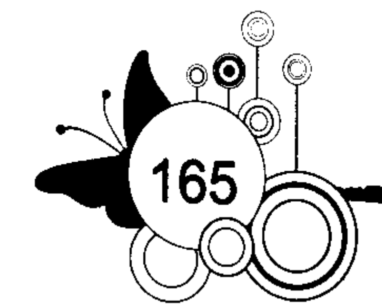
وكأن القلق والخطر والتوتر هو الحافز الذي يهزهم، ويدفعهم إلى الخوف، ومن ثم إلى العمل والإنجاز.

لقد فطن الأديب الروسي (دستويفسكي) إلى هذا الأمر، فلقد أقلقه ذلك الاطمئنان المالي الذي يأتيه كلما كتب قصة ناجحة، مما يجعل عملية الإبداع لديه غير متوهجة، فيجلس عاطلا عن الإبداع والكتابة إلى أن ينتهي ما لديه، ثم يضطره العوز والحاجة إلى الكتابة ثانية!

عاش دستوفيسكي معذبا بتلك الحالة من الأمان التي تجتاحه..!

نعم.. لقد أهمه هذا الأمر، وبات يفكر في طريقة للتخلص من شعوره بالاطمئنان المادي، فلجأ إلى حيلة غريبة كي يعود إلى حالة الإبداع، وهي ذهابه المتكرر إلى الحانات فلا يبرحها إلا بعد تبديد كل ما يملك، كي يعود إلى بيته خاوي الوفاض من المال، مليئا بالحوافز والدوافع!!

هي بلا شك حيلة سيئة خاسرة تلك التي حاول الأديب الروسي



الكبير أن يتغلب من خلالها على مشكلة الترهل والكسل التي تأتيه حال الغنى، لكن الشاهد هنا أن الشبع والكفاية يدفعان الواحد كثيرا إلى مربع (الخمول).

ومن المشاهد في عالم المبدعين والمفكرين وأصحاب الأعمال التي تعتمد على إعمال الذهن والتفكير، أنهم كثيرا ما يلجئون إلى الكسل ما لم يتوفر دافع مثير يستحثهم على الإبداع.

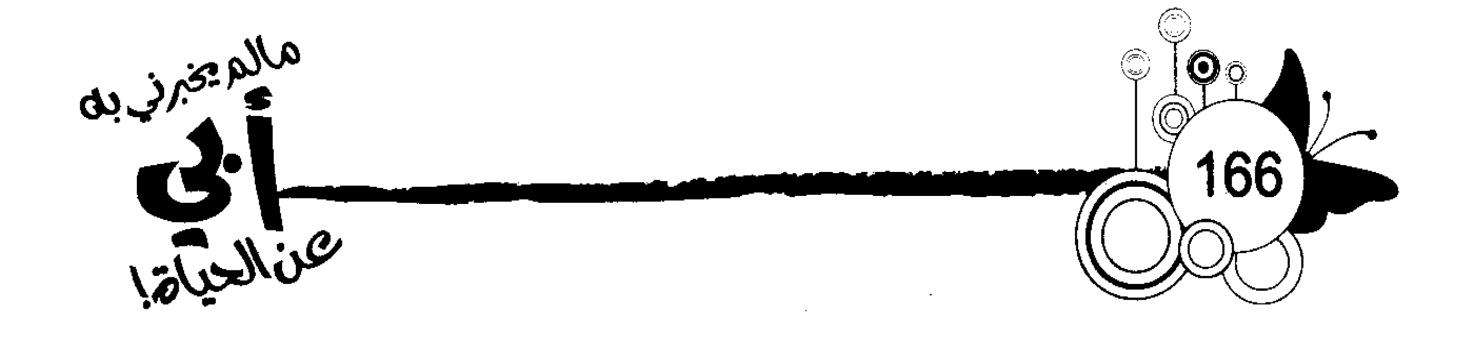
بل إن كثيرا من الأدباء والمفكرين ممن عرفتهم يعملون بنظرية البيت الآيل للسقوط!

فينتظرون على أعمالهم إلى أن تحين اللحظة الحاسمة، أو خط الموت كما يقولون، ويصبح أمر إنجاز العمل شيئا ضروريا، تماما كمن يجلس في بيت آيل للسقوط، لا يتحرك منه إلا إذا شعر به يئن ويهم بالسقوط فوق رأسه فيقفز مرعوبا، ويهب ليقذ ما يستطيع إنقاذه!

وهذه وإن كانت عادة لكثير من المبدعين إلا أنها جزء من الطبيعة الإنسانية، وحالة يعيشها معظم البشر.

ولعلك تسألني، وما الحل إذن في هذه المعضلة؟

وأجبك بأن الحل يكمن في أن يُوطّن المرء منا نفسه دائما كي يعود



إلى دائرة التوتر، وأعني هنا التوتر الإيجابي الذي يؤرق المضجع، ويرهب النفس فتهب للعمل والإنتاج.

وذلك يكون بتذكير النفس دائما بأن الخيل الكسولة هي التي يتم استبعادها من السباق، بينما ذوات البطون الضامرة هي التي يراهن عليها الجميع، وأن العقل الشغوف بالعمل ومقارعة التحديات مكانه دائما في الصفوف الأمامية.

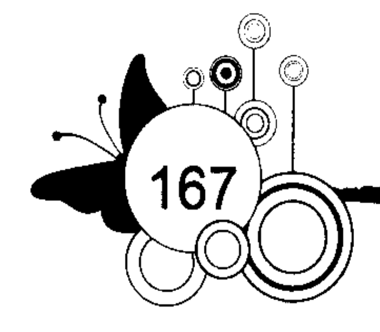
كذلك من الأهمية أن يغيّر المرء بين وقت وآخر من نمط حياته وطريقة أدائه لأعماله، وإدخال بعض التعديلات عليها، وفوق هذا خلق تحدٍ جديد يمكنه من زعزعة مشاعر الكسل والراحة لديه.

إن النجاح نعمة تستحق الشكر، لكنها إذا لم تدفعنا إلى المزيد من النجاح تصبح نقمة وبلاء.

النجاح الحقيقي هو الذي يدفعنا للصعود درجة أخرى إضافية نحو الارتقاء.

نعم نحتفل بنجاحاتنا، ونأخذ قدرا من الراحة والسعادة والاستمتاع لكن يجب أن نحذر فخ الطمأنينة الزائدة، والاستجابة إلى ما يدعونا إلى السكون والتبلد.

علماء الإدارة شددوا على أن الواحد منا يجب أن تكون لديه مجموعة أهداف بعيدة المدى، وأن يقسمها إلى مرحل وأجزاء، وقالوا إن هذه



الأهداف من الأفضل أن تطال الحياة بأكملها، أي أن تضع خططا وكأنك ستعيش مائة عام، فيكون لديك خطط كبيرة وعظيمة، ثم تأخذ من هذه الأهداف الكبيرة، أهدافا مرحلية وتعمد إلى تنفيذها فما إن ينتهي جزء إلا وتبدأ في الآخر، وهكذا.

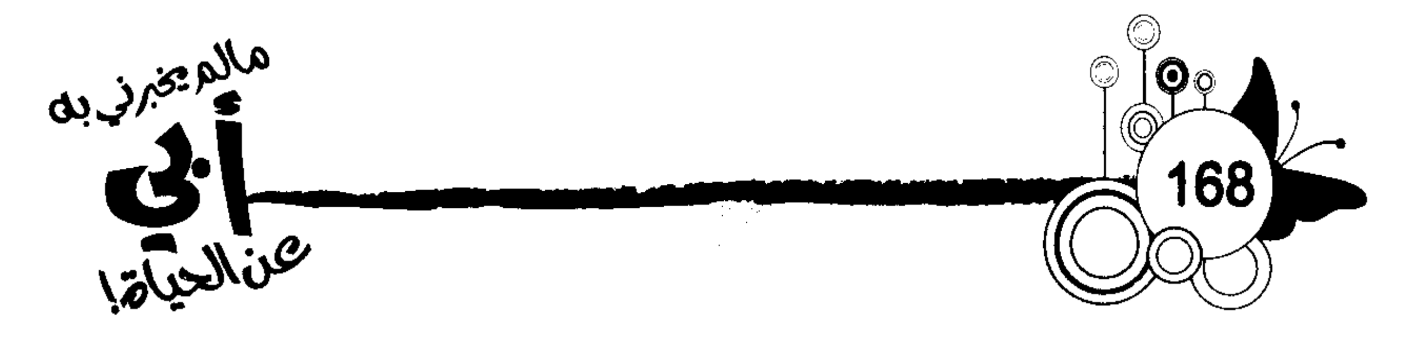
إنه التحدي المستمر، الذي يجعلك دائما في حالة من العطاء ويخيفك من السكون والهدوء.

دعني ألفت انتباهك بأمثلة تحدث كثيرا من حولنا، كي يقترب إليك المعنى..

أشخاص كثيرون حولنا ممن يقومون بعمل رجيم أو حمية، نراهم بعد أن يتخلصوا من الكيلوجرامات التي تؤرقهم، ويطمئنون إلى نجاحهم، يعودون أدراجهم سريعا، ويزيد وزنهم لأكثر مما كانوا عليه والسبب انتهاء الهدف، وتوقفهم عن القلق حيال وزنهم، ووصولهم إلى نقطة الراحة.

في كرة القدم، الفرق التي تفوز في مباريات حساسة وهامة وتشحذ طاقتها قبلها، كثيرا ما يُهزمون في المباراة التي تلي تلك المباراة المصيرية، حتى وإن كان المنافس ضعيفا، والسبب أنهم أحسوا بتحقيق الهدف الكبير فارتاحوا وهدءوا!

المرأة التي تهتم بزينتها وقوامها وتحافظ على وزنها وشعرها تراها



بعد الزواج وقد أهملت جزءا كبيرا من ذلك، والسبب اطمئنانها أنها قد تزوجت، وانتهى ما كان يدعوها إلى المحافظة على كل هذه الأمور!

والأمثلة كثيرة، وتستطيع أن تشاهدها بنفسك، كلها تخبرك أن الشعور بالخطر مفيد في كثير من الأحيان، والشعور بالراحة والدعة مضر في بعض الأوقات.

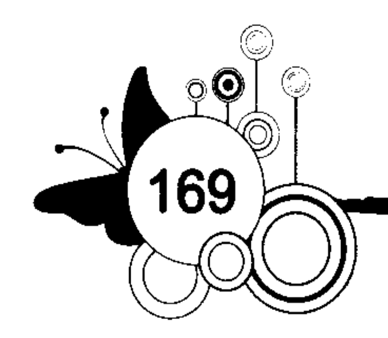
وأكرر أنك إذا أحببت التغلب على تلك المشكلة، فاصنع أهدافا مستمرة، وامتلك دائما دوافع إيجابية وحارة لبذل المزيد والمزيد من الجهد.

بقعة ضوء

صدقني، السر في حصاد أعظم الثمار والحصول على أعظم النعم من الحياة هو أن تحيا دائمًا في خطر...

فريدريك نيتشه





40 المخرج الأخير

بعبقرية بالغة، طرح النبي الخاتم محمد ﷺ إحدى أعمق النظريات الإنسانية وأقواها أثرا، والتي من دونها لن يهنأ المجتمع بعيش أو يسعد برخاء، شرح ﷺ ومن خلال قصة رمزية عميقة، وصفة لإنقاذ أي مجتمع من الضلال والتخبط والسلبية، فعنه ﷺ أنه قال: (مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم فآذوهم فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَنْ فوقَنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعًا)[1].

بوضوح بالغ يخبرنا النبي ﷺ أنه يجب على كل واحد فينا أن يهتم بما يدور حوله، ويضع يده في يد المصلحين والحكماء، كي يشكلوا قوة تمكنهم من رد الظالم أو الأحمق أو المفتون.

بلهجة مليئة بالخطورة والتحذير يهيب بك ﷺ ألا تكون من المعسكر السلبي، الذي لا يحرك ساكنا في الحياة، ويرى من حوله الأخطاء الكثيرة ولا يؤمن بأن له دورا في إصلاح هذا العيب وتقويمه.

---

(١) أخرجه البخاري

للأسف يظن الواحد منا أن مجرد إغلاق بابه عليه، وبعده عن الانخراط في العمل المجتمعي، سيجنبه المخاطر والضغوط.. لكن.. هيهات ثم هيهات..

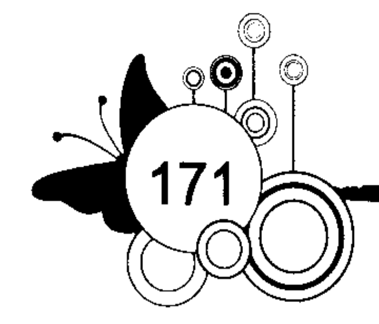
الخطر حينما يحين، يلتهم الجميع، والطوفان لا يطرق الباب والكارثة ستأتي يقينا ما دام لم يوقفها أحد أو يتصدى لها مبادر.

والمصلحون والشرفاء في كل زمان ومكان كانوا وسيظلون، صمام أمان مجتمعاتهم، حتى وإن لم يشعر العامة بحجم ما قدموه لخدمة المجتمع والإنسانية.

تحكي كتب التاريخ أنه في نهاية القرن السادس قبل الميلاد أسقطت أثينا الطغاة الذين كانوا يتحكمون في مصيرها، وأقام شرفاؤها نظاما ديمقراطيا حافظ على بقائها مملكة للعدل والمساواة عقودا طويلة.

وكعادة المجتمعات المتحضرة إنسانيا، كان هناك من يراقب مستوى التطور في السلوك الإنساني العام في المجتمع، فيقوم الحكماء بدورهم في بحث الخلل ووضع العلاج.

وكان مما أرق عقلاء أثينا في ذلك الوقت، وجود أشخاص لا يملكون حسا مجتمعيا عاليا، فأهدافهم الشخصية هي الأهم وانخراطهم في الهم العام غير موجود، واهتمامهم بأهداف الدولة ضئيل، كلُ منهم يضع نصب عينيه مكسبه الشخصي فلا يرى سواه.



ووجدوا أن هذه الأنانية المفرطة من شأنها أن تضرب أركان الدولة من جذورها، فالانحدار الأخلاقي كان وما زال هو أخطر معاول الهدم لأي أمة.

وفكر عقلاء أثينا كثيرا في الحل، فلا يمكن أن تتم محاسبة الأشخاص على دوافع داخلية، ومن الخطأ أن تتم محاكمة النوايا مهما كانت واضحة وجلية.

وبعد طول بحث ودراسة جاءتهم فكرة عبقرية!

وهي أن يكون هناك استفتاء سنويا يشترك فيه جميع المواطنين فيكتب كل واحد منهم على قطعة فخار اسم شخص يريد نفيه لمدة عشر سنوات خارج البلاد، فإذا ما تجمّعت ٦٠٠٠ قطعة فخار تحمل نفس الاسم يتم نفيه، وإراحة البلاد والعباد منه ومن سلوكه غير المسئول.

والمدهش أن هذه الطريقة أتت بنتائج مذهلة، وسجل التاريخ القديم أن أثينا نفت زعماء وقادة ورجالا كبارا بهذا الأسلوب!

وسجل أيضا أن أثينا لم تسقط إلا بعدما عبث من أرقتهم تلك الطريقة بالقوانين، وأسقطوا ذلك العقاب العبقري من لائحة العقوبات، فأمن اللصوص والدهماء، وهدأ جنانهم، وشاع الفساد وضاعت أثينا!

إن المجتمع السلبي.. مجتمع ميت، لا قوة فيه ولا فُتوة، يسهل



التلاعب به، وتهميشه، والعبث بأمنه واستقراره، هو جنة للطغاة والجبارين، يقصده الخبثاء وعديمو الشرف، فيكون عقاب الله لساكني هذا المجتمع عسيرا، بأن يطلق فيهم يد هؤلاء، فيذيقونهم العذاب أشكالا وألوانا.

بينما المجتمع الإيجابي هو مجتمع صحي، يتحرك دائما ليلفظ خبثه، يزمجر ويهيج إذا علا فيه صوت الشر، ولا يهدأ إلا إذا دحره وأعياه.

مجتمع يدرك كل فرد فيه أن الخير يعم الجميع، وأن الشر يجتاح الجموع، فيبدأ كل فرد بنفسه فيقومها، ثم يتجه إلى أخيه فيشاركه المصير، فيقوّم كل منهما صاحبه وينقده ويصحح له ما بدا منه من عيب أو خلل، وبتلك الروح الإيجابية ينعم الجميع، وتدب القوة والحياة في المجتمع.

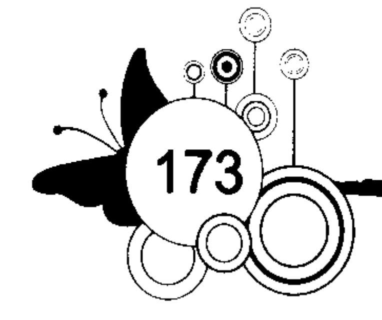
وفي كتب التاريخ شواهدي.. فاقرءوها!

بقعة ضوء

نتيجة اللامبالاة تجاه القضايا العامة هو أن يحكمنا رجال سيئون.

أفلاطون





41 ضرائب القيادة

الطموح حق مشروع لجميع البشر، بشرط دفع تكاليفه!

والقيادة تداعب الجميع، ولكن من يؤدي ضرائبها..؟!

سهل جدا أن يستلقي الواحد منا على أريكته، ويرفع عقيرته عاليا وهو يؤكد أنه قادر على تغيير العالم لو ملك زمامه، ويستطيع إصلاح المجتمع لو أطلقوا يده، ويمكنه بقليل من التدبر والحنكة فض الاشتباك القائم بين الدول والجماعات المختلفة، فقط لو يعطونه الفرصة!

كلنا نستطيع أن نمارس دور النقاد الذين يقومون بعمل (تشريح) لجثة الإنجازات، مع افتقاد معظمهم للأهلية والقدرة التي تمكنهم من إتمام نصف أو حتى جزءا ضئيلا من العمل الذي أشبعوه نقدا وتقطيعا!

إن الرواد والقادة والرموز الحقيقيين، قبل أن يطلبوا المنصب، يكون لديهم قناعة تامة بقدرتهم على الوفاء بأي التزام سيفرضه هذا المنصب عليهم، واستعداد للتضحية قبل غيرهم من الأتباع ودفع التكاليف كاملة دون نقص وبلا تردد.

يُروى أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كان الواحد منهم يربط



حجرا على بطنه أيام غزوة الخندق من شدة الجوع، فذهب بعضهم إلى القائد ﷺ يشتكي، فابتسم ﷺ وقال: هونوا عليكم.. انظروا وكشف بطنه ﷺ فإذا به يربط حجرين على بطنه الضامرة من شدة الجوع !

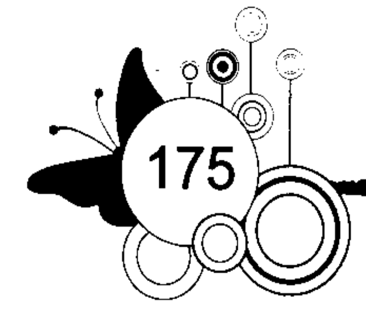
فعاد الصحابة إلى أعمالهم وقد تأكدوا أن في المقدمة قائدا يحمل همهم قبل همه، ويقوم بأعباء مهمته خير قيام.

إن القائد يا صديقي، هو الذي يتحكم في الرسائل المرسلة إلى أتباعه، وهو قادر عبر سلوكه على بث الوهن أو الشجاعة في نفوس جنوده ومواليه.

والعظماء لم يصلوا إلى مراتب العظمة تلك إلا من خلال شجاعة بالغة، وروح وثابة، وطبيعة مبادرة إيجابية، تضعهم دائما في المقدمة وتدفعهم إلى البذل واتخاذ القرارات الصعبة، التي لا يستطيع غيرهم اتخاذها.

يُروى عن الإسكندر الأكبر أنه عند مطاردته للملك (دارا) في الشام قد أنهكه وجنوده التعب، خاصة بعدما أمر جنوده باستكمال المطاردة لمدة أحد عشر يوما متواصلة، فنقص الماء، حتى كاد العطش يفتك بهم، وفكر كثير منهم في النكوص وإعلان التمرد والعودة من حيثُ أتوا.

وبينما هم مرابطون يهمسون فيما بينهم بغلظة الإسكندر وكيف أنه يدفعهم إلى الموت عطشا وتعبا، وإذ بقافلة تمر عليهم



وعندما علم من في القافلة أن الإسكندر وجيشه يشرفون على الموت عطشا، ذهب كبيرهم بقربة ماء إلى الإسكندر، وعندما رفع الإسكندر القربة، وجد أعناق من حوله وقد تطاولت، وهي تنظر إلى الماء في شوق وحينها رد قربة الماء إلى الرجل دون أن يشرب منها قطرة قائلا: إنني لو شربت وحدي لانهارت معنويات جيشي.

ولم يكد الجنود يرون تصرف قائدهم، وقدرته على ضبط نفسه وشهامته التي منعته من إرواء عطشه دون جنوده، حتى هتفوا له جميعا، وطالبوه أن يزحف بهم إلى الأمام، وامتطوا خيولهم وهم يشتعلون حماسة وقوة، قائلين إنهم ما دام لديهم ملك كهذا فإنهم يتحدون الظمأ والتعب، وسيطيعون أوامره مهما كانت قوتها أو قسوتها.

وهذه من ضرائب القيادة التي لا يلقي لها كثير من الأدعياء بالا، أن القائد يشعر أنه ليس بمعزل عن هموم أتباعه، فيشقى قبل شقائهم ويعاني معهم، ولا يطالبهم بشيء لا يقوم هو به.

القائد يجب أن يكون في الصدارة، فيضرب الضربة الأولى، ويعطي بسلوكه قبل قوله أعظم دروسه وأصدقها.

لقد ابتلانا الزمان برؤية زعماء يعيشون في بروج عاجية فأصيبت ممالكهم بالوهن والضعف، وخسروا ثقة أتباعهم ومن تحت إمرتهم وصار كلامهم وأفعالهم محل شك وريبة من الجميع!

والقائد الذي أعنيه ليس فقط رئيس دولة أو قائد حرب، إنه أي



شخص سُير إلى قيادة جماعة، سواء كان رئيس حزب، أو قائد كشافة أو أبا في منزله، أو مديرا في مصلحة حكومية ويأتمر بأوامره بضعة موظفين، أو حتى صاحب عمل خاص تحت يده القليل من الأشخاص.

القيادة هي القيادة، مرادف للمسؤولية والتضحية والعطاء، فمن يطلبها يجب أن يتأكد جيدا من قدرته على دفع تكاليفها.

سل نفسك قبل أن تتطلع لترقية وظيفية هل أنت ملائم لها؟

قبل أن تتزوج توقف قليلا لتتأكد من قدرتك على قيادة البيت والقيام بمهام زوجك وأبنائك على أفضل شكل.

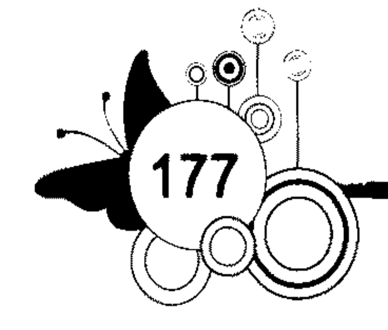
فكر دائما قبل أن تقول (أنا لها) وتساءل..

هل أنت فعلا لها؟؟!

والخلاصة: إذا ما طلبت الزعامة، وتاقت نفسك إلى القيادة فاسأل نفسك عن قدرتك على دفع الضرائب، فإما أن تكون قادرا فتطلبها، وإما أن تقف على حدود قدراتك، وتعيش في الثوب الذي يصلح لك!

وتذكر دائما أن القائد رائد، ومكانه الطبيعي هو المقدمة.





42 بين هتاف المجد وبريق الشهرة

أسوأ ما يمكن أن يفعله شخص معني بمواجهة الجماهير، أن يضع صوب عينيه الشهرة والأضواء.

أن يطلبها، ويسعى إليها، ويركض في إثرها.

فيؤلف كتابا من أجل الشهرة، ويلقي كلمة أمام الجماهير من أجل الظهور، ويتصدر المحافل من أجل الأضواء وفلاشات الكاميرات.

إنه بهذا يكتب شهادة وفاته، ويوقعها بدم بارد..!

أما العظماء، فليس هذا أبدا سبيلهم، العظيم إذ يتصدر المجلس فإنما يتصدره بحثا عن مقارعة العقول، وغزوها بالحق والجمال والخير.

وعندما يُحني ظهره على الورق تكون غايته إجلاء ما أُشكل على العقل، وتبيان ما التبس على الفهم.

لا يبحث عن الأضواء، وإنما هي التي تبحث عنه.

هل تظن أن الأديب مصطفى صادق الرافعي كان تشغل باله صورته في أعين الناس وهو يكتب (وحي القلم)، أو اهتم المفكر سيد قطب بما يمكن أن يقوله معجبوه عندما يقرؤون (في ظلال القرآن)، أو توقف الأستاذ عبد الوهاب المسيري كي يسأل نفسه عن ردود أفعال الناس على موسوعة (الصهيونية)؟



لا أظن.. فهؤلاء العظام يتحركون وفق الرسالة التي يتبنونها يتفاعلون حسبما توجههم همومهم العامة، وضمائرهم.

يلقي الواحد منهم الكلمة، فتطير من أقصى الأرض إلى أقصاها ويجلس الجموع ليفسروا لماذا قيلت، وكيف قيلت، وما المغزى من ورائها..!

ولذلك هم أحياء في عقولنا، حتى وإن اختلفنا معهم، أو عارضنا بعض آرائهم، فهم -شئنا أم أبينا- حاضرون بقوة رغم انقضاء آجالهم.

والفارق بين طالب الشهرة، وطالب المجد أن طالب الشهرة معه ترمومتر يقيس به مستوى الثناء الذي قيل في حقه، بينما طالب المجد لا يهمه مديح الناس له، فهو عارف لنفسه، واقف على حقيقتها، لا يغلب جهلُ الناس به، علمَه بحقيقته.

إنه يعشق عمله ويخلص له، لذا يكون دائما أقرب للنجاح والرفعة بينما من ينكب على عمل بغية تصفيق وثناء فما أقربه إلى الزلل والسقوط!

دائما ما أكرر لنفسي، أن الشهرة ليس لها أمان، فهي -كما شبهها أحد الفلاسفة- كالنحلة، تعطينا شهدا مصفى جميل المذاق لكن لها أيضا في نفس الوقت، لدغ يُدمي، بيد أن أهم صفاتها أنها تملك جناحين، فما أسهل أن تطير بعيدا عنك، فتجد نفسك طي النسيان بعدما كان اسمك بين النجوم أو ربما أبعد!

يا أصدقائي كلنا يشتهي التصفيق، إنها نزعة إنسانية، تروي لدينا عطشا طبيعيا إلى إثبات الوجود، لكن ما أريد إخبارك به كي تنتبه إليه، ألا تبحث عن التصفيق، لا تنتظره، سيأتي إن عاجلا أو آجلا فقط اهتم بعملك، جوّده، أعطه من وجدانك وروحك، حتى لا تتوقف وتمل وتيأس إذا لم تجد مرد إنجازك في الحال.

كلنا يسمع عن الفيلسوف الألماني (شوبنهاور)، هذا الرجل أمضى حياته بين أطنان الكتب، ما بين البحث والتأليف، وإلقاء الدروس وتعليم الناس، والمدهش أنه طوال حياته كان مغمورا لا يعرفه أحد، خاصمته الشهرة حتى بلغ عامه السبعين، فإذا باسمه يطبق الآفاق، وينهال عليه التمجيد والتكريم والثناء، الجميع يتحدث عن شوبنهاور، الكل يقرأ لشوبنهاور، الصحف تكتب عنه، النقاد يمجّدون فكره وعلمه.

حينها قال الرجل كلمة عميقة: بعد أن عشت عمري كله وحيدا منسيا بين الناس، جاءوا فجأة ليودعوني إلى قبري بالطبول!!!

لو كان هذا الرجل يهتم بأمر الشهرة، ما صبر حتى بلغ هذا العمر وهو يؤلف ويكتب ويُخرج النظريات، دون أن يسمع عنه أحد!

مثال آخر!

الرسام العالمي (فان جوخ)، هل تعلم أنه عاش حياة فقيرة تعسة لا يعرفه فيها أحد!!!



من المذهل أن آخر ما نطق به هذا الرجل وهو يموت، قوله لشقيقه في شفقة: لو أنك فقط استرددت حتى ثمن أدوات الرسم التي اشتريتها لي؟! !

وكان أخوه يعوله، ويشتري له ما يريد من الأدوات كي يرسم، وكان يعرض لوحاته في الأسواق، لكنها لم تكن تُباع بثمن يسد الجوع!

فلماذا لم يتوقف فان جوخ عن العمل والإبداع، ما دامت الشهرة تخاصمه؟ لأنه لم يضعها نصب عينيه وهو يعمل ويبدع ويتألق.

صديقي..آمل أن تعي مرادي، وهو أن الشهرة ليست شرًا خالصا لكنها إذا كانت هدفا في حد ذاتها وغاية، كانت هي الشر بعينه.

لن تسمح لك بالعمل أو الإنتاج أو الإبداع، وستصاب سريعا بالإحباط والتذمر كلما تأخر عنك ثناء أو مديح.

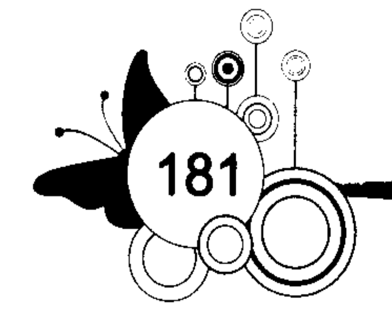
الحل هو حب العمل، والشعور بقوة إبداعك، وفكرك، وفنك وأدائك.

واليقين بأن الله لن يضيع أجر عامل أتقن عمله وأحسنه.



مهما طبقت شهرتك الآفاق فسوف تجد في هذا الأفق أو ذاك رجلا لم يسمع بك قط.

محمد عفيفي



43 اهرب من الفقر ما استطعت

ليس العوز ولا الفاقة ولا نقص المال ما أقصده بالفقر فهذا مما نهرب منه دون نصيحة أو توجيه، وإنما فقر الثقافة والمعرفة ما أقصده.

لا تكن قنوعا أبدا بالبسيط منها، ولا تكسل عن زيادة رصيدك من المعلومات، فتش في بطون الكتب والمجلدات والصحف وشبكات الإنترنت، عما يزيد من معلوماتك، وبالتالي من حجم أفكارك وفهمك ووعيك.

بعض الناس لا يهتم أبدا بتنمية وتطوير ما لديه، أراه دائما محصورا في منطقة ضيقة، لا تتسع أفكاره ولا أفقه لحوار مبدع فبناؤه الفكري لا يسمح بذلك.

وأنّى له أن يماشي تطور الحياة من حوله أو يتجاوب مع الآخرين وثقافته كلها مستقاة من أحاديث المقاهي، ودردشات الأصدقاء، ولم يُرَ يوما وفي يده كتاب، أو يضبط نفسه ذات يوم وهو يفكر!

ومثل هذا الشخص يذكرني كثيرا عند حديثي معه، بذلك الطالب الذي دخل الامتحان ولديه معلومات جيدة عن الثعابين لكنه يفتقر إلى أي معلومة عن أي شيء آخر في المنهج!



وفي الامتحان جاءه السؤال عن الفيل، وطُلِب منه أن يعرفه تعريفا مفصلا.

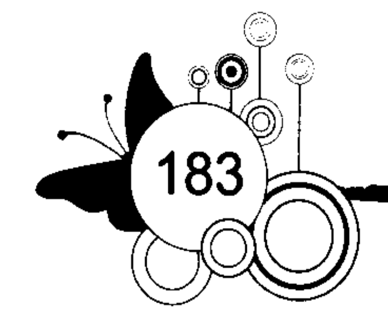
ففكر حتى أتعبه التفكير، ثم قال محاولا المراوغة: الفيل حيوان كبير لديه خرطوم طويل يشبه إلى حد كبير الثعبان والثعبان هو........، ثم أخذ في كتابة كل ما يعرفه عن الثعابين.. وبالتفصيل!!

هذا الطالب المسكين، يطبق نفس نظرية الفقراء الذين أقصدهم يمتلك أحدهم فكرة أو معلومة واحدة حول أمر ما فيكتفي بها، ولا يحاول زيادة رصيده من المعلومات أو الأفكار فيتشكل وعيه وأفقه في مساحة ضيقة بسيطة.

للأسف يتعبني كثيرا وأنا أتناقش مع شخص ما أن أجده محصورا في بقعة واحدة لا يبرحها، أفقه ضيق جدا لا يستطيع استيعاب أي مساحة جديدة، لا يقبل النقد أبدا، ولا يرى فيه سوى أنه تعدٍ على ذاته واتهام موجه له بالجهل وعدم المعرفة، يتعصب لرأيه ويعلو صوته في توتر وهو يؤكد أنه على حق، يدفعك إلى الحديث معه فقط في المساحة التي يتقن الجدال والحوار فيها.

أما أنت يا صديقي، فلا يجب أن تقع في هذا الفخ، ونجاتك منه إنما تكون بالمعرفة والثقافة والتأمل.

عندما تقرأ فأنت تمضي بدأب فوق صفحة عقلك لتحفر فيها



تجارب وأفكارا وأطروحات ترفعك فوق مستوى البشر العاديين.

عندما تجلس بين يدي العظماء والعلماء، فأنت تضيف لأيام عمرك أياما أخرى، وترفع من مستوى استيعابك وقدراتك.

عندما تتأمل في حال البشر، وتدقق في فلسفة القضاء والقدر وتفكر في حكمة الله بخصوص الرزق والحرمان والرفع والخفض فإنك تلمس بأناملك أجزاء رائعة من الحقيقة، وترتقي إلى مستوى رفيع من الفهم والاستيعاب للحياة.

يقال إن الشخص المثقف هو الذي يعرف شيئا عن كل شيء وكل شيء عن شيء ، هذه إحدى تعريفات الشخص المثقف الواعي المنفتح.

وهذا ما يجب أن تفعله يا صاحبي، وأنصحك به بشدة، أن تقرأ في كل شيء.. كل شيء.

أعطِ ٥٠٪ من بحثك الثقافي وقراءتك ومعرفتك للشيء الذي تريد التخصص فيه، و٥٠٪ للأشياء الأخرى، عندما تفتح الجريدة مرر عينيك على الصفحة الثقافية، والرياضية والعلمية والفنية، والسياسية.

بشكل أو بآخر، كل معلومة -مهما كانت تافهة أو غير مهمة- ستفيدك وتنفعك وسيأتي أوان الاستفادة منها في وقت ما.

وفي الأخير لك مني إشارة تنبيه



لا تكن كمن يقرأ أي شيء دون خطة.. وإياك في المقابل أن تكون كمن يقرأ في شيء واحد دون رؤية شاملة وعمل على بناء ثقافة بشكل متسع!

فكلاهما -صاحب الثقافة الضيقة وصاحب الثقافة المشتتة- لا يصنع لنفسه ولا لأمته مجدا أو تاريخا.

والخلاصة: تخصص في شيء.. واقرأ في كل شيء..!



44 كيمياء الوهم ..!

في حالات الانكسارات النفسية يكون المرء فريسة سهلة للجهل والدجل والشعوذة.

حتى الدول والمجتمعات، حينما تلحق بها الهزائم -خاصة بعد عز وأنفة- تكون تربة خصبة للخرافة، ولديها قبول سريع للوقوع في دائرة النصب والاحتيال، وميل مدهش للانصياع لأي محتال يُحسن عرض بضاعته!!

تحكي كتب التاريخ أن مدينة البندقية - كانت أغنى وأشهر المدن الأوروبية في العصور الوسطى؛ وذلك نظراً لاحتكارها العملي للتجارة مع الشرق، وكانت حكومتها عادلة ونظيفة، مما جعل من هذه المدينة ليس فقط الأغنى، ولكن الأكثر تمتعاً بالحرية والعدل.

وظن أهل البندقية أن حالة الرخاء هذه ستدوم إلى الأبد، وأن السماء قد اصطفتهم من دون كل مدن الأرض، فحبتهم بالخير والرزق الوفير!.

لكن القدر خبأ لهم ما لم يتوقعوه، حيث تحولت التجارة إلى إسبانيا والبرتغال، ثم إلى هولندا وإنجلترا، فأخذت مفاتيح القوة



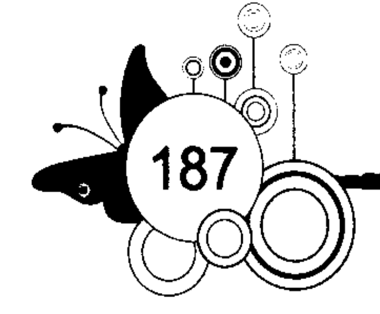
تتساقط من يد البندقية، وفقدت رويدا رويدا سلطتها الاقتصادية إلى أن كانت الطامة الكبرى في خسارتها لأحد أهم مراكز قوتها (جزيرة قبرص)، والتي انتزعها الأتراك من البنادقة، وذلك في نهاية القرن الخامس عشر.

وهنا أفلست الأسر الغنية، وخيمت على الجميع سُحُب الفقر التي لم يعتدها البنادقة، ونظر الجميع إلى الماضي المنصرم نظرة حسرة وألم، وبلغ منهم التشاؤم مبلغاً بعيداً.

وفي عام ١٥٨٩ ميلادية، تنامى إلى أسماع الناس نبأ رجل يدعى (إل براغادينو)، ذلك الرجل الغامض المثير للدهشة، الذي درس الكيمياء وتوصّل إلى طريقة تمكّنه من مضاعفة الذهب عن طريق المادة السحرية التي ابتكرها بنفسه، وضاعف بها - حسب ما يتناقل الناس- ثروته!!.

وطارت الأخبار عن قدرة هذا الرجل في إعادة البندقية إلى مجدها وذلك بواسطة مادته السحرية القادرة على تحويل أي معدن رخيص إلى ذهب خالص!، ثم مضاعفة هذا الذهب مرات ومرات!، وبالفعل ذهب بعض نبلاء البندقية إلى قصره، واستأذنوا عليه، وسمح لهم (إل براغادينو) بدخول قصره المليء بقطع الذهب، والتحف القادرة على خطف الألباب.

وأخذ بغطرسة وعدم مبالاة بعض قطع الحديد، ووضعها في يده



ثم فتحها ثانية ليخرج منها مسحوق من الذهب البراق ووزّعه عليهم ببساطة وكبرياء كتذكار! !..

وعندها طلبوا منه أن يستقر في البندقية ويقوم بمساعدتهم بطرقه المدهشة وعلمه الخارق، كي تعود للمدينة قوتها وسطوتها إعتذر لهم بأن لديه عروضاً من ممالك أخرى، والأمر يحتاج إلى وقت من التفكير، وأنه في حيرة من أمره، لكنه سيضع في اعتباره البندقية وهو يقرر ويختار! !.

وخلال فترة التفكير كانت الأخبار تصل إلى نبلاء البندقية عن العروض التي يتلقاها (إل براغادينو)، وعن الحفلات الكبيرة التي ينظّمها، والتي يتباهى فيها بتحويل الأشياء التافهة إلى ذهب أصفر براق.

وهنا قرر أهل البندقية أن يقدموا الغالي والنفيس إلى ذلك الرجل الساحر، فذهب وفد من نبلائهم إليه، ووعدوه بأن يقوموا بكل ما يأمرهم به، وأنهم سيُعطونه ميزانية مفتوحة، ليفعل ما يريد! !.

وفي أواخر العام نفسه وصل (إل براغادينو) إلى البندقية ومعه كلبان ضخمان للحراسة، أحاطاه بالرهبة، خاصة مع منظره المهيب بعينيه الداكنتين، ونظراته الثاقبة الحادة، وحاجبيه الكثيفين.

وأسكنته حكومة البندقية في أفخم قصورها، والذي يطل على جزيرة غويديكا، حيث الطبيعة الساحرة.



وبدأت حفلات البذخ والولائم العامرة، والتبذير الشديد، والحكومة تموّل نزوات الرجل المتعددة مهما كان غلوّها.

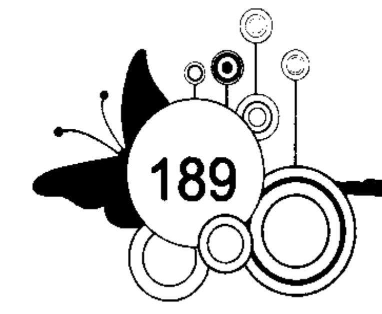
أما في شوارع وحواري البندقية، فقد بدأ الناس في الانشغال بالكيمياء، حيث محلات متخصصة لبيع أدوات التقطير والأنابيب الدقيقة، والفحم، وبعض المواد الكيماوية المختلفة، وعاشت البندقية في شغف بالكيمياء، بانتظار الرجل الساحر كي يعيد لهم المجد ويعلّمهم أصول الثروة السريعة.

لم يبدأ (إل براغادينو) في عمل أي شيء من أجل صنع الذهب وإنقاذ البندقية من الخراب، بالعكس استمر في حياته اللاهية العابثة والمدهش أن شعبية الرجل أخذت في الازدياد.. والازدياد!!.

وجاءته الهدايا من كل أوروبا، وحجّ إليه الكثير من نبلائها، بالرغم من أنه -وهذا هو المدهش- لم يعطِ مؤشرا واحداً على قُدرته الخارقة لكن أحاديث البشر وكلامهم في المنتديات والمجالس كان يضيف على سمعته من الرهبة والسحر الشيء الكثير، وهو ما كان يحتاجه بالضبط ذلك الكيميائي الغامض!.

ومع تدهور الأوضاع الاقتصادية، بدأ الناس في القلق، وأخذوا في الشكوى والتمرد، لكن مجلس الشيوخ، أخذ يحذرهم من أن الرجل نافد الصبر، وأن مداهنته هي السبيل الوحيد لجني الأرباح!!.

وصبر القوم لأشهر أخرى، حتى بدأ النبلاء أنفسهم في التمرد



خاصة مع الأموال الكثيرة المطالبون بضخها من أجل الإنفاق على الكيميائي !!.

وعندما علم (إل براغادينو)، بما يدور في المجالس، لم يقلق أو يثور إنما بادل الشكاكين في قدرته بالاحتقار، وقال كأنه يفشي سره الكبير على أطفال سذّج : لقد أودعت في بيت مال المدينة المادة الغامضة التي تضاعف الذهب، وأنه قادر - والآن- على مضاعفة الذهب!، لكنه سيضاعفه مرة واحدة فحسب، وهذا ما لن ينقذ البلاد من الأزمة التي تجتاحها، ولأنه من طبيعة المادة أنها تزداد فعالية ومضاعفة للذهب كلما كان الأمر أكثر بطئاً!، فإنهم يجب أن ينتظروا سبع سنوات كمدة مثالية لمضاعفة الثروة بشكل سيجعل أهل البندقية لا يخافون من الأيام أبدا!!!.

ووافق مجلس الشيوخ على الانتظار!، لكن الناس ومعهم النبلاء ترددوا في الانتظار سبع سنوات عجاف أخرى، وطالبوا ببرهان، أو أي زيادة - ولو طفيفة- للذهب الموجود في خزانة الدولة كي تطمئنّ بها قلوبهم الجزعة.

لكن (إل براغادينو) بالغ في عجرفته، حانقاً على الشعب الذي كرّس موهبته كلها في خدمته، لكنهم خانوه بفقدانهم للصبر وتشكيكهم في مقدرته التي لا ينكرها إلا السفهاء!!.

وعقاباً لهم ترك الرجل مدينة البندقية، متجهاً إلى مدينة



(ميونخ) بدعوة من دوق (بافاريه)، ذلك الرجل فاحش الثراء، والذي خسر ثروته نتيجة لإسرافه وبذخه الشديد وأدخل البلاد في دوامة من الديون ويحتاج وبشدة إلى الكيميائي كي يعيد له ثروته.

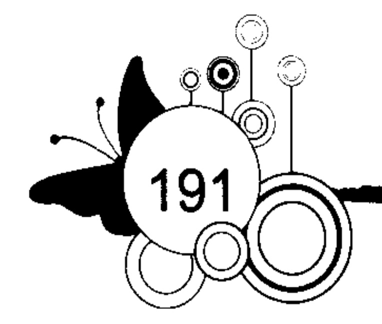
وفي ميونخ جلس (إل براغادينو)، متمتعاً بحياته، وتكرر النمط نفسه معه ! !.

هل رأيتم يا أصدقائي كيف تمضي الأمور حينما نهرب من الطريق الحقيقي للنجاح والمجد، ونذهب إلى أصحاب الحيل ليصنعوا لنا ما يجب أن نصنعه بأيدينا، في محاولة غبية لامتلاك المجد والنجاح مضافاً إليه الكسل والراحة، وبدلاً من أن يعيد أهل البندقية النظر في أسباب الخسارة والإخفاق، أرادوا أن يأتوا بمن ينفخ في الذهب من روحه، فتلد لهم السبيكةُ سبيكةً أخرى، وتتزاوج الدراهم، فتتناسل بالعشرات والمئات !.

كثير منا قد يضحك على أهل البندقية، ولا يدرك أن بيننا ألف (إل براغادينو) يمرحون ويتحايلون، ويجنون الثروات، في غفلة منا.

نعم .. حولنا كثير من المحتالين الذين يوهموننا بصنع العجائب وتخليصنا من الأحزان والمصائب، وتقديم النجاح لنا سهلا معلبا على طبق من فضة .

نادراً ما يظن المرء منا في نفسه ظناً سيئاً، قليل منا من يرى بأن مشاكله تنبع من سلوكه وأفكاره وقناعاته، الفشل واللوم



يجب أن يُلقى على شخص أو ظرف ما، شيء في العالم الخارجي هو الذي يجب أن توجّه له أصابع الاتهام، أما نحن فالبراءة تحملنا على جناحيها وذكاؤنا ونباهتنا ليسوا بحاجة لإثبات.

وأكاد أجزم أن (إل براغادينو) لو كان يحمل حقيبة بها مئات الأوراق والنظريات الاقتصادية، وبها الحلول المنطقية المعقولة لأزمة البندقية ما استمع إليه أحد أو أعطاه أذناً مصغية.

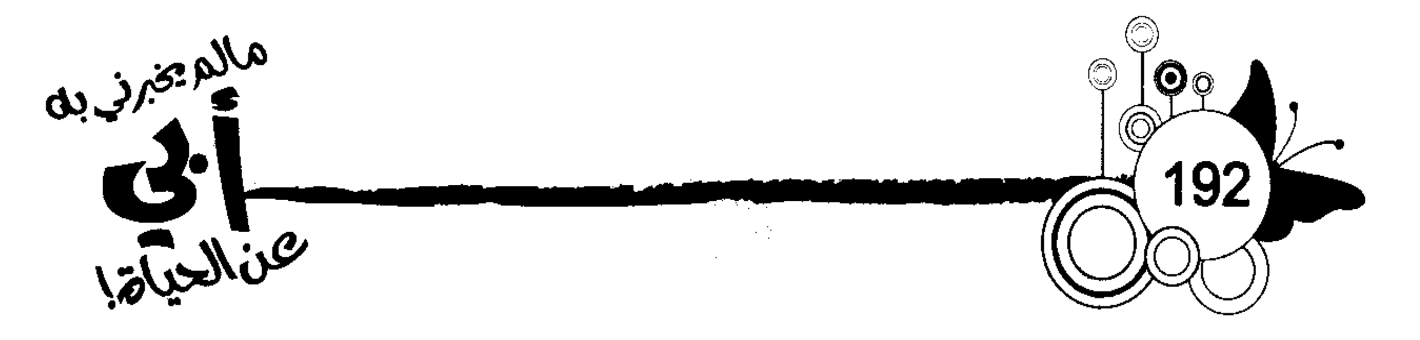
ذلك لأن الحل لن يخرج عن التفكير المستمر، والعمل المضني والتعب الشاق.

كان سيتلخص في معادلة واحدة، وهو أن يتعب الأبناء كما تعب الأجداد، كي تعود البندقية أروع وأجمل مما كانت، وهذا آخر شيء يريد مثل هؤلاء الاستماع إليه.

والمؤسف أن هذا لا يزال موجوداً حتى اليوم..

وبحكم كتاباتي في مجال تنمية وتطوير الشخصية، ومشاركتي للشباب همومهم وتطلعاتهم، فإنني أواجه كل يوم سؤالاً من شاب يسألني عن طريق النجاح السهل السريع، لا يريد أن يسمع كلاماً عن الدراسة، والتحصيل، والركض بالسيرة الذاتية هنا وهناك.

لا يحتمل حديثاً عن التدريب، والعمل نهاراً والدراسة ليلاً، والقراءة باستمرار ودأب، ويقول بأنه يريد الحلول السحرية، يريد النصائح العشر والمفاتيح السبع، والخطوات الخمس للسعادة والنجاح!!



بشرط ألا يحتوي واحد منهم على كلمات مثل: (تحمَّل، صابر حاول مجدداً، لا تيأس).

لا يريدني أن أحثه على بذل المزيد من العرق، وطرق أبواب أخرى والتعامل مع تجارب الحياة بمرونة واتساع أفق .

ببساطة يريد مني أن أكون (إل براغادينو) آخرا ! .

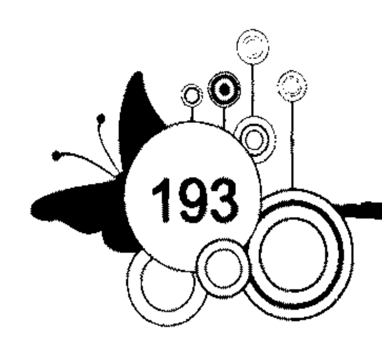
أحدثه عما يريد أن يسمعه و يرفع من حماسته الموهومة، وهذا ما لا يصح مع أمة كان تعريف المؤمن فيها - حسب قول رسولها - كَيس فَطِن، أي ذكي لا يتلاعب به أحد .

وإلى أن نكون كما أراد الحبيب، فلنسمح بعائلة (إل براغادينو) أن يمرحوا بيننا قليلا ! ! ..



قد تخدع كل الناس بعض الوقت، وقد تخدع بعض الناس كل الوقت... وهذا أكثر من كافي لتحقيق معظم أغراضك...!!!!!





45 معنى أن ينحني العالم احتراما لك!

القدر هو الذي وضع اللبنة الأولى في تاريخ هذا الرجل..!

فلم يكن محمد يريد أكثر من ممارسة رياضته المتعة (كرة السلة)، قبل أن تلتقطه عين أحد المدربين المهتمين بلعبة الجودو ويعجب بقوامه الرياضي ويطلب منه الانضمام إلى الفريق الذي يدرّبه.

وعلى الرغم من أن طموح هذا الفتى الحيي كان كبيراً؛ إلا أن القدَرَ هو الذي أكمل الفصل الأول في روايته؛ فلقد شاهده أحد خبراء لعبة الجودو اليابانيين، الذين يجوبون الربوع والأندية من أجل التقاط المواهب التي يمكنها الفوز بالبطولات.

وعليه انضم محمد إلى المدرب الياباني (ياما موتو) الذي صنع منه بطلاً مصرياً في لعبة الجودو، وجاءت الخطوة التالية للاشتراك في البطولات العالمية.

سافر محمد إلى فرنسا ليلعب بطولة العالم في الجودو، كان الأمر غريباً ومثيراً؛ فالأضواء والصحف والكاميرات، كانت شيئاً مدهشاً بالنسبة له، ووجد نفسه أمام أبطال العالم في اللعبة، والذين لم



تكن تتعدى صلته بهم أكثر من مشاهدتهم في التلفاز أو سماع قصصهم والانبهار بها!.

وأمام هذا الجوّ المدهش والغريب؛ فَقَدَ محمد تركيزه وخسر أولى مبارياته في البطولة، ثم كانت المباراة الثانية أمام أحد اللاعبين الكوريين أصحاب الشهرة الكبيرة، والمصنف في المركز الثالث كأفضل لاعب في العالم، كانت المباراة شبه محسومة للاعب الكوري، الذي استخفّ باللاعب المصري، ونظر له بسخرية وتهكم.

لم ترق هذه الابتسامة للشاب العربي، وقرر حينها أن يذيق هذا المغرور درساً قاسياً، وكانت الضربة القاضية هي الفيصل، والتي أهدت محمد أول فوز له في البطولة، والأهم أنها أعطته شحنة معنوية هائلة، وطموحاً مشروعاً بأن يكون بطلاً عالمياً.

وبدأت رحلة محمد نحو البطولات؛ فسافر ابتداء إلى اليابان؛ حيث التدريب والمعاناة، وبعدها سافر إلى ألمانيا في معسكر مغلق، ثم سافر للاشتراك في بطولة العالم العسكرية ليحصل على الميدالية البرونزية؛ لتكون أول ميدالية عالمية في حياته.

بعدها سافر إلى البرازيل ليحصل على الميدالية البرونزية أيضاً في بطولة العالم، وذهبيتين في بطولة أفريقيا في السنغال.

ليصبح محمد بطلاً مصرياً ذائع الصيت.. وهذا ما استوجب عليه أن يدفع ضرائب هذا النجاح المدهش!.

والضريبة الأولى أن سقف التوقعات والمطالب قد زاد؛ سواء من محبي محمد، أو من ذاته نفسها.

كانت أوليمبياد لوس أنجلوس على الأبواب؛ حيث الفرصة الكبيرة والنادرة لاقتناص ميدالية ذهبية، يُخلّد بها اسم هذا البطل وتضعه في سجل الأبطال.

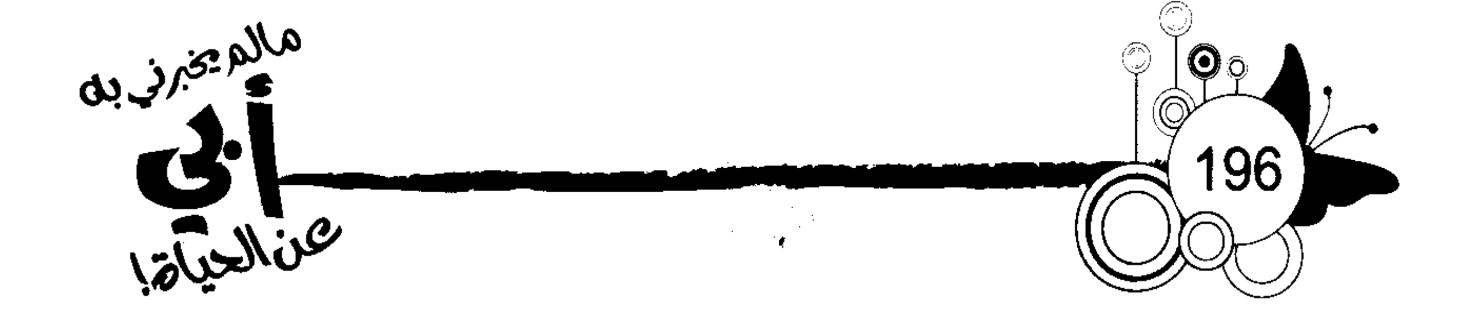
وبدأ محمد في شحذ همته، واستعد لهذه البطولة بكامل تركيزه ووعيه، ووضع نفسه تحت تصرف مدربيه، وعاش في معسكر مغلق لمدة ثلاثة أشهر؛ حيث التدريب القاسي، والتركيز التام، والتأهيل البدني والنفسي الشديدين.

وبدأت البطولة، وبدأت معها الانتصارات..

ووصل محمد إلى المباراة النهائية، ونامت مصر ليلة المباراة وجّهزت لتستيقظ على نبأ فوز بطلها بالميدالية الذهبية، وكتابة تاريخ مصري في أحد الألعاب الرياضية.

لكن المفاجأة المدهشة أن الصحف جاءتهم بخبر محزن، وهو خسارة بطلهم المحبوب للميدالية الذهبية، وعودته كوصيف للبطل.

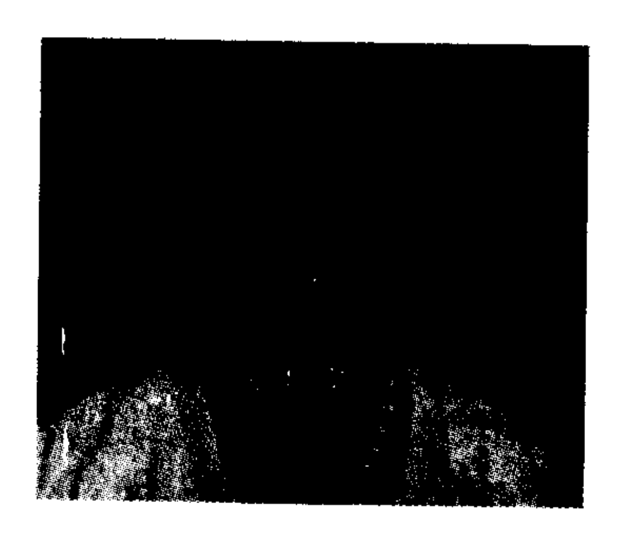
إلى هنا.. والقصة ليس لها أي جوانب مدهشة.. لكن دعونا نقترب أكثر لنرى كيف خسر بطلنا المباراة، وأدهش العالم!.



كانت المباراة النهائية أمام بطل العالم اللاعب الياباني (ياما شتا)، وفي بداية المباراة -والتي بدأها محمد بتركيز وتصميم كبيرين- أصيب اللاعب الياباني في قدمه اليمنى، وأصبح لدى محمد ثغرة لإرداء غريمه الأرض، والفوز عليه.

المدهش أن محمد لم يوجه أي ضربات للقدم المصابة؛ بل تراجع أداؤه وبدا وكأنه فقد شهيته للفوز!.

ذهب إليه مدربه ليأمره بأن يوجه لخصمه الضربات في القدم المصابة؛ لكن محمد ابتسم وقال له (ديني يمنعني من ذلك)!.



محمد رشوان

وسقط محمد رشوان -بإرادته- أمام البطل الياباني، وسط دهشة العالم أجمع..!

سقط مبتسماً، وهنأ غريمه ورفع الميدالية الفضية وابتسامته الطفولية لا تفارقه.

أعطى محمد للعالم في تلك اللحظة أحد أروع وأبلغ الدروس وهو أن الحياة بها ما هو أهم من الفوز في مباراة رياضية.

وأن حلمه الرياضي، وسنوات التدريب، واللحظات التي اشتاق فيها لرفع الميدالية الذهبية، لا معنى لها إذا لم تأت بطرقها الشريفة المشروعة.

قيل له وقتها: التاريخ لا يتذكر سوى الأبطال وأصحاب الميداليات الذهبية فقط.. لكنه لم يُبد ندماً على فعلته؛ فالشرف والكبرياء هما تاريخ المرء الحقيقي، الذي يحقّ له أن يفخر بهما ويتذكرهما.

قيل له: لن يلومك أحد لو وجّهت لخصمك ضربة أو أكثر إلى قدمه المصابة.. الكل يفعل ذلك؛ لكنه لم يردّ سوى بابتسامته الوديعة مذكراً نفسه أن العظماء يلومون أنفسهم لوماً قاسياً عنيفاً يغنيهم عن أي لوم قد يأتي من الآخرين.

ولأن الموقف كان أكبر من استيعاب العالم.. كانت ردة الفعل أيضاً على هذا الموقف غير عادية.

فلقد أصدرت منظمة اليونسكو في يوم المباراة بياناً أشادت فيه بالبطل الخلوق محمد رشوان، ومنحته جائزة اللعب النظيف عام ١٩٨٥، وفاز بجائزة أحسن خلق رياضي في العالم من اللجنة الأولمبية الدولية للعدل، واستقبله الرئيس المصري استقبالاً يليق بالرموز والعظماء، وقلده أرفع الأوسمة، وأشاد بخلقه الرياضي، وأصرّ الشعب الياباني على تكريمه في طوكيو؛ فسافر رشوان وفي ظنه أن التكريم سيكون تقليدياً رسمياً؛ إلا أنه فوجئ بعشرات الآلاف وقد خرجوا لاستقباله ما بين رجال سياسة وإعلاميين وأبطال رياضيين بالإضافة -وهذا هو الأهم- إلى الآلاف من المواطنين اليابانيين من عامة الشعب، الذين أحبوا محمد.



كما حصل على شهادة امتياز خاصة لأحسن خلق رياضي لعام ١٩٨٤، وجاء ضمن أفضل ستة لاعبين في العالم عام ١٩٨٤، واختارته مجلة (الأيكيب) الرياضية كثاني أحسن رياضي في العالم في الخلق الرياضي.

وعندما سُئل بطلنا (محمد رشوان) عن الدافع لأن يخسر مباراة هامة كتلك؛ رغم سهولتها قال ببساطة:

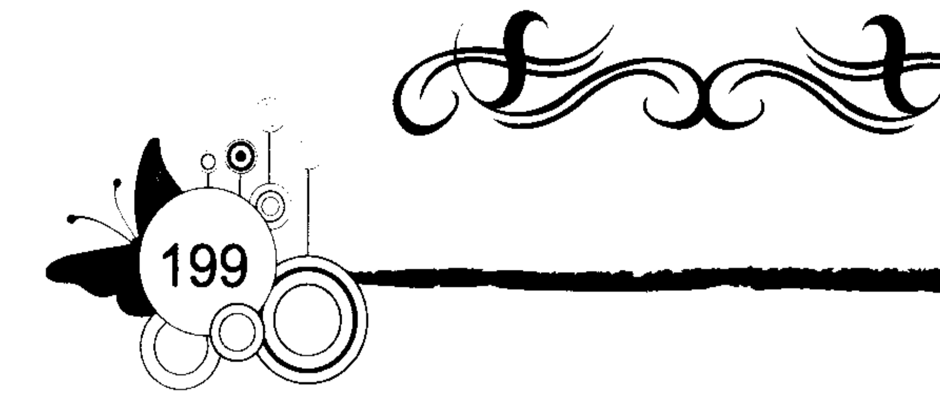
لأن ديني يمنعني من ذلك.

وكان لهذه الجملة عامل السحر؛ حيث بدأ مئات الآلاف من الشعب الياباني -والمعروف بتقديره الكبير للمبادئ والقيم- في البحث عن هذا الدين الذي يحث أبناءه على إعلاء القيم السامية والحرص على ارتداء لباس الشرف والخلق الرفيع، وأعلن الآلاف من الشعب الياباني إسلامه بسبب هذا البطل النادر.

تُرى كم منا لو كان مكان بطلنا هذا، كان سيوجه أولى ضرباته ناحية القدم المصابة؟.

والسؤال الأخطر.. كم واحد منا يوجّه كل يوم، وكل ساعة، ضربات -ينقصها الشرف والعفة- إلى الحياة وروادها.

سؤال مؤلم لي.. وربما لك..!



46 إنها القوانين

يروى أن كان هناك حصانان يحملان حمولتين، فكان الحصان الأمامي يمشي بهمة ونشاط، أما الحصان الخلفي فكان كسولا جدا بدأ الرجال يكدسون حمولة الحمار الخلفي ـ الكسول ـ على ظهر الحمار الأمامي ـ النشيط ـ وبعد أن نقلوا الحمولة كلها، وجد الحصان الخلفي أن الأمر جد جميل، وأنه قد فاز وربح بتكاسله، وبلغت به النشوة أن قال للحصان الأمامي : إكدح واعرق!، ولن يزيدك نشاطك إلا تعباً ونصبا !!.

وعندما وصلوا إلى مبتغاهم، قال صاحب الحصانين : ولماذا أُطعم الحصانين، بينما أنقل حمولتي على حصان واحد، من الأفضل أن أعطي الطعام كله إلى الحصان النشيط، وأذبح الحصان الآخر، وسأستفيد من جلده على الأقل!، وهكذا فعلها.

ظن هذا الحصان الذكي ـ وبعض الذكاء مهلكة! ـ أن الحياة تؤخذ بالحيلة، وأن الأرباح تُقسم على الجميع سواسية، المجتهد منهم والكسول ..

والمدهش أن هذه القصة تتكرر كثيرا في الحياة، يظن المرء في ظل



وضع فاسد أن الحياة يملكها أصحاب الحيل، وأن الدهماء هم الذين يضعون قوانين اللعبة !.

كثير من التعساء لا يدركون أن للحياة قوانين لا تحيد، حتى وإن غامت قليلا لظروف ما، تماما كما غامت أمام الحصان الكسول فغررت به .

ولعل من حسن طالعنا أن القرآن أخبرنا أن هناك ثمة قانون في الحياة يدعى قانون العمل، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، بوضوح غير قابل للتشويش الله - جل اسمه - يعطينا خلاصة قانون هام من قوانين الحياة، وهو العمل، والجد والاجتهاد .. واللذان سيتم تقيمهما في الآخرة، فضلا عن الدنيا.

قانون السبب والنتيجة والفعل ورد الفعل، وكذلك قانون (الكارما) في الثقافة الهندية، كلها تؤكد على أن الأعمال تفرز نتائج معروفة وواضحة، وأن للحياة قواعد تسري على الكبير والصغير.

هل حزنت مثلي عندما وجدت أن هناك من هم أقل منك وفازوا وأغبى منك وربحوا، وأصغر منك ونالوا من الحياة قسطا أكبر مما نلته !!؟؟.

لا تحزن .. فالله لا يظلم مثقال ذرة، اعمل واكدح وقدم ما تستحق عليه المكافأة في آخر الطريق، ولا تتذمر، فربما قدم هذا الشخص أو ذاك ما يستحق أن ينال ما تراه فيه من نعمة، أو ربما يُساق دون أن يدري إلى خاتمته، فتراه وقد ذبح وسُلخ كصاحبنا الحصان!.



يا صديقي ..

ليس كل ما يلمع ذهبا، ولا معظم من يبتسم سعيداً، ولا غالب من يدعوا لك يؤمن قلبه على دعواه !!.

لا يصعقك الموقف..!، إذا ما أخلصت نيتك لعمل شيء مفيد ونافع ووجدت أن الألسنة ـ وربما الأيدي ـ قد طالتك بالسوء من الأقوال والزور من الصفات، وشككت في عملك وجهدك وربما نواياك ..

فما من رسول إلا وذاق من كأس الجفاء والقسوة، وما من مصلح إلا وعانى وتألم، ولم أطالع في سيرة صالح من الصالحين أن رجلا قد أجمعت على محبته البشر، مهما كانت تقواه ..

في الحياة ستقف كثيرا في حيرة، وقد وضعت مبادئك في كفة ومكاسب يسيل لها لعاب أي كائن بشري في كفة، وكنت أنت صاحب القرار.



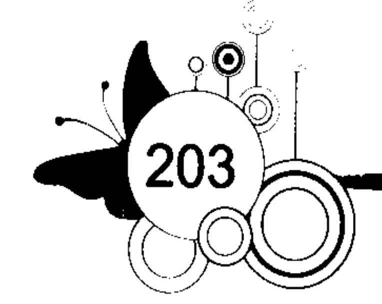
فكر مليا قبل أن تختار، وصدقني ستحتاج إلى قنطار توفيق وقنطار من الدعوات الصادقة، وألف ألف قنطار من الثبات واليقين .

كل البشر صالحين أمناء شرفاء مالم يُختبروا !، فإذا ما وضعو في الامتحان بان الصالح والطالح، وظهر الصادق والمدعي .. أقول كل البشر بما فيهم أنا وأنت، وهو وهي، فادعوا الله معي أن يرزقنا الثبات وقت الامتحان .

لا تندم على خير فعلته ولم تجد له صدى على ألسنة الناس، أو تتألم من قولة صدق فتحت عليك باب المشاكل، فالله لا ينسى وإن نسى الناس أو تناسوا، ولا يضيع الأجر لأن الناس أضاعوه، كل معروف فعلته،موجود لديه ـ سبحانه ـ في صندوق الحسنات مؤمن عليه، لا يستطيع أحد أن يسرقه، أو يسفهه، أو ينتقص منه، اطمئن وافعل الخير، ولا يحزنك قول جاحد أو سفيه .

قد ينقدك الناس لعدم فهمهم لما تقول وليس انتقاصا منك ومن شخصك، فاملأ قلبك بالسماحة والهدوء، واسكب ماء مثلجا على روحك كي تبرد ولا تشتعل، ووضح رأيك مرة ثانية وثالثة وعاشرة ولا تتكبر على أحد .





من الممكن أن تشتري وجبة سريعة تسد بها جوع بطنك، لكنها لن تفيد جسمك أو ذهنك، ذلك أنها تفتقر إلى القيمة الغذائية الصحيحة، وكذلك النجاح السريع السهل، الذي قد تناله ببعض الحظ، أو حسن عرضك للقليل الذي تملكه، ستفرح به ساعة أو أكثر لكنه لن يكون لبنة صالحة في سجل إنجازاتك .

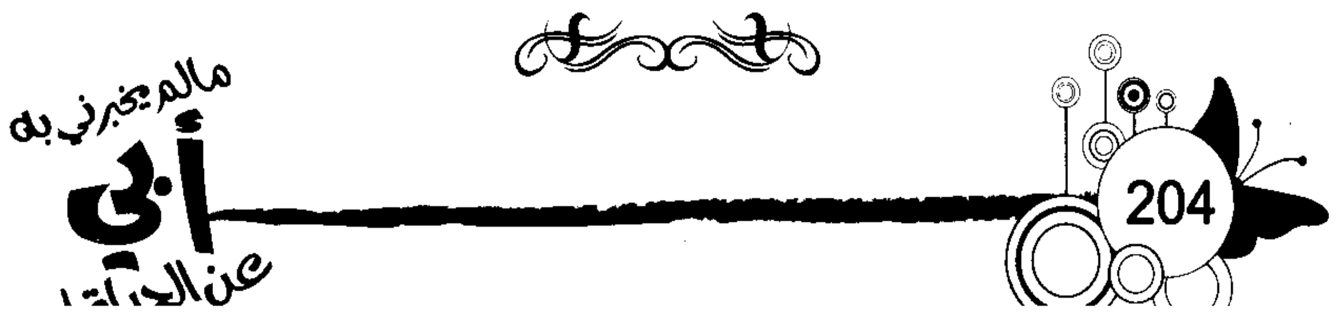
يقولون أننا في زمن الدعاية والتسويق، ويؤكدون على أنك ستخسر كثيرا إن لم تتقن هذين الفنين، وهو أمر مشاهد وبشدة في أيامنا هذه ..

لكن الخطر في أن تكون الدعاية للشيء اكبر من الشيء نفسه ..!

أن يصبح الكلام عن العمل أعلى قامة من العمل ذاته ..

فالأيام قادرة على تعريه الأشياء، ومحو البريق الزائف الذي يحيطها وحينها لن تفيدك الدعاية، ولن يمد لك التسويق يد العون .

أفصح الألسنة هو لسان الانجاز، لا تتحدث كثيرا عن نفسك دع أفعالك العظيمة تتحدث عنك، وتنافح عن سيرتك وسمعتك وتصول وتجول كي تلفت نظر العالم لك ولعظمتك، فقط تحتاج إلى أن تعمل كثيرا، وتخلص كثيرا، وتبذل العرق والجهد ببذخ وإسراف بعدها اصمت تماما، ودع عملك هو المتحدث الرسمي باسمك، فهو أفصح لسانا من مئات الخطب الرنانة .



اكتب مبادئك بقلم جاف، حيث الرسوخ والثبات والوضوح، واكتب آرائك بقلم رصاص، حيث التعديل والتصحيح والمراجعة !.

واحترم ممحاة الرأي الآخر، وأفسح لها المجال لتمحوا آراء كنت تتبناها إذا ما ثبت لك زيفها أو خطئها يوما ما .

واعلم أن أسوء ما يمكن أن تفعله أن تعكس هذه المعادلة، فتكون مبادئك رخوة هشة، تُمحى وتكتب ما بين يوم وليلة، أو تكون آرائك صلبة ثابتة، فلا تحتمل التعديل أو التغيير مهما بدا لك خطئها .

الشيطان لا يحمل شوكة، وليس له ذيل أو قرنين، وإلا لما صدقه احد وهو بتلك الهيئة المضحكة، الشيطان يأتينا بأبهى حلة، وبوجه حسن وضاء، يسحبنا إلى مقصده بعذب الكلمات، وبمنطق يخيل على الكثيرين .

قد يأتينا في صورة صديق أو حبيب، والكارثة أن نكتشف بعد فوات الأوان أنه يرتدي آخر قناع كنا نتوقع أنه يسكن خلفه !.

ضع البيض كله في سلة واحدة .. وانتبه لها جيدا .. دعك من نظرية وضع البيض في سلال مختلفة. فصاحب (بالين) كما أخبرتني أمي ليس بصادق ..

من حقائق الحياة - المؤلمة للكسولين - أن المرء لا يحصل على ما يريده، وإنما على ما يستحقه .

البعض يسحق الفراشة بكفيه بدلا من صيدها بطرف أنامله ! يرى بأن القوة والعنفوان، والشدة، هي دليل جديته ..

خطأ في التقدير، غباء في التدبير .

لا تحب أكثر من اللازم، كي لا تتألم أكثر مما تحتمل، فكل شيء يجب أن يكون بمقداره الصحيح، حتى المشاعر والأحاسيس، حتى الحب والكره ضع كل شيء في مكانه الملائم، والأهم بمقداره الدقيق .

الله -عز وجل- يقول: (بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)، مهما كانت معاذيرك، ومبرراتك، إلا أنك أكثر شخص على وجه الأرض تستطيع قراءة نفسك، والتفتيش بداخلك، والتعامل مع نزواتك وشطحاتك، الإرادة العلياء لم تظلمك، لم تعطك عقلا أصغر من فهم حدودك الشخصية ..

كل بلائنا نابع من الجهل، نعصي الله لجهلنا بعظمته، نتعثر في الحياة لجهلنا بقوانينها، نخسر من نحبهم ويحبوننا لجهلنا بطبيعتهم أو طبيعتنا !.. قاتل الله الجهل .



وفي الأخير.. لقد انتصرنا

لا زلت قادرا على التذكر رغم مرور عقود على هذا المشهد..

ابن الخامسة كنت آنذاك أغدو بين أطنان الكتب، أعظم ما تركه جدي لأبي الشيخ هلال الشاذلي رحمه الله..

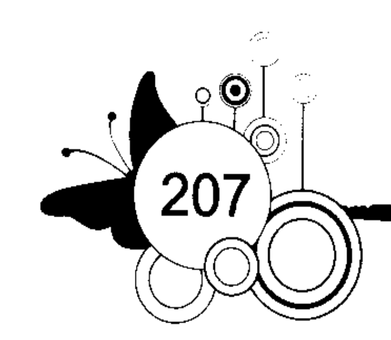
سطح منزلنا تغطية أجولة الكتب والمجلدات، ميراث كامل من المعرفة تركها المربي العجوز قبل أن يرحل، لم أكن حينها أعي جدوى هذه الأكوام من الورق، لكنني ولسبب لا أعلمه.. عشقتها..!

وذات يوم بينما أجلس في حديقة منزلنا، جاءني صوت جدتي العجوز وهي تلقي أوامرها بالتخلص من أكوام (القمامة) أعلى السطح، كي يتسنى لها تربية الدجاج في مكان متسع!

وخلال أيام كان الفرمان قيد التنفيذ، وإرتفع لهب آلاف الكتب والمجلدات، في مشهد لم أستوعب قسوته إلا وأنا في الثالثة عشرة من عمري..

طالب متعثر في دراسته -كنت حينها- يعشق القراءة، ويحب الكتب، ويجب أن يتم اتخاذ قرار جريء ضده كي يهتم بدراسته أكثر..

وكان الفرمان جاهزا..



كتبي جميعها تم جمعها في حديقة منزلنا، وبعود ثقاب واحد تم الأمر..

وعلا اللهب ثانية في منزل الشيخ هلال..!

لا زال مشهد كتبي والنار تأكلها حاضرا في ذهني رغم مرور الزمن..

وكبر عشقي لحبيب أرادوا لي أن أهجره يوما..

وكبرت معه التضحيات..

لا زلت أذكر وكأنه الأمس القريب، وأنا أحمل حقيبة كتبي متنقلا من عمل لآخر، والعيون ترقبني بسخرية، ولسان حالها يقول : ألم ينتهِ زمن الفلاسفة منذ عقود..!

كنت حينما يسألني أحد أصدقاء العائلة: سمعنا أن هوايتك القراءة.. صحيح؟

فأجيبهم: بل حياتي القراءة، الطعام والشراب يمكن تصنيفهم في خانة الهوايات، أما القراءة فهي ضرورة لحياتي.

التنفس يعطيني عامل البقاء في الحياة، بينما القراءة تعطيني المبرر..

وكبرت وكبر معي عشقي وحبي..

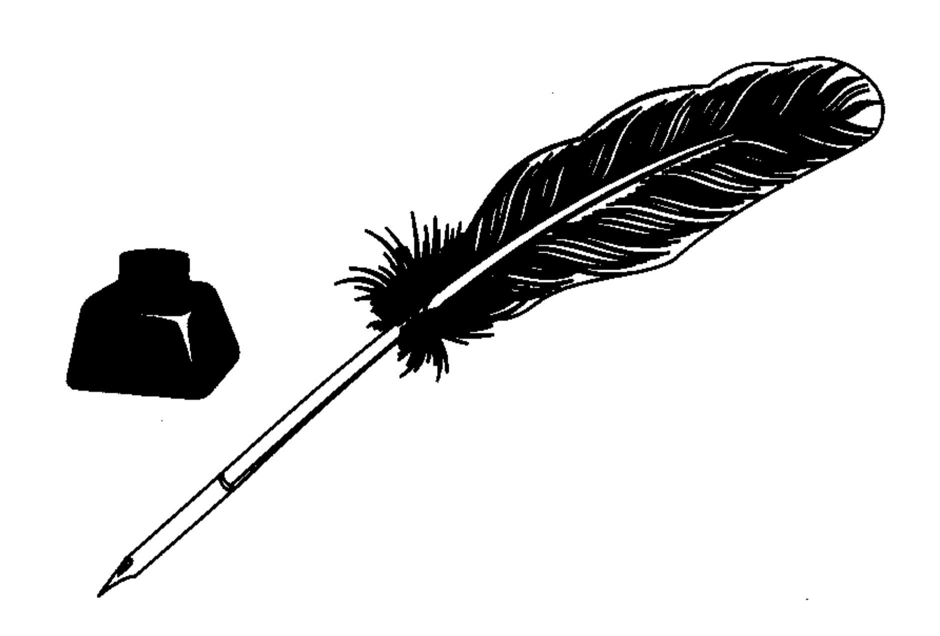
والآن وأنا في العقد الثالث، وكحال أي عاشق محب، أجلس لأتذكر..

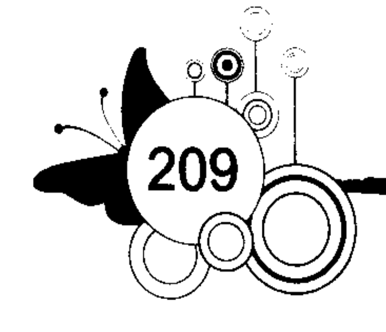


أنظر وقد أسست دار نشر صغيرة مكنتني من المساهمة في صناعة الكتاب في الوطن العربي، ثم وأنا أكتب وأساهم في صناعة الفكر..

عندها أعود بذاكرتي إلى مرأى اللهب المرتفع وأبتسم ناظرا إلى مكتبتي الأثيرة وأهمس في خبث..

(لقد انتصرنا).





موجز الأفكار والمقولات

- إن لم نكتشف كل يوم جانبا من جوانب الحياة الغامضة، ونفك شيئا من طلاسمها الغريبة، فإننا لا يصح أبدا أن ندعي أننا عشنا حياة كاملة صحيحة.

- نوايا آبائنا الحسنة -رغم تقديرنا لها- لا تستطيع أن تغطي فضاءنا التربوي، أو تكفينا زادا في مواجهة الحياة وتحدياتها.

- يجب أن نثبّت أعيننا على الغاية الكبرى التي نسير إليها كي نستمد منها الحماسة، ولا نستصغر الخطوات الأولى، بل ننميها ونقويها بخطوات أخرى تعزز من رسوخها.

- الدنيا قادرة على إغواء معظم البشر، واستعبادهم، وجعلهم أجراء لديها، يعطونها خالص أيامهم، وطموحهم وهمتهم وتعطيهم بعضا من متعها الزائفة الزائلة.

- إن المسلم يجب أن يحب الحياة كي يستطيع العطاء، يجب أن يتعامل معها بجدية ويعمرها ويجتهد في جعلها أجمل وأروع مما كانت قبل مقدمه، ولكن ليس على حساب العطاء الأخروي.



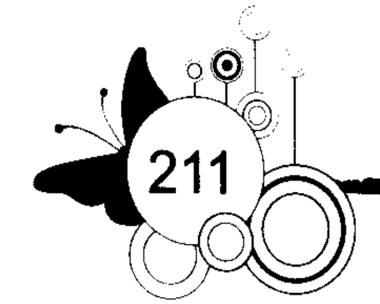
- المرء الذي يؤدب لسانه كي لا ينطلق مثرثرا، ويلجمه بحنكة وذكاء لهو امرؤ قد فعل الكثير في سبيل امتلاكه القوة، فكم من كلمة ألقاها صاحبها في غفلة من عقلة ذهبت بماله وسمعته.. وربما برأسه بعيدا!

- لا بد من لحظات نحتاج فيها إلى أن نشعر أن البشر للبشر والمؤمن لأخيه، والإنسان لن يقدر على العيش دون أخيه الإنسان فيتحدث ويبوح، حتى إذا ما أخرج ما بصدره تنهد مرتاحا، وعاد لوجدانه شيء من الطمأنينة وراحة البال.

- أعرف من الأشخاص من لا يملك القدرة على اختيار ملابسه فأهله أو أصدقاؤه هم من يشيرون عليه بما يصلح وما لا يصلح. وهيهات على من لا يستطيع اختيار حذاء أن يختار الطريق الذي سيسلكه..!

- الخطر أن نرضى بالأحلام والأهداف المتواضعة، بالرغم من أن قدرة معظمنا كبيرة، ونستطيع بقليل أو كثير من الجهد أن نحقق ما ظنناه يوما ما شيئا خياليا غير قابل للتحقيق.

- التحدي الأكبر لا يكون في الانتصار الشخصي المجرد، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى سوى الفوز، بل يكون في الانتصار الشريف الذي تتحقق فيه أركان المعادلة (أنا أربح وأنت تربح).



أيام الظلم طويلة، وأيام النصر طويلة كذلك، ونحن عندما ننهض لتفادي آلام الهزائم يجب أن نعي أن الأيام دول، وأن هناك متسعا من الوقت لتصحيح المسار، وأن التفكير الهادئ وعدم الاندفاع والتسرع والعصبية هو الخيار الأمثل للرد على الظلم أو الإخفاق.

إن الشراك والفخاخ التي تقف أمام حلمك وطموحك لكثيرة وأحدها ذلك الشرك الذي يدفعك إلى الانكباب على عمل، وبذل الجهد في تجويده وإحسانه، بينما هذا العمل في ميزان هدفك الرئيسي لا يساوي الوقت الذي أنفقته فيه!

إن من يفخرون بما لديهم، ويشمخون بأنوفهم عاليا، مذكرين الآخرين بين الحين والآخر بما يملكون، وبما يدركون، وبما يعرفون، هم في الحقيقة يعانون من خلل في تكوينهم النفسي، وعدم ثقة بقدرتهم على الارتقاء الدائم، وفوق هذا، جهل بأهم الحقائق الكونية، وهي أن العلم والحق والمعرفة المطلقة لا يمتلكها بشر وأن الفضل لا يعلمه إلا الله.

إن الموت وإن كان يهوى حصد المُسنين، إلا أنه لا يتوانى بين الحين والآخر عن قطف بعض الثمار التي لم تنضج بعد، ومن ظن أنه بعيد عن يد الموت فهو واهم مخدوع!



- إننا نحيا في زمن يعج بـ(الموتى الأحياء) الذين ارتضوا بالحياة الأدنى على رأس كل واحد منهم عدّاد غير منظور يحسب الأيام والساعات حتى إذا ما دنا موعده أغمض عينيه بهدوء، وذهب دون أي أثر له في الحياة!

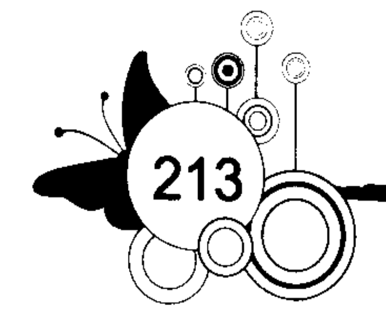
- إن أرواحنا غائبة عنا، من منا يملك القدرة على أن يغمض عينيه فيرتاح.؟!

- النجاح والتفوق في الحياة ليس مستحيلا لأي شخص، لكنه في المقابل ليس سهلا قريبا، ولا يقتنصه إلا من دفع ثمنه، وثمن النجاح هو عرق الجبين لا مُرّ الشكوى.

- المخاطرة الكبيرة هي الحياة بلا مخاطر، والخوف الأكبر هو العيش بلا خوف، والفشل الحقيقي في الوقوف خوفا من فشل!

- من ظن أنه بقراءة كتاب أو أكثر صار مفكرا.. أو أديبا.. فهو واهم ومن أمسك بتلابيب الفتوى في أمور الدين أو الدنيا لمجرد حفظه لعشر أحاديث وبعض قصار السور، فهو مفتون.

- من الناس من يمشون بيننا بأجساد خاملة، مات بداخلهم كل ما يدعو إلى التحدي والعطاء، وهؤلاء لا أصنفهم أحياء، إنهم أموات ولكن لا يعلمون!



- بئس الحياة تلك التي نعيشها، دون أن نغرس فيها ثمرة للخير، أو بذرة للحق، أو شجرة للعلم يستفيد منها من بعدنا في الحياة ونتعلق بها يوم يذهب كل شيء، إلا الأعمال العظيمة تنقذنا من عذاب السعير.

- إن أكبر كارثة إنسانية، أن يحتكر شخص ما الحق، ويحاسب الناس على تقصيرهم، وينزل بهم العقاب إذا لم يكونوا كما يرى.

- نحن -حملة المبادئ- بحاجة إلى أن نعي جيدا الدرس الأول الذي سيفتح لنا الطريق إلى قلوب الناس، وهو أننا دعاة لا قضاة وحملة مشاعل لا منفذي أحكام، وأصحاب رأي وحجة، فلا تضيق صدورنا وقلوبنا بمخالف أو معارض.

- إن من أعظم الإستراتيجيات التي ينتهجها العقلاء، هي إستراتيجية (الاستغناء)، فإذا ما اشتهيت ما لا تستطيع امتلاكه، فأخرجه من قلبك وتفكيرك، وبهذا فقط تتغلب على شهوة امتلاكه، وسحر تأثيره عليك.

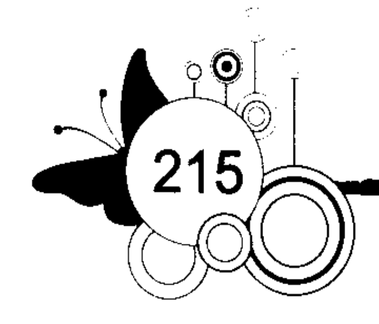
- التنفس يعطيني عامل البقاء في الحياة، بينما القراءة تعطيني المبرر.

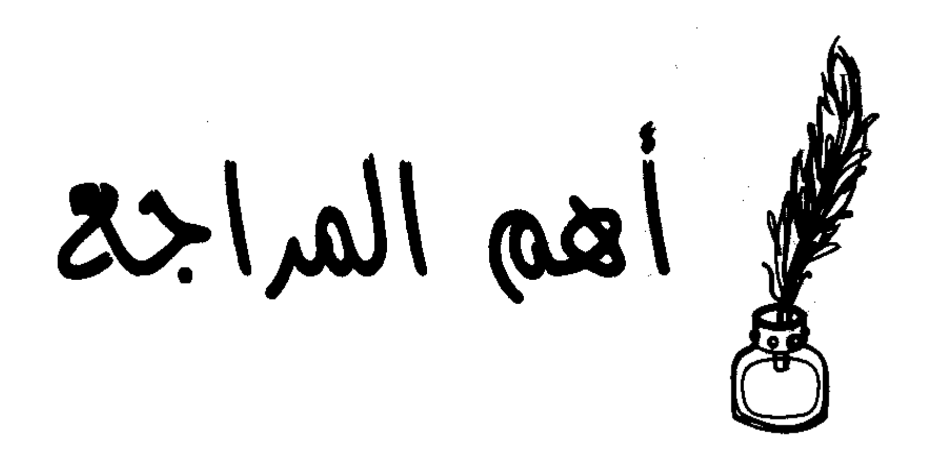


- ليس لأحد منا مهما كان متمسكا بالحق أن يجبر الناس على اعتناقه، أو يلقي عليهم بالاتهامات إذا لم يؤيدوا رأيه.

- إننا لا نستطيع امتلاك كل ما نشتهي، وستظل هناك دائما أشياء وأشياء نطمع فيها، فإذا ما أحببنا أن نطمئن الفؤاد والروح فعلينا أن ننظر بعين الرضا والقبول لما وهبنا الله تعالى وأنعم علينا به، وندرك أن هذا الذي نملكه هو مبتغى أمل بعض البشر.







أهم المراجع

١. كيف تمسك مقاليد القوة، روبرت غرين، مكتبة العبيكان.

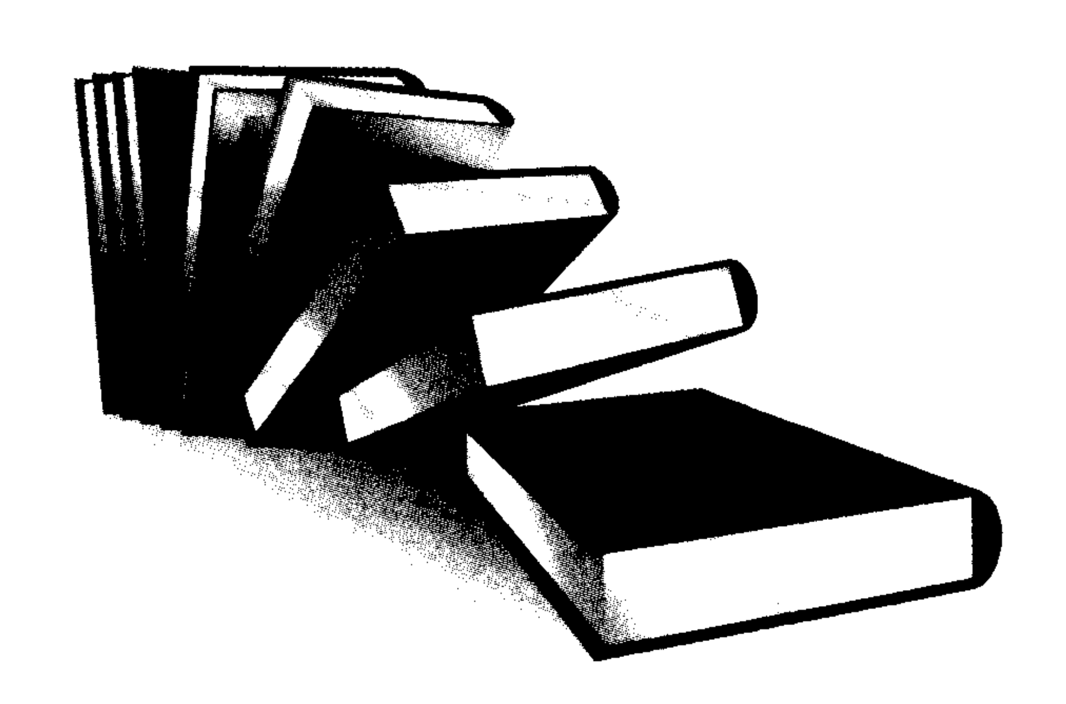
٢. مكتوب، باولو كويليو، دار ميريت.

٣. مبادئ النجاح، جاك كانفيلد، مكتبة جرير.

٤. المحاضرة الأخيرة، راندي باوتش، مكتبة جرير.

٥. دعونا نتغير، إبراهيم العِسعِس، (مجموعة صوتية).

٦. وجهتي في الحياة، عبدالكريم بكار، دار الثقافة للتراث .







راسلـــــــــ@ـــــــــي

هل أعجبك هذا الكتاب؟!

إن كانت لك ملاحظة على هذا الكتاب، فأطمع منك يا صديقي أن تخبرني برأيك على بريدي الإلكتروني:

Karim1924@hotmail.com

كما تسرني زيارتك لموقعي الشخصي وقراءة المزيد من المقالات، ومعرفة الجديد:

www.karimalshazley.com

والمؤمن ضعيف بنفسه قوي بإخوانه..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

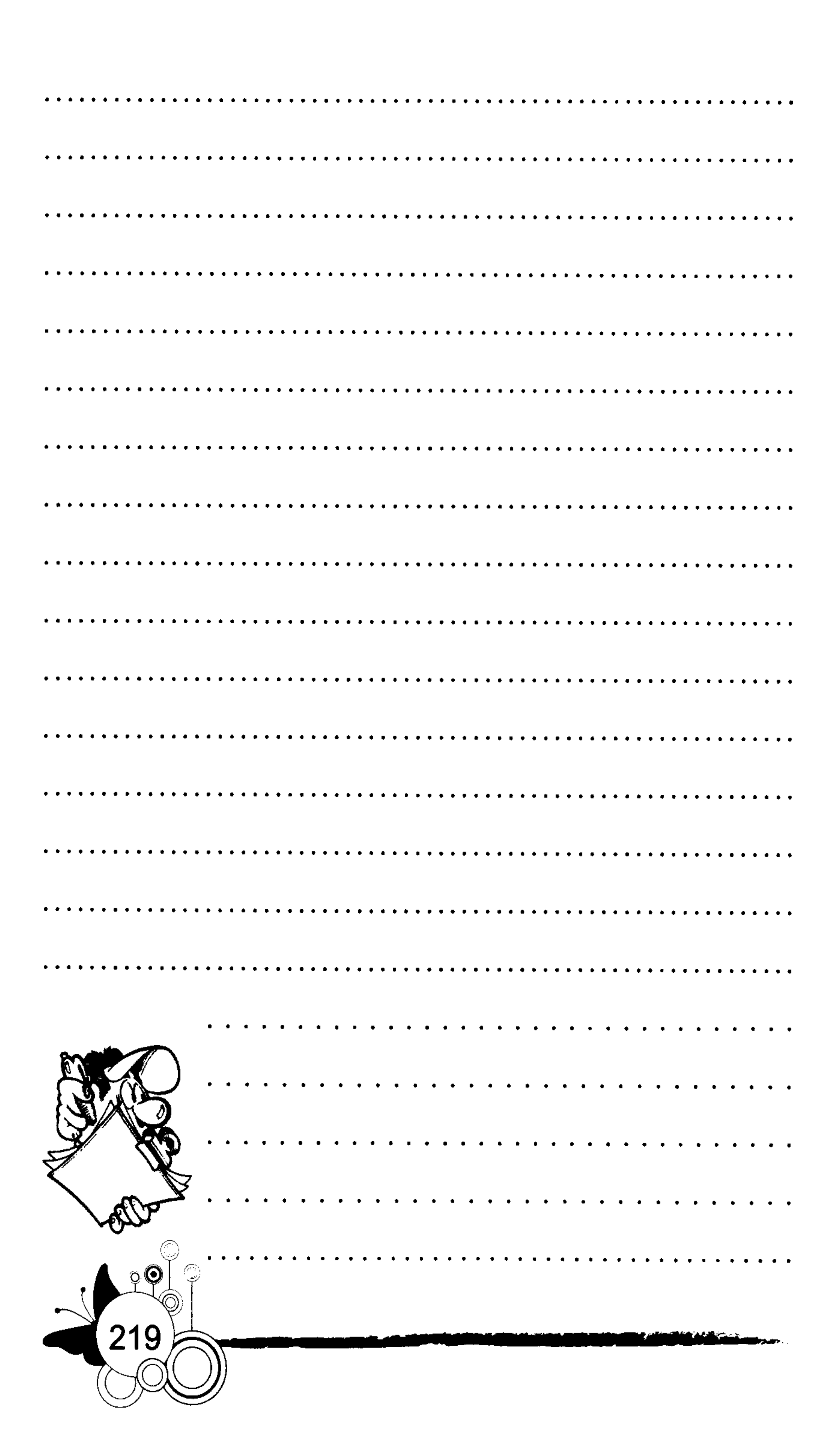




الحكمة طائـــــر..
والقلم صيـــــاد

ملحق التعقيبات والتأملات الشخصية:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....





كتب للمؤلف



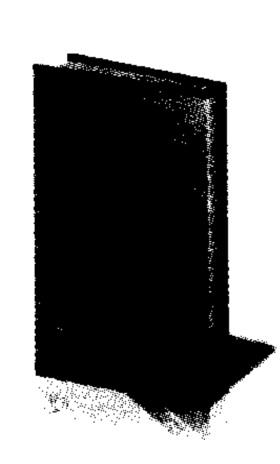
. في مجال تنمية الشخصية والتطوير الذاتي، كتاب (الشخصية الساحرة)، والذي يأخذك من خلاله المؤلف كي تتعلم أسرار الجاذبية الشخصية،والطريقة التي يمكنك من خلالها التحلي بشخصية ساحرة جذابة، تتقن فن التواصل الاجتماعي والانخراط الإيجابي مع الآخرين، مدعومًا بقصص واختبارات عملية وممتعة.



. (٢٥٠ حكمة) هو الكتاب الثاني في مجال التطوير الشخصي، والذي يستعرض فيه المؤلف ٢٥٠ حكمة تحفيزية من أقوال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- وهو كتاب بسيط، بيد أنه يحمل عمقاً كبيرًا وهو أشبه بالمصباح الذي ينير لك دربك نحو التميز والرقي.



. (أفكار صغيرة لحياة كبيرة) كتاب شيق مليء بالحكم العميقة والقصص الشيقة المعبرة والأسلوب البلاغي الرائع، احتوى على عدد كبير من الأفكار، التي قد تغيّر إحداها تفكيرك، ومن ثم حياتك بأثرها!



. كتاب المرأة (امرأة من طراز خاص) خطاب موجه للمرأة الطموح المتميزة، واستعراض لعادات خمس، رأى الكاتب عِظم أهميتها للمرأة الفعالة الناجحة.

• وللأزواج يتوجه الكاتب بحديث أشبه بالهمس عبر مجموعته الشيقة:

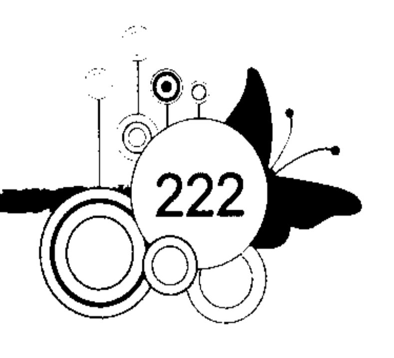


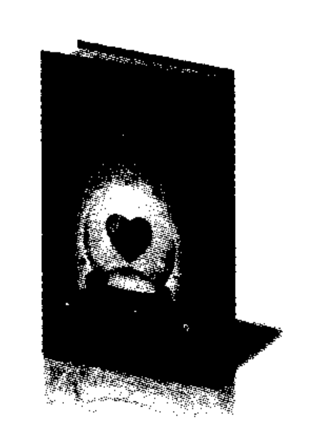
. (إلى حبيبين) كيف تتفهم احتياجات شريكك العاطفية وترفع من مستواك العاطفي؟



. (جرعات من الحب) كيف تتفهم احتياجات شريكك الخاصة؟







. (أسطورة الحب): مهارات الحفاظ على الحب.



. (لغات الحب): اللغات الأربع التي يتحدث من خلالها الحب.



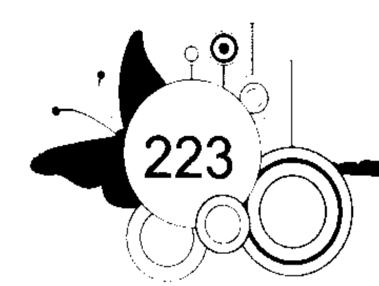
. (سحابة صيف): كيف تتغلب على المشاكل التي تعوق نمو الحب في حياتك؟

. ولكل أب يطمح في أن ينشئ طفلاً بارا نافعا لأمته ودينه، يأتي دور كتاب (الآن أنت أب) ليستعرض من خلاله الكاتب مجموعة من أهم النصائح التربوية التي تشكل شخصية الطفل، وتعمل عملها في تأصيل قيمه وأفكاره كما يستعرض أيضا مجموعة من الممارسات التربوية الخاطئة، ويبين أبعادها وكيف يمكننا علاجها والتغلب عليها. (١)



---

(١) لمعرفة مناطق التوزيع، واللغات المتوفرة بها الكتب، وكيفية حصولك عليها، يمكنكم زيارة الموقع الشخصي للكاتب، أو موقع دار أجيال للنشر والتوزيع على شبكة الإنترنت .





كريم الشاذلي
الكاتب والباحث في مجال العلوم الانسانية
www.karimalshazley.com

دار أجيال للنشر والتوزيع
6 ابراج المهندسين . كورنيش المعادي
الدور السادس شقة 2
تليفون: 0225286540 (2+)
فاكس: 0124242437 (2+)
www.dar-ajial.com





www.ibtesama.com